تاريخ الأقباط

الجزء الثاني



زكي شنودة

موسوعة

تاريخ الأقباط

والمسيحية

الجزء الثانى

تأليف

المستشار الدكتور

زكى شنودة

مدير معهد الدراسات القبطية

تقديم

للدكتور القمص باخوم عطا الله

وكيل الكلية الاكليريكية

وسكرتير قداسة البابا كيرلس السادس للشئون الدينية

ما أحلى التاريخ ، وما أنفعه للناس جميعاً . إنه صور من الواقع الحي الذى أصبح جزءاً من الماضى ، وقد دخل فى سجل الخلود . لكنه أيضاً حى خلاق فيما يلقيه على أذهان الناس — ولا سيما الشباب — من عظات ودروس وعبر ، تثيرهم لحاضرهم ، وتنفعهم لمستقبلهم ، ومستقبل البشرية .

فقراءة التاريخ متعة تشبع حاجة الإنسان إلى استطلاع ماضيه وسبر أغواره ، تجسد له الأحداث التى مرت ، وتركزها لشعوره فيفهمها فهماً فاحصاً ، يمهد له الحكم السليم ، والتصرف الحكيم . وقراءة التاريخ ليست عبثاً ولا عبئاً على المثقفين ، لكنها ضرورة لمن يريد أن يفهم تطور الحياة فى المجتمعات ولمن يشاء أن يكون بصيراً بالتيارات الخفية التى تدفع الأحداث .

لذلك فإن قيمة التاريخ لا فى التفصيلات والتفريعات والجزئيات ، ولكنها فى تقصى المبادىء العامة ، والتيارات ، والعبرات النافعة ، والقيم الكبرى .
ومع ذلك فالتفصيلات هامة ، ولا مفر منها للقارىء حتى يطمئن إلى المؤرخ وإلى التاريخ ، ويتبين أن ما يقرأه ليس ضرباً من الخيال ، ولا هو من اختلاق

الكتّاب والمؤلفين ، وإنما هو الواقع الذى عاشه الناس فعلا فى حقبة من حقب الحياة المتصلة الجارية فى طريق الأبدية اللانهائية .

وتاريخ القبط إلى اليوم ناقص على الرغم من كل ما كتب فيه . إنه تاريخ أمة مجيدة خالدة ، ومع ذلك آمنت بالحياة أكثر مما آمنت بالكتب ، وإن كانت فيما كتبت خلدت للإنسانية تراثاً جليلا . لكن ما كتبت عن نفسها إلى اليوم قليل لا يشبع رغبة الباحثين فى تقصّى تاريخ هذه الأمة العظيمة التى ضربت بقسط وافر فى الدين وفى كل أنواع الفنون والآداب والعلوم والحضارة الإنسانية فى أسمى صورها . وكتب عنها الأجانب كثيراً بكل اللغات ، ولكن ما كتبوا قليل وناقص ، ولم يستطع أن يفى بحقيقة هذا الشعب العريق ، وتلك الكنيسة الخالدة . وكانت تشوبه الأخطاء أحياناً ، لأن الأجنبى لا يمكنه أن يفهم كل شىء عن شعبنا وأمتنا ، ولا يمكنه أن يكون دائماً صادقاً وأميناً فى تأويل الأحداث، ودقيقاً فى تصوير الوقائع التى لم يعشها وإنما نقلها من خارج نفسه .

فالقبط هم خير من يكتب عن القبط ، فينقلون للناس تاريخهم بالروح التى يفهمون بها تاريخهم ، لأنهم عاشوا هذا التاريخ ، وجرى مع دمائهم وأنفاسهم التى تتردد فى صدورهم ، وقد نبضت به عروقهم ، واضطربت له قلوبهم . وقد كتب عن القبط أقباط كثيرون فى الماضى ، كما كتب عنهم أقباط محدثون ، لعل القارىء يجد بعض أسمائهم فى قائمة المراجع التى أثبتها الأستاذ زكى شنوده المحامى فى الجزء الأول من كتابه « تاريخ الأقباط » ، وقائمة المراجع التى أوردتها الأستاذة إيريس حبيب المصرى فى كتابها القيم الذى صدر حديثاً بعنوان « قصة الكنيسة القبطية » .

ولكم سرنى أن يكتب الأستاذ زكى شنوده المحامى كتابه عن تاريخ الأقباط، وهو الجزء الثانى من موسوعة يزمع سيادته إصدارها فى هذا الموضوع الجميل المثير.

لقد قرأت الجزء الأول ، كما قرأت الجزء الثانى الذى يجده القارىء الآن بين يديه ، فحمدت للأستاذ فكرته فى أن يكتب عن تاريخ الأقباط كتابة مستفيضة، تسد النقص الذى نشكوه اليوم.

إن ما كتبه سيادته حتى الآن فى هذين الجزئين الكبيرين لا يعدو أن يكون مقدمة وفاتحة لما سيصدره فيما بعد من أجزاء أخرى . وما كتبه سيادته فى هذين الجزئين يبشر حقاً باستقصاء الأحداث واستقراء القيم العامة والتيارات الروحية التى تحمل هذه الأحداث على سطحها . والأحداث كما أراها أشبه ما تكون بالفقاعات التى تطفو نتيجة اندفاع التيارات وفورانها .

إننى أهنىء الأستاذ زكى شنوده على مجهوده الضخم وتعبه الواضح فى تأليف هذين الجزئين الكبيرين ، وأرجو أن يوفقه الله فى متابعة الطريق من غير توقف أو تعثر ، فإن العرض الشيق والأسلوب الممتع الذى أشهد أنهما بعض خصائص هذا الكتاب القيم يجعلنى مع جمهور القراء أترقب باهتمام صدور الأجزاء التالية .

إن الجزء الأول من الكتاب قد نفد من السوق ، وهذا يدل من جهة على نجاح الأستاذ المؤلف فى استثارة اهتمام القارىء بأسلوبه الجذاب ، كما يدل على أن الموضوعات التى تناولها المؤلف موضوعات تهم القارىء وتسد حاجة فى نفسه ، وهذا وذاك شرف للمؤلف وامتياز له .

وفق الله الأستاذ زكى شنوده فى هذه الخدمة العلمية التى يسديها لوطنه وأمته؟

الكلية الأكليريكية	القمص باخوم عطا الله المحرقى
فى ١٣ فبراير سنة ١٩٦٤	وكيل الكلية الإكليريكية
٥ أمشير سنة ١٦٨٠	وسكرتير قداسة البابا للشئون الدينية

مقدمة المؤلف

كان الجزء الأول من هذا الكتاب عرضاً عاماً لتاريخ الأقباط ، هدفت به قبل كل شيء إلى التعريف بالأقباط ، على أن أعود بعد ذلك لأتناول بالتفصيل وبقدر أوفر من الشرح والتحليل تاريخ هـــذه الأمة جيلا بعد جيل . وإننى لأشكر الله إذ أعاننى على أن أواصل هذا المجهود ، حتى ظهر هذا الجزء الثانى من الكتاب ، رغم الكثير مما كنت أتوقعه من متاعب ومن صعاب .

ولعل مما زاد فى تشجيعى وشد أزرى — بعد عناية الله — ما لمسته لدى الجميع من ترحيب بالجزء الأول واهتمام بلغ حد الحماس بموضوعه ، حتى وجدتنى شديد الإحساس بخطورة الواجب الذى أصبح على عاتقى أن أؤديه نحو أولئك المتحمسين المخلصين من أفاضل الناس . بيد أننى أصبحت أجد فى أداء هذا الواجب مسرتى : لأنه إن كان إخراج هذه الموسوعة التى تضم تاريخ الأقباط أمراً شاقاً، فإن هذا بذاته هو الذى يجعله أمراً شائقاً. وإن كان تاريخ الأقباط لازال ضائعاً موزعاً فى نبذات قصيرة ولمحات مشتتة بين آلاف الكتب القديمة والمخطوطات النادرة التى لا سبيل إليها إلا فى المتاحف ، حتى أصبح ذلك مثاراً للهمة على جمع هذا التاريخ وتدوينه ، فإن هذا بذاته كذلك هو الذى يجعل ذلك الواجب حبيبا إلى النفس وقريباً إلى سعادة الروح .

وإننى لأتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من كان له فضل فى ظهور هذا الكتاب،

غير أننى لا يسعنى إلا أن أخص بالشكر أولئك الذين أسدوا لى فى هذا السبيل خدمات ما كان هذا الكتاب ليظهر بدونها . وفى مقدمتهم الراعى الجليل الأنبا شنوده أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية : وقد أتاح لى الإطلاع على كل ما فى مكتبة الكلية الإكليريكية من مراجع نادرة ، وقدبذل معى فى ذلك مجهوداً لن أنسى ما ينطوى عليه من نبل وفضل .

كما أشكر الأب الفاضل الدكتور القمص با خوم عطاالله المحرقى وكيل الكلية الإكليريكية وسكرتير قداسة البابا كيرلس السادس للشئون الدينية ، إذ بذل معى كثيراً من الوقت والجهد فى مراجعة هذا الجزء ، ثم أضاف إلى فضله فتكرم بكتابة تقديم له .

ولعل ممن لا أنسى فضلهم صديقنا الجليل الأستاذ كامل ميخائيل عبد السيد عضو المجلس الملى العام ، إذ وضع تحت تصرفى مكتبته الضخمة التى تضم آلاف المراجع التاريخية واللاهوتية ، وقد كان لها أكبر الأثر فى دراسة موضوع هذا الكتاب .

أما الصديق الأستاذ ماهر نسيم ، فلن أستطيع أن أفيه حقه من الشكر ، إذ عاوننى فى نشر هذا الكتاب ، وكان فى كل ما أسداه مثالا للشهامة وإنكار الذات واستهداف الخدمة العامة دون أى اعتبار آخر .

ولا يسعنى أخيراً إلا أن أقدم شكرى إلى الاستاذ يوسف كمال صاحب مطبعة التقدم ، لما أبداه من عناية فى طبع هذا الكتاب ، ومن رغبة صادقة فى تقديم الخدمة العامة على كل اعتبار .

وإنى لأضرع لى الله أن يجزى الجميع خير الجزاء ، وأن يمنحنا القوة والقدرة على أداء الواجب علينا ؟

زكى شنوده

تمهيد

قدمنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب عرضاً موجزاً للتاريخ القبطى ، ليكون بمثابة المقدمة لدراسة ذلك التاريخ ، وليؤدى فى ذات الوقت مهمة التعريف بالأقباط ، على أن نتابع بعد ذلك تدوين تاريخ الأقباط فى الأجيال المتعاقبة .

بيد أننا لن يمكننا فى الواقع أن نفهم تاريخ الأقباط ، إلا إذا فهمنا قبل ذلك عقيدة الأقباط . ذلك لأنه إن كان تاريخ الأقباط قد تأثر إلى حد كبير بالعوامل السياسية والاجتماعية والدينية التى كانت سائدة فى مصر قبل دخول المسيحية إليها ، فإن هذا التاريخ قد تأثر كذلك ، بل أكثر من ذلك ، بالآثار الناجمة عن طبيعة العقيدة المسيحية ذاتها : تلك العقيدة التى تنطوى على مبادىء تغاير كل ما كان الناس يعرفونه قبل مجىء السيد المسيح من مبادىء ، وعلى أنظمة تختلف عن كل ما كان يسود المجتمع البشرى إذ ذاك من أنظمة . كما أنها تنطوى - من ناحية أخرى - على أفكار عويصة ، وأسرار غامضة ، تفوق مقدرة العقل البشرى ، وتتجاوز مدى تفكيره وتصوره ، فيقف أمامها موقف الدهشة والرهبة ، شأنه فى ذلك أمام كل أمر سماوى .

وقد نجم عن ذلك عاملان من أهم العوامل التى كان لها أبلغ الأثر فى توجيه تاريخ الأقباط ، بل فى خلق الأحداث التى صاغت ذلك التاريخ :

فقد كان العالم حين جاء السيد المسيح يعيش فى ظل الدولة الرومانية ، راسفاً - من الوجهة السياسية - فى أغلال العبودية والذل ، ورازحاً - من الوجهة الاجتماعية - تحت وطأة أجيال طويلة من الوحشية والشر ، ومن الوثنية والضلال ، حيث

لا شريعة إلا شريعة الغاب، ولا قانون إلا قانون الغلبة والاغتصاب، ولا مراعاة إلا لشهوة الاستئثار بالقوة، والإكثار من المال، واستعباد الأحرار من الرجال. فلا وازع من عقيدة، ولا رادع من ضمير، ولا منصف للمظلوم من الظالم، ولا مجير للمحكوم من الحاكم، وليس من يخاف الله، لأنهم لم يكونوا يعرفون الله في تلك الأجيال.

وقد توافرت الأسباب للدولة الرومانية فامتد سلطانها، واشتد نفوذها، حتى أصبح العالم كله في قبضتها، فراحت تخضعه بالقوة والقسر، وتفرض عليه حكم السيد للعبد، وتستنزف جهد أبنائه، وتمتص دمهم، لتجمع المال الذي يؤول آخر الأمر إلى أباطرتها وقياصرتها وولاتها، فينفقونه على ذواتهم وملذاتهم وهم يحيون في القصور حياة الخلاعة والفجور، مطمئنين إلى ما كان يسود الشعوب تحت حكمهم من فساد وانحلال، ورياء وارتشاء، لأن ذلك هو النتيجة الطبيعية لحكم الظلم بالنسبة للظالم والمظلوم على السواء. ولأن الناس على دين ملوكهم، بل لقد كانوا في ذلك كذلك على دين آلهتهم. لأن آلهتهم التي كانوا يعبدونها كانت أكثر منهم فساداً وانحلالا وإيغالا في الشهوات والشرور. فلم يكن على الناس من حرج — وهم يستمعون إلى القصص الفاضحة التي تدور أحداثها بين الآلهة وترويها الأساطير — أن يتمثلوا بها، وينسجوا على منوالها. ومن ثم كانت الدعامتان اللتان تقوم عليهما الدولة الرومانية في ذلك الحين، هما الاستبداد والرذيلة.

ثم جاء السيد المسيح فأي المبادىء نادى بها؟ لقد نادى بمبادىء تقوض هذه الدولة الرومانية من أركانها، وتخلع قياصرة الرومان عن عروشهم، بل تنزع آلهتهم من سماواتها لتلقي بها في هوة سحيقة من الظلام والعدم. ذلك لأنه بدل الاستبداد نادى بالعدل والمساواة والحرية للناس جميعاً. وبدل الرذيلة نادى بأنبل صور الفضيلة التي عرفتها البشرية في كل عصورها. وبدل عبادة القياصرة

والأصنام أعلن أن للعالم سيداً واحداً هو الله ، وله دون سواه تكون العبادة وينبغى الخضوع .

لذلك اهتزت الدولة الرومانية وجن جنون قياصرتها ، وأصبح اسم المسيح يفزع أولئك الطغاة ، ويزعزع العروش من تحتهم ، ويقض بالليل مضاجعهم ، فما كان يبلغ مسامعهم أن جماعة من رعاياهم قد آمنوا به ، حتى كانوا — وقد انتابهم الرعب — يصدرون الأوامر المحمومة بذبحهم جميعاً ، وتعذيبهم عذاباً فظيعاً . ولكن المؤمنين مع ذلك كانوا يزدادون فى كل أنحاء العالم يوماً بعد يوم ، ومن ثم يزداد خوف الرومان منهم ، فيوغلون فى التنكيل بهم ، ويبلغون فى ذلك من الوحشية مالا تبلغه الضوارى فى الجبال ، أو يصل إليه التصور أو الخيال .

وقد كان للأقباط النصيب الأوفى من ذلك العذاب الذى شنه الرومان على المسيحيين ، فبلغ عدد شهدائهم الملايين . وكان تاريخهم خلال القرون الثلاثة الأولى مذبحة مستمرة يفيض من جنباتها الدم الغزير ، وسلسلة متصلة من المصائب والتجارب التى يقصر دونها كل وصف أو تصوير .

ولما كان كل هذا العنت الذى لاقاه المسيحيون عموماً والأقباط على الخصوص إنما نشأ — كما رأينا — عن طبيعة المبادىء التى نادى بها السيد المسيح ، كان لزاماً علينا قبل أن نبدأ دراسة التاريخ القبطى ، أن ندرس بشىء من الإفاضة والتوسع ، تلك المبادىء التى تنطوى عليها العقيدة المسيحية ، عملا بمنطق التسلسل فى البحث من ناحية ، وضماناً للتعمق فى فهم الأحداث التى سنتناولها من ناحية أخرى .

* * *

أما العامل الآخر الذى كان له أكبر الأثر فى خلق الحوادث وتوجيهها إبان القرون الأولى ، فقد كان تلك العواصف العاتية من النقاش والجدال التى هبت

على العالم المسيحى ، ولا سيما خلال القرنين الرابع والخامس ، والتى أثارها حول بعض المسائل اللاهوتية نفر من الهراطقة المبتدعين ، أو ذوى المطامع والغايات المتطلعين إلى الشهرة والمجد ، أو الساعين إلى المناصب والرئاسات ، أو الداعين إلى التمسك بالدنيا تحت ستار الاستمساك بالدين ، أولئك الذين كانوا فى الغالب أداة فى يد الأباطرة الرومان ، يحققون بواسطتهم ما يرسمون من خطط ، أو ما يرمون إليه من أهداف .

ذلك أن السيد المسيح قد جاء إلى العالم بوسيلة فذة لم يسبق لها فى تاريخ البشر مثيل . ثم كانت حياته بعد ذلك سلسلة مستمرة من الآيات والمعجزات التى تفوق كل قوة بشرية ، ولا يمكن أن تصدر إلا عن القدرة الإلهية وحدها . وقد أماط لنا اللثام فى تعاليمه عن بعض الأسرار السماوية التى ما كنا لندركها بما أوتينا من ملكات أرضية قاصرة . ثم كانت خاتمة وجوده على الأرض ، أروع معجزاته جميعاً ، إذ بعد أن كان يقيم الموتى ويعيدهم إلى الحياة ، قام هو نفسه من الموت ، وأظهر نفسه للناس ، ثم صعد أمامهم إلى السماء . وقد شهد الذين رأوه وسمعوه بما رأوا وما سمعوا . حتى إذا لقوا فى سبيل شهادتهم تلك ما لقوا من عنت وعسف وعذاب ، صبروا وصمدوا ثم استشهدوا وهم يهتفون أمام الجموع باسم يسوع . فكانت شهادتهم وكان استشهادهم شعلة أضاءت قلوب الناس بالإيمان فى كل مكان .

حتى إذا عرف العالم كله يسوع المسيح وآمن به ، بعد صراع عنيف مع الدولة الرومانية من ناحية ، ومع الديانة الوثنية من ناحية أخرى ، واستقرت العقيدة المسيحية ، وأصبحت لها السيادة العليا على كل الشعوب ، لم تلبث العقلية اليونانية التى كانت قد تغلغلت فى العالم كله منذ عدة قرون ماضية ، أن بدأ يظهر أثرها فى تفكير بعض المسيحيين الذين أرادوا أن يخضعوا دراسة العقيدة المسيحية لمنهج

البحث الفلسفى عند اليونان . وقد رأينا أن العقيدة المسيحية سر إلهى تسلمه المؤمنون عن السيد المسيح وتقبلوه فى رهبة وخشوع يليقان بهيبة ذلك المعلم السماوى الذى أقنعهم بسمو ذاته وبمعجزاته ، بأن ما يقوله حق ، وأن تفكيرهم البشرى مهما بلغ من الفطنة قاصر عن أن يستوعب كنه ذلك العالم الروحى الذى حدثهم عنه، لأن ما هو مادى قاصر عن أن يدرك ما هو غير مادى . ولأن الروح لا يمكن أن يدرك كنهها إلا روح مثلها ، تجردت من المادة ، وتحررت من الجسد ، وانطلقت بغير قيد إلى حيث لا يمكن لبشر أن يدرك . ولكن بعض الناس لضعف إيمانهم ، أو لقصور تفكيرهم ، أو لغرورهم وخديعتهم فى قيمة أنفسهم ، ظنوا أن العقيدة المسيحية — مثلها فى ذلك مثل كل الموضوعات الدنيوية التى كانوا يتداولونها — يمكن أن تخضع للقواعد الفكرية التى كان اليونان ينتهجونها فى مجال البحث والجدال . فكانت النتيجة الطبيعية لذلك المسلك أنهم ضلوا السبيل فاشتطوا وتخبطوا ، حتى إذا نهض العلماء المسيحيون ليأخذوا بيدهم ويعودوا بهم إلى طريق الإيمان القويم ، إعترف البعض منهم بخطئهم ، ودللوا على حسن مقصدهم ، وعادوا نادمين مستغفرين . بيد أن البعض الآخر من أولئك الضالين كابروا وأصروا على ضلالهم واستمروا موغلين فى ذلك الطريق الشائك الذى سلكوه ، تدفعهم إلى ذلك وتشجعهم عليه مطامعهم ، أو مطامع الذين يساندونهم ويحرضونهم من الولاة والحاكمين ، كى يحققوا بواسطتهم أغراضهم الدنيوية باسم الدين ، وهى أبعد ما تكون عن الدين ، بل ضد الدين .

ومن ثم كان يتعين على المسيحيين المخلصين أن ينهضوا ليدافعوا عن عقيدتهم التى اقتنوها بالدماء . ويدفعوا عنها تلك الهجمات التى تهددها ساعية إلى هدمها . وقد كان للأقباط النصيب الأوفر فى هذا النضال الذى خاضوا غماره فى حماسة واستبسال ، حتى لقد كان تاريخهم ، ولاسيما فى القرنين الرابع والخامس ، يدور

بجملته وتفصيله حول الكفاح فى سبيل المحافظة على عقيدتهم القويمة ، والقضاء على كل ما يمسها ، ولو بذلوا فى سبيل ذلك الغالى من الأرواح . وقد ضرب البابوات الأقباط أروع الأمثال فى الجهاد إلى حد الاستشهاد فى هذا السبيل ، حتى لقد وقف بعضهم فى وجه الأباطرة الرومان الذين ساندوا المبتدعين ، غير عابئين بتهديدهم ولا بوعيدهم ، ولا بما لاقوه منهم يومذاك من ألوان المذلة والهوان . بل لقى بعضهم الموت فى هذا السبيل فتقبله بصبر وإيمان .

وقد كان من مقتضيات النضال عن العقيدة المسيحية ، الرد على المارقين بما يفحمهم ويبطل حجتهم ، ويقنع الناس بضلال تفكيرهم ، ويمنع الضعفاء من التأثر بهم أو الوقوع فى حبائل تدبيرهم . ولذلك شرع العلماء الأقباط يشرحون للناس العقيدة المسيحية على حقيقتها ، ويفندون كل زعم يخرج بها عن طبيعتها . وعلى هذا الأساس ، وفى سبيل هذه الغاية، قامت الجامعة المسيحية بالأسكندرية، فكانت مشعلا من مشاعل الفكر أضاء العالم كله بأروع المباحث اللاهوتية ، وأبدع مناهج التفكير المسيحى . وهكذا شغل الناس فى كل مكان بهذه المجادلات التى أثرت فى كل أمورهم ، واستأثرت بكل تفكيرهم ، فكانت هى مدار حياتهم، ومصدر كل حركاتهم وتصرفاتهم ، وكانت هى الأساس لكل ما وقع يومئذ فى العالم وفى مصر من أحداث .

فلا عجب إذا كنا إذن نوجه أعظم الاهتمام إلى دراسة عقيدة الأقباط ، قبل أن نشرع فى دراسة تاريخ الأقباط ، لأنها كما رأينا هى الأساس الذى قام عليه بناء ذلك التاريخ . ولأنها هى الضوء الذى لا يمكن أن نفهم ذلك التاريخ إلا أن نستعين به .

* * *

وعقيدة الأقباط ، التى هى العقيدة المسيحية ، إنما تتمثل فى حياة المسيح ذاتها . فلن يمكننا أن نفهم هذه العقيدة حق الفهم . إلا إذا عرفنا كيف جله

المسيح إلى العالم ، وكيف عاش ، وماذا فعل ، وماذا قال ، وكيف مات ، ثم كيف قام بعد ذلك من بين الأموات وصعد إلى السماء . وذلك لأن حياة المسيح في الواقع هي مصدر العقيدة المسيحية ، والمحور الذي تدور عليه كل مبادئها وكل ما تنطوي عليه من أفكار وأسرار .

ولعل أبلغ صورة يمكننا أن نأتي بها لحياة المسيح ، هي تلك التي رسمها تلاميذه ، بأسلوبهم البسيط المتواضع ، المتنوع مع ذلك بعبير الصراحة والصدق. فقد شاءت حكمة السيد المسيح ألا يختار تلاميذه من بين الأثرياء المترفين ، أو العلماء المتضلعين ، أو البلغاء البارعين في فنون الخطابة العارفين بأسرار التعبير والتحرير . وإنما اصطفاهم من الفقراء المتواضعين الذين يحصلون على قوتهم بشق النفس من أقل الأعمال شأناً وأكثرها هواناً ، والذين لم تتح لهم ظروف حياتهم القاسية قسطاً من علم ، أو تسمح لهم بنصيب من ثقافة . ولذلك فإنهم حين آمنوا بالمسيح كان إيمانهم مخلصاً ، خالصاً من كل صبغة مكتسبة ، خالياً من كل صنعة مفتعلة . ثم حين كتبوا عن يسوع ، كان ما كتبوه صورة صادقة لما رأوا وما سمعوا في أسلوب بسيط لا بلاغة فيه إلا بلاغة الصدق ، ولا صياغة فيه تهدف إلى أي تنميق أو تزويق أو زخرفة ، إلا أنه مع ذلك تكسوه مسحة سماوية تجعل منه أبدع ما سطرته يد بشر .

لذلك فإننا إذ ندرس العقيدة المسيحية يجب أن ندرس حياة المسيح . وإذ ندرس حياة المسيح ينبغي أن نلتزم ذات الصورة التي رسمها تلاميذه ، محتفظين بكل ما فيها من بساطة وصدق ، دون ما حاجة إلى أي شرح أو تفسير أو تعليق ، لأنها بذاتها تشهد لذاتها ، ولأن أي زيادة عليها تنتقص من بهائها وروعتها .

وقد كتب سيرة السيد المسيح أربعة من تلاميذه هم متى ومرقس ولوقا ويوحنا. وقد شهد كل منهم بما رأى وسمع : فانفرد بعضهم أحياناً بذكر بعض الحوادث.

وأجمعوا أحياناً أخرى على ذكر بعضها الآخر ، طبقاً للظروف والملابسات، ولما رأى كل منهم أن يذكره من تلك الحياة الزاخرة بالأحداث والمعجزات . وقد ذكروا أنهم لم يدونوا فى رسائلهم التى كتبوها كل ما جرى أمامهم طوال كرازة السيد المسيح ، وقد بلغت ثلاث سنوات وبضعة أشهر ، لأن ماجرى خلال هذه الفترة من آيات يسوع وما سمعوه من عباراته لا عدد له ولا حصر . ولكنهم أتوا بأمثلة من كل ذلك ، بالقدر الذى يرسم للعالم صورة متكاملة للسيد المسيح ، ليؤمن به الذين لم يروه ، بناء على شهادة تلاميذه . وقد عزز أولئك التلاميذ شهادتهم تلك بأغلى ما يمتلكه بشر ، إذ بذلوا فى سبيلها حياتهم ، وظلوا ثابتين عليها حتى الموت . فكان استشهادهم هو البرهان أمام العالم على صدق شهادتهم .

وقد جمعنا فى بياننا لسيرة السيد المسيح بين الحوادث التى ذكرها التلاميذ الأربعة ، بالقدر الذى يسمح به حجم هذا الكتاب من ناحية ، وبالقدر الذى يتيح تكوين فكرة كاملة عن العقيدة المسيحية من ناحية أخرى ، متوخين أن نحتفظ بالعبارات الأصلية وبالترجمة الحرفية ما أمكن ذلك ، دون أى توضيح من جانبنا إلا فى أضيق الحدود . ومجتهدين فى ذات الوقت أن نقترب ما أمكن ذلك إلى أفهام الناس جميعاً ، كى تشمل الفائدة كل من يطمع فيها أو يتطلع إليها .

حتى إذا انتهينا من ذلك يمكننا بعد هذا أن نبدأ فى تدوين تاريخ الأقباط مطمئنين إلى أننا سنفهم كل حادثة على حقيقتها ، ما دمنا قد نصبنا من العقيدة المسيحية مناراً يهدينا ويأخذ بأيدينا فى ظلام الطريق وأعاصير الأحداث : فإذا رأينا ثورة غضب من أحد الأباطرة الرومان على المسيحيين عرفنا لماذا يثور . وإذا رأينا ضلالا فى التفكير من بعض الوثنيين ، أو بعض ذوى الإيمان الضعيف من المؤمنين ، عرفنا سر هذا الضلال وما يدفع إليه من سبب ظاهر أو مستور .

وإذا احتدم الجدال بين بعض علماء الأقباط حول مشكلة من مشكلات اللاهوت، أمكننا أن نتابع جدالهم فى فهم وإدراك لما فيه يتفقون أو يختلفون ، على أننا بيننا ذلك لن تسنح لنا فرصة إلا انتهزناها فى شرح مبادىء العقيدة المسيحية كما استقيناها من حياة السيد المسيح وما صدر عنه من أقوال وأعمال ، كى نكفل بذلك أكبر قدر ممكن من المعرفة الصحيحة والإلمام الواضح بكل ما ينطوى عليه تاريخ الأقباط من أحوال وأحداث .

إلا أن حياة السيد المسيح كما دونها تلاميذه ، وإن كانت تعطينا فكرة كاملة عن أعمال السيد المسيح وعن تعاليمه ، فإننا لن يتسنى لنا أن نفهم كل ما فعل وكل ما قال إلا أن نفهم قبل ذلك طبيعة المجتمع الذى كان يحيط به ، لأن أفعاله وأقواله كانت تستند كلها إلى أحوال هذا المجتمع ، وما كان يسوده من أفكار وعقائد وتقاليد .

ذلك أن الحكمة الإلهية قد شاءت أن يجىء المسيح المنتظر ليهدى الناس إلى طريق الحق ، لا فى أرض أمة من الأمم العظيمة فى ذلك الحين ، كالمصريين أو اليونان أو الرومان ، وإنما فى أرض أمة صغيرة هى أمة اليهود ، التى كانت ترسف على الدوام فى أغلال العبودية والذل ، والتى لم يكن لها فى وقت من الأوقات نصيب ملحوظ من الحضارة أو الثقافة أو الفلسفة ، ولم يكن لها رصيد من العلوم أو الآداب أو الفنون . بل كانت حفنة قليلة من الناس فى فلسطين ، طاردها الجوع فهربت إلى مصر . ثم طردها المصريون فهرعت عائدة إلى بلادها ليطردها بعد ذلك الأشوريون ، فتحيا حياة العبيد فى بابل . ثم تعود بقية منها إلى فلسطين مرة أخرى فلا تلبث أن تقع فى قبضة اليونان ، ثم بعد ذلك فى قبضة الرومان . فكان تاريخها كله سلسلة من المذلة والهوان . ورغم أنها سليلة رجل آمن بالله فى مجتمع يعبد كله الأصنام ، ورغم أن الله قد بعث من بينها كثيرا من

الأنبياء والحكماء ليعلموها شريعته ويهدوها سواء السبيل ، فقد كانت من أكثر الشعوب شراً ، وأقلها فضيلة ، وأبعدها عن اتقاء الله ، وأقربها إلى التمرد عليه والكفر به والتخلى عن تعاليمه ووصاياه . حتى إذا أراد حكامها أو حكماؤها أن يردوها إلى الصواب تمردت عليهم وعاندتهم، أو قامت عليهم فقتلتهم . وإذ يئس أنبياؤها من إصلاحها ، كانوا يلجأون إلى ربهم طالبين إليه العون، فكان يلهمهم بما يعزيهم ، ويبشرهم بأنه سيأتى إليهم ذلك الذى سيهزم الشر، ويمحو كل الذنوب، ويجلس على عرش القلوب ، ويكون مسيحاً للرب ، أى أن الرب سيمسحه ملكاً على كل الشعوب . ولكن اليهود حسبوا ذلك الملك الموعود زعيما أرضياً يأتى إليهم فى مجد عظيم ، ويخلصهم من ربقة الاستعباد، ويملأ أيديهم بالمال والعتاد، ويغدق عليهم كنوز الأرض ، ويعيد إليهم مملكة داوود التى فقدوها ولا يفتأون يحلمون بعودتها . حتى إذا جاء المسيح لم يشأ إلا أن يبدد آمالهم الكاذبة ، ويندد بغرورهم وأنانيتهم ، ويثبت لهم أن المجد والمال والكبرياء الفارغة التى يتعلقون بها أوهام لا تلبث أن تذروها الرياح ، وأن العظمة الحقيقية إنما تكمن فى داخل القلب وتنبع من الروح وتتمثل فى صلة الإنسان بربه . لأن هذه الصلة هى السبيل الأوحد إلى السعادة فى الحياة ، وإلى الخلود بعد الموت . لذلك فإن السيد المسيح، كما اختار شعبا من أحقر الشعوب ليظهر فى أرضه ، كذلك اختار قرية من أحقر القرى فى هذه الأرض ليولد فيها . فلم يكن ميلاده فى قلعة من قلاع الملوك ،ولا فى قصر من قصور الأغنياء ، وإنما فى مغارة متواضعة من مغارات بيت لحم . ثم كانت نشأته بعد ذلك فى قرية من قرى الجليل التى كان اليهود يحتقرونها ويترفعون على ساكنيها . ولم يختر لنفسه وظيفة من الوظائف المرموقة فى المجتمع اليهودى أو مظهراً من مظاهر الوجهاء المبجلين فى ذلك المجتمع ، كأن يكون من رؤساء الكهنة أو شيوخ المجمع أو علماء الناموس أو الفريسيين أو الصدوقيين أو أى طائفة من تلك الطوائف التى كان اليهود يحترمونها ويرمقونها بعين التقدير

والإكبار. وإنما اختار أن يكون نجاراً بسيطاً ، ينظر الناس إليه فى استهانة واستخفاف ، فلا مكانة له بحكم مهنته تلك فى المجتمع ، ولا يحييه الناس فى الأسواق ، ولا يتركون له المجالس الأولى فى الولائم ، كما كانوا يفعلون مع رؤسائهم وأصحاب الرأى فيهم . لذلك حين بدأ السيد المسيح رسالته وأراد أن يبث فيهم تعاليمه أنكروا عليه ذلك ، واستهزأوا به قائلين أى سلطان لهذا النجار حتى يعلمنا ؟ وقد أثبت لهم سلطانه بما أتاه أمام أعينهم من آيات خارقة للطبيعة ، فشفى مرضاهم وأقام موتاهم وفتح أعينهم على أروع أسرار السماء . ولكنهم مع ذلك غلظت قلوبهم وعميت بصائرهم عن أن يدركوا أن هذا هو المسيح الذى ينتظرونه . لأنهم كانوا ينتظرون ملكاً أرضياً يقودهم ليسودوا العالم كله ، وليس إنساناً فقيراً متواضعاً يوصيهم بالصبر والاحتمال ، ويقول لهم أن مملكته ليست من هذا العالم ، ولا يعدهم إلا بملكوت السماء . وقد كانت رسالة السيد المسيح موجهة إلى العالم كله فى كل مكان وكل زمان . فلم تكن مهمته أن يعالج مشكلة اليهود مع الرومان ، أو مع الفقر والحرمان ، أو أن يرضى جشعهم ، أو أن يحقق لهم مطامعهم القائمة على الأنانية والغرور والكبرياء ، والتطلع فى تكالب ونهم إلى التسلط والثراء . لذلك لم يفهمه اليهود ولم يرتفعوا إلى مستواه ، بل نقموا عليه وقتلوه كما قتلوا كثيرين قبله من مصلحين وأنبياء . حتى إذا هزم الموت وعاد إلى الحياة ، آمن به الصالحون منهم أما الطامعون ، والطامحون الجشعون ، وأصحاب القلوب المظلمة التى أعماها الغرور أو الفجور أو الغباوة أو الغشاوة التى تسدلها الشهوات والشرور على البصائر والأبصار ، فتمادوا كابروا وأنكروا وانتظروا ملكاً آخر يأتيهم ليحقق لهم ما يراودهم من أحلام . ولكنهم قد حقت عليهم النقمة فلم تمض بضعة أعوام حتى شهدوا خراب بلادهم ، وهلك أغلبهم تحت أنقاضها . ومن بقى منهم ظل شريداً طريداً ، لا دار له ولا وطن .

* * *

وقد خاطب السيد المسيح اليهود ، وهو يعلمهم بالأسلوب الذى يفهمونه، فكان لا يفتأ يتخذ موضوع حديثه معهم مما يحيط بهم ويسود مجتمعهم من مظاهر وتقاليد، ويضرب لهم الأمثال التى تعينهم على إدراك معانيه ومراميه مما يعلمونه ويعرفونه من أحوالهم وأحداث حياتهم كما أنهم من جانبهم عاملوه حسب عاداتهم وتعاليم علمائهم وكهنتهم وما درجوا عليه فى طقوسهم وعباداتهم . فكان لذلك كله أكبر الأثر فيما فعله هو معهم ، وفيما فعلوه هم معه .

فلا سبيل إذن إلى فهم حياة السيد المسيح كما رواها تلاميذه ، وإلى إدراك حكمة أعماله ومرمى أقواله ، إلا أن ندرس قبل ذلك طبيعة المجتمع اليهودى الذى عاصر حياة السيد المسيح على الأرض . لذلك نجد لزاماً علينا أن نبدأ بدراسة هذا المجتمع دراسة وافية بقدر المستطاع ، وبقدر ما تتيح لنا المراجع التى وصلت إلى أيدينا عن اليهود ، وما كان يسود أمتهم فى عهد السيد المسيح من أحوال وأوضاع .

ومن ثم سنفرد الباب الأول من هذا الجزء لدراسة « المجتمع اليهودى فى وقت مجيء السيد المسيح » . ثم نخصص الباب الثانى لدراسة « العقيدة المسيحية » التى استمدت جوهرها من حياة السيد المسيح ، واعتمدت فى التبشير بها على أعمال الرسل وأقوالهم وقد بشر بها مرقس الرسول فى مصر ، فاعتنقها الأقباط ، وكانت هى المحور الذى دارت حوله كل حياتهم ، والذى تكونت منه على مر العصور حوادث تاريخهم . وبذلك نكون قد مهدنا بدراسة « عقيدة الأقباط » لدراسة « تاريخ الأقباط » .

الباب الأول

المجتمع اليهودى في وقت مجىء السيد المسيح

مقدمة

رأينا أنه لكى ندرس حياة السيد المسيح ونفهم أعماله وأقواله حق الفهم ، ينبغى علينا قبل ذلك أن ندرس المجتمع اليهودى فى وقت مجيئه .

ويقتضينا ذلك أن نلم إلماماً سريعاً بتاريخ اليهود : لأن فى ذلك التاريخ تكمن الجذور البعيدة التى تغذى طبيعة اليهود بهذا المزيج العجيب من التدين والضلال معاً ، ومن الصلف والهوان فى وقت واحد ، ومن التمرد والخنوع مجتمعين مع ما بينهما من تناقض وتباعد . ولأن فى ذلك التاريخ تفسيراً لموقف اليهود من السيد المسيح ، وتبريراً لما لقيه لدى بعضهم من استجابة وإيمان ، ولدى بعضهم الآخر من رفض وإنكار وإصرار على أنه ليس هو المسيح الذى ينتظرونه من قديم الزمان .

ثم لكى نتابع المناقشات التى أثارها السيد المسيح بصدد الشريعة اليهودية ، والطريقة القويمة لتطبيقها ، ينبغى أن نحيط بالمبادىء الأساسية التى تقوم هذه الشريعة عليها ، وبالصورة التى كانت لدى اليهود منها ، وما أدت إليه عقلية الناموسيين وغيرهم من المتصدين للبحث فيها ، من اهتمام بالشكل وإهدار للروح والجوهر ، مما كان مثاراً لكثير من المعارك التى شنها اليهود على السيد المسيح ، وكان مصدراً لأهم التهم التى وجهوها إليه واتخذوها تكأة للحكم عليه بالموت .

ولعل مما يعنينا فى هذا البحث كذلك أن نعرف اللغة التى كان اليهود يتخاطبون بها فيما بينهم ، وكان السيد المسيح يخاطبهم بها وهو يعلمهم ويعزيهم ويشفى مرضاهم ويحيى موتاهم ، أو وهو يؤنبهم على ما ارتكبوا من شرور ، أو وهو يرد على مغالطاتهم واتهاماتهم التى كانوا يوجهونها إليه ، فيفحمهم ، ويلجمهم ، ويلجئهم كارهين إلى السكوت .

كما يعنينا فى هذا البحث كذلك أن نعرف شيئاً عن طبيعة أرض فلسطين فى وقت مجىء السيد المسيح ، وما كانت تضمه من ولايات ، وما كان فى تلك الولايات من مدن أو قرى ، حتى يمكننا بذلك أن نتابع السيد المسيح فى تجواله من ولاية إلى أخرى ، ومن مدينة أو قرية إلى غيرها من المدن أو القرى ، ولا سيما أن انتقاله من مكان إلى آخر فى فلسطين كان ينطوى على دلالة بالغة ، وكانت تقتضيه ظروف حياته التى قضاها على الأرض .

وإذ كان اليهود ينتظرون مجىء السيد المسيح ، لأن ذلك واضح فى نبوءات أنبيائهم ، ومدون فى كل كتبهم ، يقتضينا ذلك أن نورد بعض هذه النبوءات حتى تتكامل فى أذهاننا الفكرة التى كانت لدى اليهود عن المسيح المنتظر ، وكيف كانوا يتوقعون مجيئه .

ومن ثم نتناول هذه الأبحاث فى خمسة فصول متتالية :

الفصـــل الأول

قيام الأمـة اليهودية وسقوطها

نتكلم فى هذا الفصل عن تاريخ اليهود ، منذ نشأتهم حتى سقوط أمتهم بعد خراب أورشليم .

ولكننا قبل ذلك نفرد كلمة عن المصادر التى استقينا منها ذلك التاريخ، لأن البحث عن هذه المصادر — فيما عدا التوراة — قد شغل العلماء زمناً طويلا ، حتى توصلوا فى بحثهم إلى أروع النتائج ، ومن ثم أصبح لدينا من المعلومات عن اليهود وغيرهم من الشعوب التى ورد ذكرها فى التوراة قدر يكاد يضارع ما لدينا من المعلومات عن قدماء المصريين .

البحث الأول

مصادر تاريخ اليهود

كان المصدر الوحيد لاستقاء المعلومات عن تاريخ اليهود إلى عهد قريب هو التوراة، حتى بدأت المجهودات لاستكشاف المواضع التي تمت فيها حوادث الكتاب المقدس ، وكان ذلك عام ١٨٣٨ بعد الميلاد ، حين قام العالم الامريكى « روبنصن » بوضع خرائط دقيقة ومنظمة لمئات من المدن ومواقع الأحداث التي ورد ذكرها في أسفار ذلك الكتاب . ثم لم يلبث المستشرق الفرنسي « بول بوتا » أن توصل إلى اكتشاف موقع مدينة « دور شاروفين » القديمة على بعد إثني عشر ميلا من شمال الموصل، وقد عثر في ذلك الموقع على قصر الملك « سرجون » الثاني ، الذى عاش بين عامى ٧٢٢ و ٧٠٥ قبل الميلاد ، والذى ورد ذكره في سفر أشعياء النبي (أش ٢٠ : ١) . وكان هذا إيذاناً باكتشاف مملكة مفقودة لم تكن معروفة من قبل . وقد جمع « بول بوتا » أبحاثه في خمسة مجلدات ضخمة تضم صور الحياة في ذلك العصر القديم .

ثم اكتشف سير أوستن لايار مدينة من مدن الأشوريين على بعد عشرين ميلا من جنوب شرقى الموصل على جبل نمرود الذى ورد ذكره في سفر التكوين (تك ١٠ : ٨ - ٩) وكانت تلك هي مدينة كالح التي ورد ذكرها في سفر التكوين كذلك (تك ١٠ : ١١) وقد اكتشف بها قصر الملك « آشور ناصربال الثانى » الذى حكم بين عامى ٨٨٥ و ٨٥٩ قبل الميلاد .

وفى عام ١٨٤٩ بعد الميلاد اكتشف لايار بقايا قصر الملك « سنحاريب » ملك الأشوريين الذى ورد ذكر حصاره لأورشليم فى سفر الملوك ، وذلك موضع مدينة نينوى التى كانت عاصمة للأشوريين . وقد اكتشف فى قصر سنحاريب مكتبة حفيده « آشور بانبال » التى سجلت أمجاد مملكة آشور القديمة . ويرجع الفضل إلى السير هنرى رولنصون فى فك رموز الكتابة المنقوشة على جدران قصور نينوى ، وهى المسماة بالكتابة المخروطية ، وقد تبين له أن جانباً من هذه الكتابة قد تم تدوينه بناء على أمر الملك داريوس الفارسى عام ٥١٥ قبل الميلاد. وكانت هذه الكتابة باللغتين العيلامية والبابلية ، وهى تؤيد الأخبار الواردة عن ذلك فى سفر عزرا (٥ : ٥ و ٦ : ١ — ٧) وفى سفر حجى (١ : ١) وفى سفر زكريا (١ : ١) .

وفى خرائب نينوى اكتشف العالم البريطانى « جورج سميث » مئات أخرى من لوحات مكتبة الملك « آشور بانبال » ، فبلغت بذلك اللوحات المكتشفة نحو ثلاثين ألف لوحة ، وكلها وثائق تاريخية عن بابل القديمة ، وهى تعطينا فكرة كاملة عن حياة الأشوريين وعلومهم وفنونهم وأعمالهم حتى أصبحنا نعرف الكثير عنهم .

وقبل أن يبدأ الباحثون التنقيب فى أراضى العراق ، لم يكن أحد قد عرف بعد موقع مدينة « أور الكلدانيين » التى نشأ فيها ابراهيم وهو الجد الأول لليهود . ولكن بفضل مجهودات « سير ليونار وولى » أمكن اكتشاف موقع هذه المدينة .

كما كشفت الحفريات عن قصر أثرى من أروع القصور القديمة بناه الملك « زمرى لى » ، وقد عثر الباحثون فى هذا القصر على أكثر من عشرين ألف لوحة ، تلقى محتوياتها كثيراً من الأضواء على أسماء مدن عديدة ورد ذكرها فى سفر

التكوين ، ومنها مدينة حاران التى رحل إليها ابراهيم ، ومدينة توراحى التى قد تكون منسوبة إلى تارح والد ابراهيم، ومدينةسيروج التى قد تكون منسوبةالى سيروج جدابراهيم،كما وردفى الآثار ذكرمدينة دوثان وبيت إيل وشكيم الواردة كلها فى التوراة .

وقد اكتشف العالم الفرنسى « جاك دى مورجان » فى الأراضى الإيرانية قصر شوشن الذى يرجحون أنه هوالقصر المذكور بالتوراة فى قصة إستير ، وقد عثر فى ذلك الموضع على قـــدر عظيم من الكنوز والمخطوطات الأثرية التى احتلت قاعتين كاملتين فى متحف اللوفر .

كما اكتشفت أخيرا بقرب اللاذقية فى سوريا بقايا مدينة «أوجاريت» القديمة التى تأسست فى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، ووجدت بين خرائبها مكتبة تضم مئات من الألواح المكتوبة بالخط المخروطى بتسع لغات مختلفة ، وقد ورد بها كثير من المعلومات عن الحوريين والبابليين والأشوريين وغيرهم من الشعوب التى ورد ذكرها فى التوراة .

وقد قام كثير من علماء الآثار وفى مقدمتهم « سايس » و « لورانس » و« وليم رايت » و « هيو ونكلر » و «ليونار وولى » بأعمال الحفر والتنقيب فى منطقة كركيش ، حيث اكتشفوا آثارا كثيرة تتحدث عن امبرطورية عظيمة شملت فى العصور القديمة آسيا الصغرى كلها إلى حدود الفــرات ، وتلك هى امبراطورية الحثيين التى تكلمت التوراة عنها وعن علاقاتها باليهود الذين كانوا يعرفون بالعبرانيين .

وهكذا أصبحت الآثار القديمة التى اكتشفت ، ولا يفتأ الباحثون يكتشفون مزيداً منها، مصدراً هاماً من مصادر التاريخ التى تلقى ضوءاً عظيما على الأحداث الواردة فى التوراة وتعيننا على فهم كثير من غوامض هذه الأحداث ، ولذلك فإننا سنعتمد على هذه الآثار إلى حد كبير فى سرد تاريخ اليهود .

البحث الثانى

مراحل تاريخ اليهود

١ - أصل اليهود

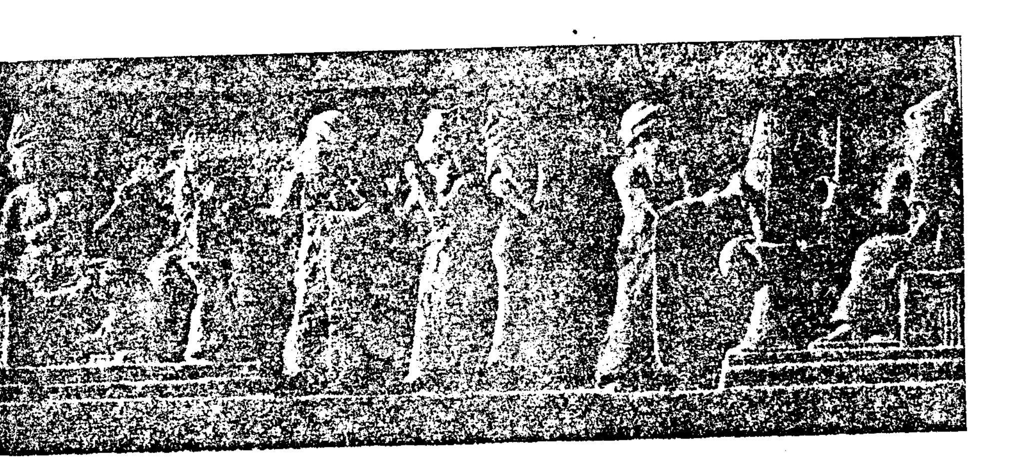
منذ خمسة آلاف سنة ، أى حوالى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، رحلت طوائف من الشعوب السامية من جنوب غربى آسيا إلى مختلف أنحاء الشرق الأوسط . وقد استقرت إحدى هذه الطوائف بالمنطقة المتاخمة للبحر الأبيض ، وعرفت بالكنعانيين .

وقد انقسمت طائفة الكنعانيين بدورها إلى طائفتين : أقامت إحداهما فى الشواطىء وهى التى عرفت بالفينيقيين وأقامت الأخرى فوق جبل كنعان وهى التى عرفت بالأموريين . فما حل عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد حتى كان أولئك الأموريون قد تسلطوا على بلاد ما بين النهرين المسماة اليوم بالعراق ، بعد أن قهروا ساكنيها الذين كانوا يعرفون بالسومريين ، وأقاموا مملكة هناك ، وجعلوا عاصمتها مدينة بابل ، وتقع جنوبى بغداد الحالية .

وكانت تقع فى الجنوب من بابل مدينة متحضرة تدعى « أور » . وكانت من قبل مركزاً للحضارة السومرية التى هى من أعرق الحضارات القديمة : وفى

هذه المدينة نشأ ابراهيم بن تارح ، الجد الأول لليهود ، وكان ذلك خلال القرن العشرين قبل الميلاد .

وكانت مدينة « أور » مركزاً للعبادة الوثنية ، فى حين كان ابراهيم يؤمن بوجود الله الواحد ولا يتعبد إلا له ، ومن ثم كان هدفاً للاضطهاد من جانب الوثنيين ، حتى إذا ضيقوا الخناق عليه ، لم يسعه آخر الأمر إلا أن يرحل مع



« صورة مأخوذة عن الآثار تمثل أورنامور حاكم مدينة أور »
« سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد وهو يتعبد إلى شماس إله العدل »

أسرته إلى مدينة أخرى تدعى حاران ، وهى تقع فى الشمال الشرقى من منطقة بين النهرين . وكانت فى ذلك الحين ملتقى الطرق التجارية بين مختلف مدن المنطقة الواقعة بين البحر الأبيض ووادى دجلة والفرات ، وكانت تلك المنطقة مأهولة إذ ذاك بخليط من الأجناس المختلفة ، وكان من بينها الأشوريون القاطنون حول نهر دجلة ، والحثيون القاطنون فى آسيا الصغرى ، والآراميون القاطنون بين وادى الفرات وجبال لبنان . وذلك فضلا عن الكنعانيين والفينيقيين والبابليين

والحورانيين وغيرهم . وكان لكل جماعة من تلك الجماعات لغتها الخاصة بها . بيد أنه كانت في المنطقة كلها لغة مشتركة للتفاهم في العلاقات التجارية والسياسية ، وكانت تلك هي لغة الأكاديين التي تطورت بعد ذلك فنشأت عنها اللغتان العبرية والعربية .

حتى إذا توفى تارح والد ابراهيم ، نزح هذا مع قومه من « حاران » إلى أرض كنعان المعروفة اليوم بأرض فلسطين ، وهنالك استقر في مدينة « شكيم » المسماة اليوم « نابلس » ، فكان أولئك هم باكورة العبرانيين الذين عرفوا بعد ذلك باليهود .

إلا أنه حدث في تلك الأيام جوع في أرض كنعان ، فانحدر ابراهيم وقومه إلى مصر . وكان ذلك على الأرجح في أثناء حكم الهكسوس . إذ يحدثنا التاريخ أنه في عهد الهكسوس تسلل إلى مصر في فترات متقطعة كثيرون من أرض كنعان .

وبعد أن لبث ابراهيم زمناً في مصر عاد إلى أرض كنعان واستقر في أرض حبرون ، وظل هناك حتى توفى فورثه ابنه اسحق وهو الجد الثاني لليهود ، وقد تزوج ابنة ابن عمه من بين النهرين وجاء بها إلى أرض كنعان ، وولد منها يعقوب ، وهو الجد الثالث لليهود ، وكان لقبه اسرائيل ، ولذلك لقب اليهود كذلك بالإسرائيليين .

وكان ليعقوب إثنا عشر ولداً ، كان من أصغرهم يوسف ، وقد نقم عليه إخوته فباعوه لتجار مصريين ، وجاء به أولئك إلى مصر وباعوه لأحد وزرائها ، ثم أدت به وشاية كاذبة من زوجة هذا الوزير إلى السجن ، ولكنه لم يلبث أن أطلق سراحه ، ودخل في خدمة فرعون وأصبح وزيره الأول ، وكان ذلك أثناء حكم الهكسوس . فما استتب ليوسف الأمر حتى أرسل وأتى بأبيه وإخوته إلى مصر وأقطعهم — بناء على أمر فرعون — مساحة من أرض الدلتا ، فأقاموا هناك .

وقد ظل اليهود مقيمين بمصر بضع مئات من السنين فى رغد من العيش ، وقد كانوا يشتغلون بالزراعة والرعى فى تلك البقعة من أرض الدلتا ، التى هى أخصب بقاع العالم .

ولكن الأسرة الحاكمة فى مصر لم تلبث أن تغيرت ، وقام بعدها ملوك كرهوا اليهود فأذلوهم واستعبدوهم وسخروهم فى بناء المدن والقصور . بل جاء وقت صمموا فيه على إبادتهم وقطع دابرهم ، فكانوا يقتلون أطفالهم ، ويهلكون رجالهم فى أشق الأعمال . وفى ذلك الوقت ولد موسى ، فاحتالت أمه حتى نجا من الموت إذ خبأته فى سلة ووضعته على شاطىء النيل وساقت إليه المقادير ابنة فرعون فأخذته وقامت بتربيته فى قصر أبيها ، حتى إذا شب درس علوم المصريين وآدابهم وحكمتهم ، فلما بلغ مبلغ الرجال ورأى ما يحيق ببنى جنسه من أهوال عزم على العمل لخلاصهم ، وراح يسعى مع أخيه هارون حتى أذن فرعون أخيراً لليهود بمغادرة البلاد ، فخرجوا منها ميممين شطر فلسطين ، وكان عددهم إذ ذاك نحو ستمائة ألف رجل ، غير النساء والأطفال .

ولكن اليهود لم يلبثوا أن تاهوا فى صحراء سيناء فظلوا مشردين هناك حوالى أربعين سنة ، يعيشون فى الخيام ، ويرعون القطعان والمواشى ، شأن البدو الرحل. وفى خلال هذه المدة أنزل الله الشريعة على موسى ، وقد أوضح فيها لليهود الكيفية التى يعبدون بها ربهم ، وشرح لهم قواعد معاملاتهم وأعيادهم ومواسمهم وذبائحهم وتقدماتهم ، وأنواع الجرائم والذنوب وعقاب من يقترفها منهم . وكان أساس الشريعة كلها هو الوصايا العشر التى هى بمثابة دستور لعقائد اليهود وقاعدة لإيمانهم .

وقد تعرض اليهود فى زمن تشردهم فى الصحراء لكثير من البلايا والمحن التى أدت إلى فناء الجيل الذى خرج من مصر كله ، فلم يبق إلا أبناؤهم الذين ولدوا فى الصحراء . وقد حدث فى هذه الأثناء أن قام اليهود وتمردوا على موسى

وهارون طالبين إليهما إعادتهم إلى أرض مصر ، ثم لم يلبثوا أن ارتدوا عن عبادة الله مستعيضين عنها بعبادة الأوثان ، فنزلت بهم حينئذ الضربات والكوارث حتى تابوا وأقلعوا عن تمردهم على إلههم وموسى نبيهم .



« إبنة فرعون تعثر على موسى الطفل »

حتى إذا أصبح اليهود على مقربة من فلسطين توفى موسى ، وكان قد عهد بالقيادة إلى تلميذه يشوع بن نون. فدخل هذا باليهود إلى أرض فلسطين من الجهة الشرقية ، وأغار على الأمم المقيمة فيها وأجلاها وقسم أرضها على اليهود ، ثم عبر الأردن وحارب من بقى من الكنعانيين فانتصر عليهم ، ومن ثم استولى على أرض فلسطين كلها .

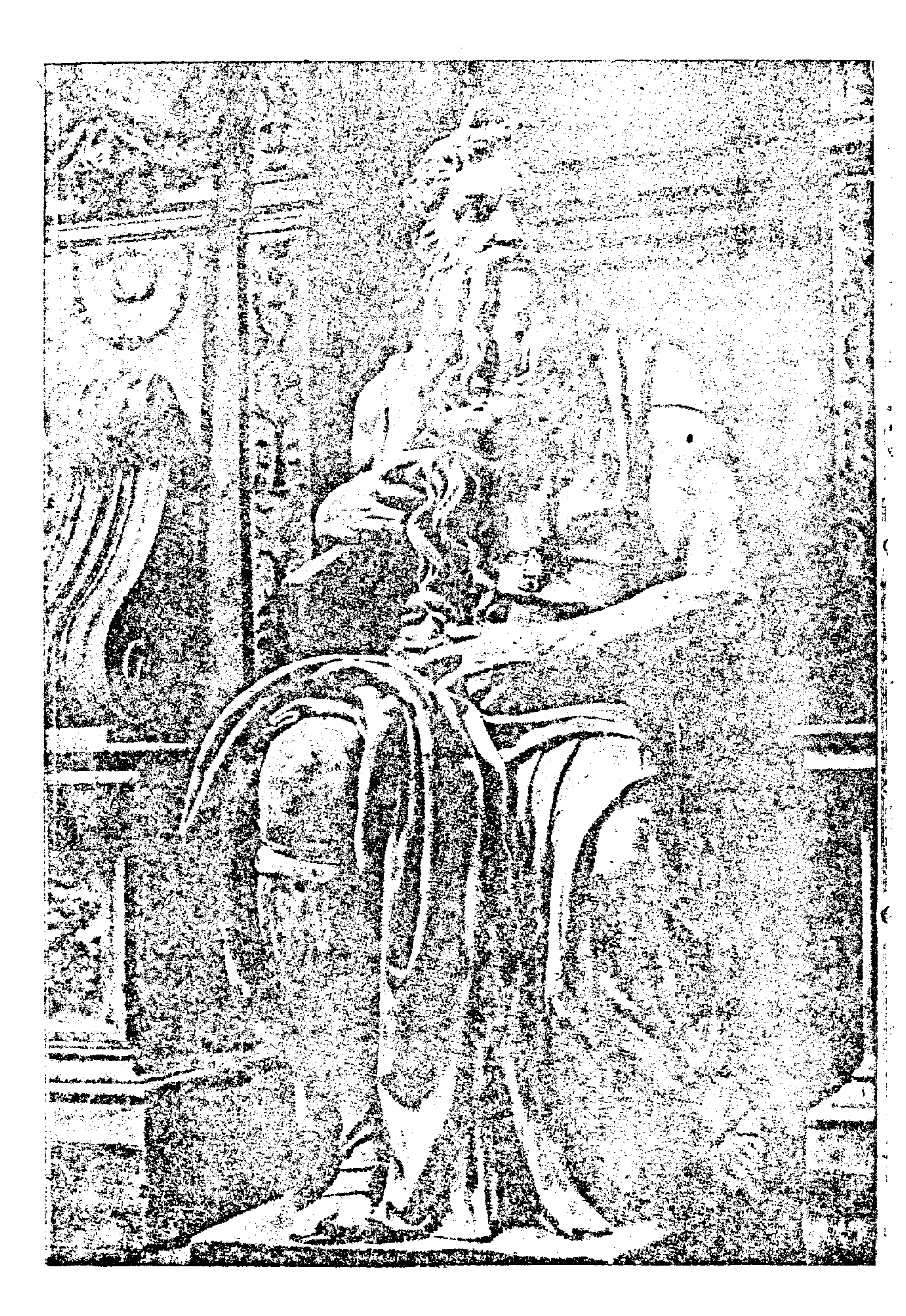
وقد اكتشفت فى تل العمارنة بمصر لوحات أثرية مكتوبة بالخط المسمارى المخروطى ، بلغ عددها أربعمائة لوحة ، وقد تبين من دراستها أنها مرسلة من حكام فلسطين إلى فرعون مصر ، يستنجدون به لحمايتهم من غزو شعب مغير أطلقوا عليه اسم « العبيرو » ، ولا شك أن هذا هو شعب اليهود ، لأنهم كانوا يعرفون « بالعبرانيين » .

٢ — عصر القضاة

وبعد أن مات يشوع بن نون تولى أمر اليهود حكام عرفوا بالقضاة ، لأنهم كانوا يجمعون إلى السلطة الحربية سلطة الفصل فى القضايا ، وقد بلغت مدة حكم أولئك القضاة ٤٥٠ سنة ، كانت البلاد خلالها أشبه بولايات متحدة ، ينفرد بكل ولاية منها سبط من أسباط اليهود الإثنى عشر ، ويحكم كل ولاية من هذه الولايات أحد الشيوخ من سبطها .

وقد نشأ عن اختلاط اليهود بالكنعانيين فى تلك الفترة ، أن بدأوا يحاكونهم فى أساليب حياتهم ، بل لقد كانوا أحياناً يعبدون آلهتهم ، ومن ثم يرتدون من عبادة الله إلى عبادة الأصنام . وكان من نتيجة الشرور التى انغمس فيها اليهود إذ ذاك ، والبلبلة الناشئة عن تطاحن المعتقدات فى مجتمعهم أن ظهر بينهم مفكرون سبقوا أهل زمانهم . وكانوا بمثابة الضمير لتلك الأمة الآثمة ، وأولئك هم الأنبياء الذين هالهم ما انغمس فيه قومهم من شر ورذيلة وكفر بالله . فراحوا يتوعدونهم بسوء المصير إذا هم تمادوا فى غيهم . ولكن اليهود صموا آذانهم عن تحذيرات أنبيائهم . بل ثاروا عليهم أحياناً وقتلوهم .

وكان القضاة لا ينفكون يحاولون من جانبهم رد قومهم عن سبيل الفساد



« موسى النبي »

والانحلال والضلال الذى سلكوه ، ولكن جهودهم فى ذلك كانت تذهب أدراج الرياح ، وقد ورد فى التوراة بهذا الصدد أن بنى اسرائيل « فعلوا الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم،وسجدوا لها وأغاظوا الرب . تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروث ، فحمى غضب الرب على اسرائيل فدفعهم بأيدى ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم . . فضاق بهم الامر جداً . . وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم ، ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها» .

٣ — عهد الملوك

وكان القضاة حكاما بسطاء لا يتمتعون بمظاهر المجد والأبهة التى كان يتمتع بها ملوك الأمم المحيطة بأرض اليهود ، ومن ثم لا يشبعون جانب الغرور والكبرياء فى ذلك الشعب الذى يميل إلى التفاخر والازدهاء .

ومن ثم حدث فى أيام صموئيل آخر القضاة أن قام اليهود يطالبون صموئيل بأن يختار لهم ملكا يرفع من قدرهم بين الأمم الأخرى بجاهه وسلطانه . فعارضهم صموئيل فى أول الأمر لانه كان يعلم أنهم أهل شقاق ، وأن التوحيد بين عشائرهم المتنافرة أمر عسير ، وقد عاشوا حتى ذلك الحين — أى أكثر من خمسة قرون — منقسمين إلى أسباط متفرقة ، قد تجمع الحرب بينها حيناً ضد عدو مشترك ، ولكنها لا تلبث بعد ذلك حتى ينفرط عقدها وتعود إلى ما كانت عليه من مشاحنة وعداء .

إلا أن اليهود لم يستمعوا إلى نصيحة صموئيل ، وإنما أخذوا يلحون عليه

فى اختيار ملك لهم ، فاختار لهم شاول بن قيس من سبط بنيامين ، وكان ذلك فى نحو عام ١٠٩٥ قبل الميلاد .

وقد بقى شاول ملكا على اليهود أربعين سنة إلى يوم وفاته ، إلا أنه بعد أن جلس على العرش بعامين مسح داوود زوج ابنته ملكا ليخلفه بعد موته .

وكان داوود يملك أولا فى حبرون على سبط يهوذا ، ثم لم يلبث أن أخضع بقية أسباط اليهود ، واتخذ أورشليم عاصمة لمملكته ، فصارت تلك المدينة منذ ذلك الحين مقراً لملوك اليهود ومركزاً لعبادتهم .

وقد حارب داوود الأمم المجاورة لبلاده فانتصر عليها جميعاً ، ومن ثم امتد ملكه من الفرات إلى البحر المتوسط ، ومن دمشق إلى الخليج العربى . وذلك أن مصر التى كانت هى القوة المسيطرة فى فلسطين ولم تكن تسمح بقيام دولة مستقلة هناك ، كان يحكمها فى ذلك الحين فراعنة ضعاف ، ولذلك لم تتمكن من الوقوف فى وجه داوود وفتوحاته . كما أن هذه الفترة كان يسودها الضعف والخمول بالنسبة لمملكتى بابل وأشور . أما الحثيون فكانوا كذلك فى حالة اضمحلال وانحلال . ولذلك تهيأت الظروف لداوود لأن يسحق كل القوات المحيطة به .

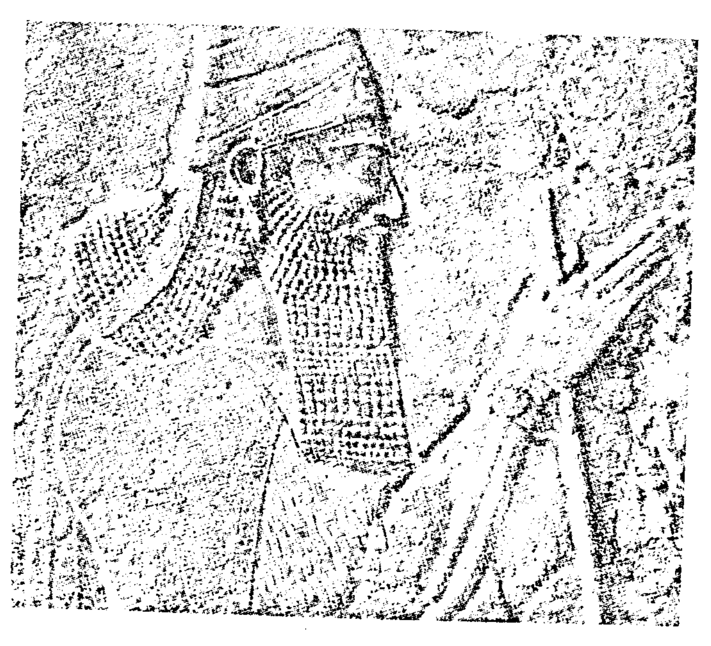
وقد كان داوود شاعراً وحكيما ونبياً ، وهو الذى نظم الجانب الأكبر من المزامير التى هى آية فى البلاغة والبساطة والرقة ، والتى لا زال العالم — بعد آلاف السنين — يتغنى بها حتى اليوم .

وبعد داوود ، تولى الملك ابنه سليمان فى نحو عام ١٠٠٠ قبل الميلاد ، وهو الملك الحكيم الذى ضربت بحكمته الأمثال ، وبلغ مجده كل أمم الأرض فى أيامه ، وكان من أعظم أعماله بناء هيكل أورشليم الذى قام بالعمل فى تشييده أكثر من مائة وخمسين ألف نحات ونقاش . وقد استغرق بناؤه سنوات عديدة فكان

من عجائب عصره ، وكان آية فى الروعة والرواء ، وقد ساعد سليمان فى إقامته حليفه حيرام ملك صور الذى أرسل إليه عدداً كبيراً من الرجال الماهرين فى صناعة البناء ، وأهدى إليه كثيراً من خشب أرز لبنان وسروه وصندله . كما أرسل سليمان سفنه إلى أقصى البحار حتى بلغت ترشيش فى جنوب أسبانيا وجاءت منها بالذهب والفضة والعاج . وبلغت أوفير فى جنوب اليمن ، فأتت منها بالذهب والأحجار الكريمة والعطور . وقد أحاط سليمان نفسه بكل ما يخطر بالبال من أبهة الملوك ومظاهر عظمتهم ، فكان حرسه مؤلفاً من إثنى عشر ألف فارس ، وكان عدد مركباته الحربية ألف واربعمائة مركبة ، وقد ذاع صيته فى كل الأمم ، حتى اقد جاءته ملكة سبأ من أقاصى اليمن لتتمتع برؤية ما يعيش فيه من فخامة ومجد ، ولتختبر عن كثب حكمته التى اشتهرت فى العالم كله . وقد بقيت لنا من آثار هذه الحكمة مقطوعات رائعة دونت فى التوراة ، فكانت شاهداً صادقاً على عمق إدراكه وفرط بلاغته ورقة عبارته وحلاوة أسلوبه ، وهى التى تشتمل عليها أسفار الحكمة الجامعة والأمثال ونشيد الأنشاد . وقد دام حكم سليمان أربعين سنة ، كانت بمثابة العصر الذهبى لليهود ، وقدظلوا بعد ذلك يحلمون بعودته أجيالا طويلة حتى سقطت أمتهم سقوطاً لم تقم لها قائمة من بعده .

وقد توفى سليمان فى نحو عام ٩٦٠ قبل الميلاد ، وخلفه ابنه رحبعام ، وقد كان غراً جاهلا بأساليب السياسة والحكم ، فانقسمت المملكة فى عهده ، إذ انفصلت عن سلطانه عشرة من أسباط اليهود وكونوا مملكة مستقلة سموها مملكة اسرائيل ، وجعلوا عاصمتها السامرة ، بينما ظل سبطا يهوذا وبنيامين مع رحبعام فى مملكة يهوذا ، وعاصمتها أورشليم ، وفى ذلك العهد خسر اليهود ماسبق أن استولوا عليه من البلاد المجاورة ، وبارت تجارتهم ، وانحط شأنهم ، وارتد كثير منهم عن عبادة الله إلى عبادة الأوثان .

وقد ظلت مملكة اسرائيل قائمة نحو مائتين وخمسين سنة تولى العرش فى أثنائها ٢١ ملكاً . ثم فى نحو عام ٧٤٠ قبل الميلاد أغار « تغلث فلاسر » ملك أشور على الأسباط القاطنة فى شرق الأردن وهى رأوبين وجاد ومنسى ، وطردها من مواطنها وساقها عن بكرة أبيها نحو بلاده حيث عاشت هناك فى السبي عيش

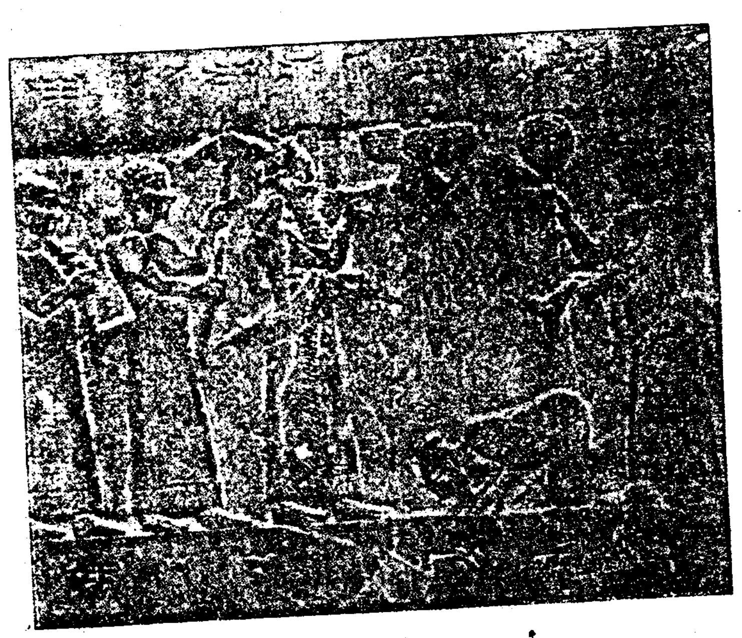


« صورة مأخوذة عن الآثار تمثل فلاسر »
« ملك أشور الذى هزم مملكة اسرائيل وساق اليهود إلى الأسر فى بابل »

العبيد . ثم أغار « سرجون » ملك أشور كذلك على الأسباط الباقية فى مملكة اسرائيل وطردها من مواطنها وساقها أمامه إلى السبي فيما وراء الفرات ، وبذلك محيت مملكة اسرائيل من الوجود فلم تقم لها قائمة بعد ذلك .

أما مملكة يهوذا فقد استمرت نحو اربعمائة سنة . وقد تعاقب على عرشها

خلال هذه المدة ٢١ ملكاً . وكانت هذه المملكة على الدوام هدفاً لمطامع الغزاة والفاتحين . فقد حاربها «سنحاريب» ملك آشور سنة ٧١٣ قبل الميلاد، ولكنه لم يلبث أن ارتد عنها . ثم غزاها الأشوريون مرة أخرى سنة ٦٧٧ قبل الميلاد فتغلبوا عليها وأسروا ملكها منسى وأخذوه إلى بابل . ثم فى سنة ٦١٠ قبل الميلاد اجتاحها «نخو» فرعون مصر فظفر بجيوشها وقتل ملكها يوشيا. ثم كان اضمحلالها



« صورة مأخوذة عن الآثار تمثل ملك اسرائيل »
« يخضع راكعاً أمام ملك أشور »

بعد ذلك على يد «نبوخذ نصر» ملك بابل الذى استولى على أورشليم سنة ٦٠٦ قبل الميلاد . ومن ذلك التاريخ أصبحت مملكة يهوذا تؤدى الجزية لنبوخذ نصر ، ولكن الملك «يهويا قيم» ثار عليه سنة ٥٩٩ فأعاد الكرة على المملكة وأخذ عشرة آلاف أسير من أشرافها وأعيانها ، وحمل معه كنوز الهيكل والقصر الملكى وتحفهما. ثم ثار عليه الملك صدقيا سنة ٥٩٣ فعيل صبره وصمم عل أن ينزل الخراب بتلك

البلاد فأتاها سنة ٥٨٨ واستولى على أورشليم ونهبها وهدم أسوارها وأحرق الهيكل وساق الشعب إلى الأسر فى بابل ، وبقيت أرض المملكة خراباً أكثر من خمسين عاماً .

وقد حدثت قبل السبي بين مملكتى يهوذا واسرائيل حروب ومنازعات كثيرة ، أثارها ماكان بين ملوكها من التنافس ، الذى من أهم أسبابه أن ملوك اسرائيل كانوا يخشون أن يرتد رعاياهم عنهم إلى ملوك يهوذا ، باعتيادهم الذهاب للعبادة فى هيكل أورشليم ، فكانوا يلجأون لكل الوسائل كى يحملوهم على الإقلاع عن تلك العادة ، حتى لقد كانوا أحياناً ينصبون لهم الأوثان ليعبدوها بدلا من عبادة الله . فكان من نتيجة ذلك الشقاق المستمر بين المملكتين أن أتتابهما الضعف معاً ، وتغلب الأعداء عليهما واحدة بعد أخرى .

وفى ذلك العصر قام فى مملكتى اسرائيل ويهوذا كثير من الأنبياء المشهورين الذين صرفوا همهم إلى رد اليهود عن عبادة الأوثان وحضهم على حفظ ديانة آبائهم وأجدادهم ، وتحذيرهم من غضب الله عليهم إنهم تمادوا فى فسادهم وعنادهم . ومن أشهر أولئك الأنبياء إيليا وأليشع وأشعيا وأرميا وحزقيال ودانيال ، وقد تركوا مع غيرهم من الأنبياء مواعظ وتعاليم تنطوى على الحكمة وسداد الرأى . كما تركوا نبوءات تدل على اختيار الله لهم ليبلغوا الناس كلمته وإرادته ، وهى كلها مدونة فى العهد القديم من الكتاب المقدس .

٤ — اليهود فى السبى

وقد عاش اليهود فى المنفى بعد سبيهم عيش العبيد ، فلم يلبثوا أن حاكوا سادتهم الكلدانيين فى عاداتهم ، وتخلقوا بأخلاقهم ، وعبدوا آلهتهم ، وإن كان فريق ضئيل منهم تمسكوا بعقائدهم وتقاليدهم .

٥ — اليهود تحت حكم الفرس

ثم فى عام ٥٣٩ قبل الميلاد زحف داريوس ملك الفرس إلى بابل واستولى عليها ، وهناك وجد اليهود الذين كان « نبوخذ نصر » قد سباهم وكان يتزعمهم فى ذلك الحين دانيال النبي ، فأعجب به داريوس إعجاباً كبيراً حتى لقد جعله كبيراً لوزرائه ومن ثم سعى دانيال لإعادة قومه إلى وطنهم ، وقد وفق أخيراً فى مسعاه ، فأصدر داريوس فى عام ٥٣٦ أمراً يبيح لليهود العودة إلى بلادهم ، كما سمح بإعادة بناء أورشليم ، ومن ثم عاد إلى فلسطين عدد كبير من اليهود يبلغ خمسين ألفاً ، وكان أكثرهم من سبطى بنيامين ويهوذا ، وقد أخذوا معهم كثيراً من آنية الفضة والذهب التى كان نبوخذنصر قد غنمها من الهيكل، وأقيم«زر بابل» والياً على اليهود ، وصارت بلادهم ولاية من ولايات الفرس ، ومن ذلك الحين اختفى ذكر الأسباط العشرة الأخرى ، لأن من عاد منها إلى فلسطين بعد ذلك اختلط بسبطى يهوذا وبنيامين . وقد دعى العبرانيون بعد ذلك باليهود ، ودعيت بلادهم اليهودية .

وفى عام ٤٥٨ قبل الميلاد ، على عهد أرتكرركسيس ملك الفرس ، عاد فريق من اليهود المسبيين فى بابل إلى فلسطين بقيادة عزرا ، الذى عين والياً على البلاد حتى عام ٤٤٥ قبل الميلاد ، ثم جاء بعده نحميا فبنى أسوار أورشليم ، ورمم حصونها ، وأعاد إليها بعض رونقها القديم .

وظلت اليهودية بعد ذلك خاضعة لحكم الفرس ، وكان يتولى أمورها رئيس الكهنة ، حتى استولت الدولة اليونانية عليها .

٦ — اليهود تحت حكم اليونان

وقد ظهر الإسكندر الأكبر خلال القرن الرابع قبل الميلاد ، فأخضع أغلب ممالك الأرض وقهر ملوك الفرس ، ومن ثم دانت له فلسطين . وقد صعد إلى أورشليم فاستقبله اليهود بالحفاوة يتقدمهم رئيس الكهنة ، الذى ماعلم باقتراب الإسكندر حتى أمر بتزيين المدينةوفتح أبوابها ، وألزم سكانها أن يرتدوا الملابس الزاهية ، ثم خرج على رأس كهنته مرتدياً حلة من الذهب والأرجوان ، وقدم الطاعة للأسكندر ، وانتظم كثير من اليهود فى جيشه .

حتى إذا مات الأسكندر سنة ٣٢٣ قبل الميلاد ، انقسمت مملكته بين قواده الأربعة : فكانت سوريا وما جاورها من الممالك من نصيب سيلوق . وكانت مصر من نصيب بطليموس . وأما أرض اليهودية فقد ظلت مثار نزاع بين خلفاء الإثنين ، وقد تولى البطالسة حكمها إلى عام ٢٠٢ قبل الميلاد ، وكان رئيس الكهنة يحكمها باسمهم ، حتى وقعت حرب بين أنطيوخس الكبير ملك سوريا ، وبطليموس الخامس ملك مصر ، كان من نتيجتها استيلاء أنطيوخس على اليهودية سنة ١٩٨ قبل الميلاد . وقد ساءت حال اليهود فى عهده ثم فى عهد خلفه ، وهو إبنه أنطيوخس الملقب أبيفانس ، ومما حدث فى ذلك الحين أن أونياس كان يتولى وظيفة رئيس الكهنة فباع أبيفانس هذه الوظيفة إلى أخى أونياس المسمى يشوع نظير ثلاثمائة وستين وزنة من الذهب يقدمها له كل سنة ، وقد سمى يشوع نفسه بعد ذلك ياسون . وكان مولعاً بالحضارة اليونانية فأدخل بين قومه كل ما كان يسود فى ذلك العهد من عادات وثنية ، حتى لقد بعث مع شبان اليهود تقدمة إلى هيكل صور يوم عيد الإله الوثنى هرقل . وكان لياسون أخ ثان اسمه أونياس أيضاً فدعا نفسه منيلاوس وهو اسم يونانى واشترى من

أبيفانس وظيفة رئيس الكهنة نظير ستمائة وستين وزنة من الذهب يقدمها له كل سنة ، ولما لم يكن عنده مايكفي لوفاء ماتعهد به باع قسما من آنية الهيكل وأعطاه لأبيفانس . حتى إذا سافر أبيفانس إلى مصر سنة ١٧٠ قبل الميلاد أشيع أنه مات هناك فجاء ياسون أخو منيلاوس بألف جندي واستولى على أورشليم وقتل كثيرين وحاصر أخاه منيلاوس في أحد الأبراج. ولكنه لم يستطع أن يتسلط على المدينة تسلطاً تاماً . وفي هذه الأثناء عاد أبيفانس من مصر وعلم بما حدث ، كما علم أن اليهود فرحوا حين بلغهم خبر موته فهجم على أورشليم وقتل من أهلها أربعين ألفاً ، وباع مثل هذا العدد عبيداً. وكان منيلاوس معه فأخذه إلى الهيكل ونزع المذبح وسلب الخزانة وكان بها ألف وثمانمائة وزنة من الذهب ، واستهتر بإله اليهود فدخل قدس الأقداس وقدم خنزيراً على المذبح ، ثم أقام فيلبس اليوناني ، وهو أحد أراذل فروغية ، حاكما على اليهودية ، وأندرونيكس الفاحش رئيسا على السامرة وأعاد منيلاوس إلى وظيفة رئيس الكهنة ، ثم سافر إلى أنطاكية ، فظل فيلبس ينكل باليهود حتى عاد أبيفانس ، وكان لا يزال حاقداً على اليهود ، فأرسل القائد أبو لونيوس على رأس قوة كبيرة إلى أورشليم ، وهنالك انقض بجيوشه على المدينة فأشاع فيها الخراب وقتل أهلها ونهب أموالها وهدم أسوارها ، وانتقم منها شر انتقام . وقد أصدر أبيفانس بعد ذلك أمراً إلى كل سكان الولايات الخاضعة له أن يعتنقوا الديانة اليونانية ، وبعث إلى أورشليم برجل إسمه أثينيوس ليعلم اليهود طقوس عبادة الأصنام ، فالتف حوله كثير من اليهود وعاونوه فأبطل الذبيحة اليومية ، ووضع صنم الإله زفس على مذبح التقدمة في الهيكل ، وراح يقدم الخنازير ذبيحة له ، وأحرق ما وجده من نسخ التوراة .

٧ — عهد المكابيين

كان من نتيجة الأمر الذى أصدره أبيفانس بقسر اليهود على عبادة الأصنام ، أن هرب من أورشليم جماعة من اليهود المتمسكين بدينهم ، وكان من أولئك الهاربين كاهن اسمه متاثيا ، وهو شيخ طاعن فى السن من نسل يهوياريب من سبط لاوى ، وكان له خمسة أبناء هم يوحنا وسمعان ويهوذا ولعازر ويوناثان ، فرحل مع أبنائه إلى وطنهم الأصلى مدينة مودين فى فلسطين . وكانت عائلة متاثيا تلقب بالحشمونية ، فلما اشتهر إبنه يهوذا بشجاعته وحسن تدبيره غلب عليه لقب مكابيوس ، فنسب إليه قومه وصاروا يسمون بالمكابيين .

ولم يلبث متاثيا أن عاد مع قومه سنة ١٦٨ قبل الميلاد ، وكان قد كون جيشاً كبيراً ، وراح يهاجم به مدن اليهودية محاولا الإستيلاء عليها ، حتى إذا تقدم متاثيا فى السن إلى درجة أقعدته أقام ابنه يهوذا خليفة له فى قيادة الجنود اليهودية ، وظلت الحرب سجالا بين جيش يهوذا وقوات أبيفانس ، حتى استولى يهوذا على أورشليم سنة ١٦٥ قبل الميلاد . ثم أخضع بعد ذلك البلاد بأسرها . وفى هذه الأثناء مات أبيفانس وخلفه إبنه أنطيوخس الملقب يوباتور ، ولكنه لم يلبث أن قتل فخلفه ديمتريوس الأول سنة ١٩٦٢ قبل الميلاد . وقد أرسل هذا جيشا بقيادة نيكانور لمحاربة يهوذا ولكن يهوذا دحره وقتله مع كل من معه ، فأرسل إليه ديمتريوس جيشاً آخر بقيادة بكديس ، فانتصر على يهوذا وقتله سنة ١٦١ قبل الميلاد ، وتسلط على أورشليم ، ونكل باليهود ، فاستصرخوا إخوة يهوذا ولم يكن قد بقى منهم غير يوناثان وسمعان ، فقام الأول وحشد جيشاً كبيراً ثم هاجم بكديس وانتصر عليه وسيطر على اليهودية ، وكان رئيس الكهنة إيناس فى مصر فى ذلك الحين فتقلد يوناثان الوظيفة الكهنوتية إلى جانب وظيفة الحاكم فى أورشليم .

وفى هذه الأثناء مات ديمتريوس الأول، فخلفه ابنه ديمتريوس الثانى سنة ١٤٦ قبل الميلاد. ولكنه لم يلبث أن خلع وحل محله أنطيوخس السادس. ثم قام تريفون وحاول اغتصاب الملك من أنطيوخس، وإذ كان يعتقد أن يوناثان يميل إلى أنطيوخس، دبر الأمر لاغتياله، فدعاه للمشاورة فى بطليمايس وهناك قتله سنة ١٤٤ قبل الميلاد، وأراد قتل أخيه سمعان أيضاً ، ولكن هذا نجا وتقلد الرئاسة مكان أخيه ، واستقل بالبلاد وقوى أسوار المدينة ولا سيما الأسوار المحيطة بالهيكل ، ولذلك فإن اليهود يؤرخون لملكهم من السنة الأولى لسمعان وهى سنة ١٤٣ قبل الميلاد. ولكن سمعان لم يلبث أن قتل هو وولداه يهوذا ومتاثياس بتدبير من أنطيوخس، فتولى الملك بعده إبنه الثالث يوحنا سنة ١٣٥ قبل الميلاد وكان يلقب هركانس، وقد استعاد الاستقلال وأخضع كل القبائل المجاورة من أدوميين وسامريين وجليليين ، حتى صارت مملكته تقارب مملكة داوود . إلا أنه وقعت فى أواخر أيامه مشاحنات بين طوائف اليهود أدت إلى انقسام الأمة بعد موته . وذلك أنه كان ثمة بين طوائف اليهود طائفتان كبيرتان تعرف إحداهما بالفريسيين وتعرف الأخرى بالصدوقيين. وكان هيركانس يميل إلى الفريسيين . وقد حدث أن أقام هيركانس وليمة لأرباب تلك الشيعة ، فقام أحد المدعوين ويسمى لعازر وطلب إليه اعتزال وظيفة رئيس الكهنة مكتفياً بمنصبه كملك . فلما سأله هيركانس عن سبب ذلك أجابه قائلا « إننا سمعنا أن أمك كانت من السبايا فى أيام أنطيوخس أبيفانس ، وطبقا للشريعة لا تباح لك هذه الوظيفة » . فغضب هيركانس غضباً شديداً واتهم الفريسيين بأنهم حرضوه على هذا القول ، وعمل الصدوقيون على تأييد هذا الظن لديه لحقدهم على الفريسيين ، فنشأ الشقاق بين الشيعتين ، واستفحل حتى أدى بعد ذلك إلى شر عظيم .

وقد مات هركانس سنة ١٠٦ قبل الميلاد، وتولى الملك بعده إبنه أرستبولس، وكان سيء السيرة حتى لقد قتل أخاه واعتقل أمه ، ثم مات سنة ١٠٥ فخلفه أخوه اسكندر نيبوس ، وقد كان فظاً غليظ القلب مما حمل الناس على بغضه ، فاستأجر جنوداً أجانب ليحموه ، وقد تمرد عليه اليهود فقتل منهم خمسين ألفاً وقد لجأ بعضهم إلى ملك سوريا دمتريوس يستنجدون به ، فقدم بجيشه إلى شكيم. ولكن اسكندر هزمه ورده على أعقابه ثم استدار إلى اليهود فقتل منهم عدداً عظيماً . وبينما كان يحتفل بانتصاره إستدعى نحو ألف رجل منهم وصلبهم على مرأى من الجميع ، وأمر بذبح نسائهم وأولادهم أمام أعينهم . وقد مات اسكندر سنه ٧٨ قبل الميلاد وخلفته زوجته اسكندرة ،وكان له ابنان هما هركانس ، وأرستبولس . وقد أصبح الأول رئيساً للكهنة ،والثانى قائداً للجيش . وقد هادنت الملكة الفريسيين فقويت شوكتهم وراحوا ينتقمون من الصدوقيين،فقتلوا منهم عدداً كبيراً ، وكان هركانس من حزبهم بينما كان أرستبولس من حزب الصدوقيين ، وقد طاب إلى أمه أن تحميهم من جور الفريسيين ، فسلمت إليهم أكثر الحصون فى البلاد ليحتموا بها . حتى إذا رأى أرستبولس أن أمه قد قاربتها الوفاة ، إعتزم الاستيلاء على الملك بعد موتها دون أخيه الأكبر ، وقد بايعه الصدوقيون ، فلما ماتت أمه سنة ٦٩ استولى هركانس على الملك وخرج لمحاربة أرستبولس ، ولكنه عجز عن إخضاعه فتصالح معه على أن يكون هو رئيس الكهنة ، ومن ثم أصبح أرستبولس ملكا سنة ٦٩ قبل الميلاد .

وكان ثمة رجل أدومى اسمه أنتيباتر ، كان قد اعتنق اليهودية فى عهد اسكندر فولاه على أدومية ، وكان ذا مطامع فراح يتملق هركانس وأوهمه أن أخاه أرستبولس يريد قتله ، وأشار عليه بأن يلجأ إلى الحارث ملك البنطيين ليتولى حمايته ، ففعل هركانس ذلك ، ومن ثم سار الحارث فى خمسين ألف مقاتل إلى

اليهودية وانتصر على أرستبولس وحاصر أورشليم . إلا أنه فى هذه الأثناء قدم الإمبراطور الرومانى بمبيوس إلى سوريا ليخضعها ، فبعث إليه الأخوان يحتكمان إليه فأمر هركانس بفك الحصار عن أورشليم . وقد امتثل هذا للأمر وأشار على الحارث بأن يرتد مع جيشه ، فلما ارتد الحارث تبعه أرستبولس بجنوده وانتقم منه ، وإذ ظن أرستبولس أن بمبيوس يميل إلى حزب أخيه خرج عليه واستعد لمقاومته فتصدى له بمبيوس وهزمه واستولى على اليهودية، ومن ذلك التاريخ أصبح اليهود تحت حكم الرومان .

٨ — اليهود تحت حكم الرومان

فلما استتب الأمر لبمبيوس فى أورشليم أقام هركانس حاكما ورئيسا للكهنة تحت سيادة روما ، كما أقام اسكاروس حاكما عاماً على سوريا من الفرات إلى تخوم مصر . حتى إذا عاد بمبيوس بعد ذلك إلى رما أخذ معه أرستبولس أسيراً ، هو وأولاده .

وفى سنة ٥٧ قبل الميلاد هرب اسكندر — أحد أولاد أرستبولس — من روما وعاد إلى اليهودية ، وهناك حشد جيشاً وبدأ يغزو البلاد . فتصدى له القائد الرومانى غابيتيوس وهزمه وأيد هركانس فى منصبه ، إلا أنه أحدث كثيراً من التغييرات فى نظام الحكم ، ومن ذلك أنه ألغى المجمع العام الذى يضم شيوخ اليهود ويسمونه السنهدرين ، وقسم البلاد إلى خمسة أقسام ، وأقام فى كل قسم منها مجمعاً يدبر أموره تحت إمرة الرومانيين ، ومن ثم بطل حكم الملوك .

ثم عاد غابيتيوس إلى روما وخلفه فرسبس ، فنهب الهيكل ونكل باليهود

تنكيلا عظيما ، ثم سارع إلى مقاتلة الفرثيين فمات فى الحرب سنة ٥٣ وخلفه فاسبوس فسيطر على اليهودية وأيد أنتيباتر فيما كان له من السطوة والنفوذ . فبقى مشيراً لهركانس ، واشتد ساعده حتى تمكن من التسلط على اليهودية كلها . وظلت الحال كذلك حتى استولى يوليوس قيصر على السلطة فى روما ، فأفرج عن أرستبولس وبعث به إلى اليهودية ليعضد حزبه فيها ، ولكنه قتل قبل وصوله، فى حين راح أنتيباتر يبدى ولاءه لقيصر ، حتى لقد أخذ جيشاً واتجه به إلى الاسكندرية ليحارب هناك فى صفوفه ، وقد استبسل فى القتال حتى قيل أن فوز قيصر يومئذ كان بفضله . ومن ثم عينه قيصر ملكا على اليهودية سنة ٤٨ قبل الميلاد ، فتسلط عل هركانس وأصبح صاحب الكلمة العليا ونائباً عن قيصر فى حكم البلاد ، ومن ثم عين ابنه فسايل حاكما لأورشليم ، وعين إبنه الثانى هيرودس حاكما للجليل ، ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره ، وبذلك سيطر ذلك الأدومى على اليهودية هو وأولاده ، بينما ظل هركانس رئيس الكهنة وعظيم الأمة فى الظاهر . وقد عامل أنتيباتر وأولاده اليهود بالقسوة والقسر ، ولا سيما هيرودس الذى سامهم كل صنوف التنكيل والهوان ، وقتل عدداً كبيراً منهم . وقد طلبوه للمحاكمة أمام مجلس السنهدرين فى أورشليم لجاء وقد أحاط نفسه بعدد كبير من الجنود المدججين بالسلاح ، ودخل على شيوخ اليهود محفوفاً بكل مظاهر السلطان والمجد ، فلما جرت المحاكمة لم يجسر أحد على أن يشهد ضده فانفض المجلس دون أن يحكم عليه بشىء ، ومن ثم خرج يتوقد غضباً وقد أضمر الانتقام من اليهود ، لحشد جيشاً وزحف به على أورشليم ، وقد عقد العزم على أن يغرقها فى بحر من الدماء ، ولكن أباه أمره بالعودة فلم يسعه إلا أن يعود .

ثم بعد أن قتل قيصر ، جاء فسبوس وضرب على البلاد الجزية ، وكلف

أنتيباتر وأولاده بأن يجمعوها له ، فحقد عليهم الناس ، وقام أحد اليهود وقتل أنتيباتر . فقام هيرودس وانتقم لأبيه .

ولما تولى أغسطس وأنطونيوس الحكم في روما قام أنتفنوس ابن أرستبولس وجمع جيشا ليسترجع مملكة أبيه ، فهزمه هيرودس .

وقد تزوج هيرودس سنة ٣٧ قبل الميلاد مريمنة إبنة اسكندر ابن أرستبولس، وهي بنت إبنة هيركانس أيضاً . وقد فعل ذلك ليدعى الحق في الملك ، إذ جمع بين بيتي هركانس وأرستبولس .

وجاء أنطونيوس إلى سوريا بعد حرب فيلبي سنة ٤٢ قبل الميلاد ، فولى هيرودس وأخاه فسايل على شئون البلاد ، وجعل كلا منهما رئيس ربع . ثم ذهب أنطونيوس إلى مصر وظل هناك إلى جانب ملكتها كليوبترا ، فجاء الفرثيون واستولوا على سوريا ، وعندئذ نهض أنتفنوس بن أرستبولس وأعطى قائد الفرثيين مبلغاً كبيراً من المال وخمسمائة جارية ، طالبا اليه أن يفتح اليهودية ، ويعزل هركانس وهيرودس وأخاه فسايل ، ويقيمه ملكا على اليهودية . فأجابه قائد الفرثيين إلى ذلك وزحف على اليهودية واستولى عليها وسلمها إلى أنتفنوس، كما سلمه هركانس وفسايل ، فجدع أذني هركانس لكى لا يعود صالحا لوظيفة رئيس الكهنة . أما فسايل فقد أدى به اليأس إلى الانتحار . وأما هيرودس فقد هرب هو وعائلته ولجأ إلى أدومية ، وهناك ترك أسرته عند أخيه يوسف ؛ ثم رحل إلى مصر ، ثم بعد ذلك إلى روما . وظل أنتفنوس ملكا على اليهودية ثلاث سنوات من سنة ٤٠ الى سنة ٣٧ قبل الميلاد .

وحين كان هيرودس في روما ، تودد الى أنطونيوس فولاه ملكا على اليهودية ، وأمده بجيش ليخضعها ، فما بلغها حتى كان الرومانيون قد دزموا

الفريسيين وطردوهم ، ومن ثم تغلب هيرودس على أنتغنوس وقتله ، فكان هو آخر من تولى الملك من بيت حشمناى الذى استمر حكمه مائة وثلاثين عاماً ، وانقرضت بموت أنتغنوس دولة المكابيين وانتقـــل الملك إلى هـيرودس الكبير .

هيرودس الكبير :

وقد أخذ هيرودس أسلوب حكمه وسياسته من الرومان ، وأسلوب حياته ومسراته من اليونان ، لأنه لم يكن يهودياً إلا بالاسم ، وكان محوطاً بحاشية من جنود البربر المرتزقة ، بينما كان يعتقد أن الضمان الوحيد لبقاء ملكه هو أن يكون دائم الخضوع والامتثال للرومان الأقوياء ، حتى لقد أقام هياكل وثنية لعبادة الإمبراطور الرومانى . وعلى باب الهيكل اليهودى وضع تمثالا ضخما من الذهب للنسر الذى هو شعار الدولة الرومانية ، كما أقام مدينة جديدة على بقايا مدينة السامرة القديمة ، وسماها « سبستا » تكريماً لقيصر ، فضلا عن مدينة أخرى على الساحل سماها « قيصرية » ، وقد قـدر لها فيما بعد أن تصبح عاصمة للبلاد .

وقد حاول هيرودس أن يتودد لليهود فأعاد بناء هيكل أورشليم وأنفق عليه أموالا طائلة ، ولكن اليهود مع ذلك كانوا يضمرون له كراهية شديدة لأنه كان أدومياً ولم يكن من أصل يهودى ، وقد صارحوه بذلك على لسان مجلس شيوخهم الذى يسمونه السنهدرين ، إلا أن هذه الصراحة كلفت أعضاء ذلك المجلس ثمناً غالياً ، هو أرواحهم ذاتها . وقد اصطبغت أيام هيرودس كلها بلون الدماء ، نتيجة لطمعه الجنونى وغيرته القاتلة : ففضلا عن أنه أفنى أعضاء السنهدرين عن آخرهم ، ذبح عدداً كبيراً من أشراف اليهود وكهنتهم ، بل لم يسلم حتى أهل بيته

من بطشه ووحشيته : فقد أمر بخنق زوجته الأزمونية مريمنة ، مع أنها كانت أكثر الناس إخلاصاً له ، كما قتل أباها وأمها . ومن أبنائه الذين أنجبهم من زيجاته العشر القانونية ، لم يتبق إلا القلائل . أما الباقون فقتلهم جميعاً ومنهم اسكندر وأرستبولس وأنتيباتر ، كما قتل خاله يوسف وقريبه كورثوبانوس وصديقيه دوسيثوس وجادياس ، ولم ينج إبنه أرخلاوس وأخوه فيراروس من الموت الذى دبره لهما إلا بأعجوبة .

وقد اتسم عهد هذا الطاغية بالتفنن فى أساليب القتل بالخنق والحرق ، وتمزيق الجسم إلى نصفين ، وإبادة الناس بالجملة ، وانتزاع الاعترافات بتعذيبات لاسبيل إلى وصف بشاعتها ، كما اتسمت طبيعته بشر عارم ، وشهوة فاسقة ، حتى ليقول يوسيفوس أن سفراء اليهود اشتكوه لدى قيصر قائلين « إن الذين بقوا أحياء أثناء حكمه كانوا أتعس من الذين أصابهم بطشه » .

وقد كانت تعذب هيرودس فى شيخوخته أشباح زوجته القتيل وأولاده المذبوحين ، فاعترت ذلك « البهيم القاسى » كما يصفه يوسيفوس ، وحشية ضارية إفترست كل من احتك به . وقد أقدم قبل موته بخمسة أيام على محاولة جنونية للانتحار يأساً من المرض الشنيع الذى أصابه . حتى إذا دنت منيته ، نام منتفخ الجسم من المرض ، كارها الجميع ومكروها من الجميع . وفى هذه الأثناء ثار جماعة من اليهود وأنزلوا النسر الذهبي عن باب الهيكل وحطموه فأصدر أمره وهو على فراش الموت بقتلهم حرقاً ، وبالفعل أحرقوا جميعاً وكانوا يبلغون المائة .

وإذ كان هيرودس موقناً أنه لن تسكب عليه دمعة واحدة ، قرر أن يجعل العديدين يذرفون الدمع الغزير على أنفسهم . فأصدر أمره بدعوة رؤوس العائلات الكبيرة الذين فى المملكة إلى أريحا ، حتى إذا جاؤوا أغلق عليهم ملعب الخيل . وأوعز إلى أخته أن يتم ذبحهم فى اللحظة التى يموت هو فيها . ولكنه مات ولم تنفذ وصيته .

وقد ولد السيد المسيح فى أواخر عهد هيرودس ، فلما سمع هيرودس بميلاده فى مدينة بيت لحم وعرف أنه سيكون ملكا تولاه الفزع وأصدر أمره بقتل كل الأطفال فى بيت لحم ، عسى أن يقتل المسيح من بينهم .

وقد قسمت مملكة هيرودس بعد موته بين أبنائه الثلاثة : فيلبس وأنتيباس وأرخيلاوس .

وقد أصبح فيلبس حاكما للمناطق الواقعة شمال شرقى بحر الجليل ، ومعظمها مأهولة بالأمم ، أى الأجانب من مختلف الشعوب . ومن أبرز أعماله أنه أعاد بناء مدينة بانياس بالقرب من منابع الأردن وأسماها قيصرية ، تذلفاً لقيصر . وقد حكم فيلبس ثلاثين عاما .

أما هيرودس أنتيباس فقد أصبح حاكما للجليل وبيرية . وقد اتبع سياسة أبيه فى تملق الرومان . ومن ذلك أنه بنى مدينة على الشاطىء الجنوبى لبحر الجليل وسماها طـــبرية نسبة إلى طيباريوس قيصر . كما أنه كان مثل أبيه ماكراً خادعاً شهوانياً : ففى إحدى زياراته لروما ليقدم خضوعه لقيصر ، نزل هناك ضيفاً على أخيه فيلبس ، وهو ليس رئيس الربع الذى يحمل ذات الإسم . بل ابن هيرودس الكبير من زوجته مريمنه ، وكان أبوه قد طرده وحرمه من الميراث فعاش فى روما كفرد من أفراد الشعب . ولم يلبث أنتيباس أن عشق زوجة أخيه فيلبس ، وهى فى ذات الوقت ابنة أخيه أرستبولس ، وكان لها من فيلبس إبنة شابة فى ذلك الوقت ، وقد اتفق أنتيباس مع هيروديا على الهرب ليتزوجها بعد أن يطلق زوجته الأولى إبنة الحارث ملك النبطيين . حتى إذا أخذها وانطلق إلى الجليل أصبحت هيروديا هى المهيمنة على بيته ، فلم تنتظر زوجته الأولى حتى يطلقها ، بل تركته وعادت إلى قصر أبيها . وعندئذ ثار هذا للهوان الذى لقيته إبنته من أنتيباس وشن عليه حرباً ضارية أدبه بها تأديباً قاسياً ، ومن ثم اعتصم ذلك الطاغية الفاسق فى قصره تحيط به كراهية الناس له . وكان فى فلسطين فى

أيامه رجل بار يعتبره اليهود نبياً وهو يوحنا المعمدان ، وكان يوحنا لايفتأ يعنف هيرودس أنتيباس لأنه يعاشر زوجة أخيه ، فقبض عليه هيرودس وسجنه ثم قطع رأسه وأهداها إلى هيروديا زوجته . وقد أدى به خضوعه لنزوات هيروديا وجشعها الجنونى إلى الخراب والدمار آخر الأمر . إذ عندما أغدق الامبراطور كايوس إنعاماته على الملك أغريبا الأول ، أمرض هيروديا الحسد ، فحرضت أنتيباس على السفر معها إلى روما ليحصل على لقب ملك ، بدلا من أن يقنع بلقب رئيس الربع وهو أقل بكثير . فلما علم أغريبا بذلك بعث إلى روما رسولا يتهم هيرودس أنتيباس بالخيانة العظمى . ولم يستطع هذا أن يدفع التهمة عن نفسه فنفى سنة ٣٩ ميلاديه إلى لاجدونم بالقرب من الحـــدود الأسبانية ، وصحبته هيروديا إلى منفاه ، وهناك ماتا كلاهما فى ذل وعار . وقد كان هيرودس أنتيباس أحد الذين اشتركوا فى محاكمة السيد المسيح .

أما أرخيلاوس فإنه بعد موت أبيه هيرودس الكبير أعلن نفسه ملكا مكانه ، وقد أيده الجيش فى ذلك ، ولكنه حين سافر إلى روما للتصديق على انتقال الملك إليه رفض أغسطس قيصر أن يمنحه لقب ملك وأبى أن يجعله أكثر من رئيس ربع ، ومن ثم اقتصرت ولايته على اليهودية والسامرة وأدومية . وكأن أرخيلاوس أراد أن يبرهن على أنه ابن أبيه حقا ، فقبل أن تصادق السلطات الرومانية على حلوله محل أبيه ، أراد كما يقول يوسيفوس ساخراً « أن يقدم مثلا من فضائله المستقبلة » فأمر بذبح ثلاثة آلاف من مواطنيه فى الهيكل . وبعد أن حكم أرخلاوس حكما شائناً ظالماً ، صرخ اليهود الى قيصر مستجيرين به لينقذهم من بطشه ، وقد قالوا فى التماسهم الذى رفعوه اليه « لانريد هذا أن يحكمنا ، ونفضل أن تحكمنا روما مباشرة » . ومن ثم خلعه الإمبراطور سنة ٦ ميلادية ونفاه إلى فيين ببلاد الغال وضم الإقليم الذى كان يحكمه إلى الممتلكات الرومانية ، وعين له والياً رومانياً هو كوبينيوس ، فكان هذا أول رومانى يتولى حكم اليهودية .

الولاة الرومان :

وقد خوّل قيصر للوالى الرومانى الذى يحكم اليهودية الحق فى طلب المعونة من سوريا كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، وجعل مقر ولايته مدينة قيصرية ، وقد تعاقب على اليهودية سبع ولاة من الرومان فى الفترة بين سنة ٦ وسنة ٤١ ميلادية، كان أشهرهم بيلاطس البنطى الذى حوكم أمامه السيد المسيح ، والذى استمرت ولايته من سنة ٢٦ إلى سنة ٣٦ ميلادية ، وقد سلك فى حكمه مسلك الغلظة والكبرياء ، وتمادى فى الظهور بمظهر العجرفة التى كان يتسم بها الحكام الرومان، فبمجرد أن تولى السلطة أمر جنوده بنقل النسور الفضية وغيرها من العلامات والرموز المتعلقة بالجيش الرومانى من قيصرية إلى أورشليم ، ولما كان اليهود يعتبرون هذه الأشياء من إشارات الوثنية ، فقد ثاروا وظلوا يهاجمون مقره فى قيصرية خمسة أيام متوالية ، وهم يفترشون الأرض فى العراء ، ويصيحون صيحات ملؤها الوعيد والتهديد ، رغم أنه هددهم بالذبح جميعاً ، ولكنه رضخ لهم آخر الأمر . ثم قام اليهود بثورة ثانية ضده ، وكان سببها أن أورشليم فى ذلك الحين كانت تعانى من قلة موارد الماء ، فشرع بيلاطس فى إنشاء قناة تستورد الماء من برك سليمان ، وإذ اعتبر بيلاطس أن مشروعه للنفع العام ، أراد أن يستعين لهذا الغرض ببعض نقود القربان المودعة فى خزانة الهيكل . وحينئذ ثار اليهود ، وقد أغاظت شتائمهم وتوبيخاتهم بيلاطس فقتل منهم عدداً عظيما . ثم ثار اليهود ثورة ثالثة فى عهد بيلاطس كذلك ، إذ كان قد علق بعض الدروع الذهبية المهداة إلى طيباريوس فى قصر هيرودس بأورشليم ، وهو القصر الذى كان ينزل به فى أيام الأعياد ، وكان ذلك لمجرد الزينة ، ولكن اليهود ثاروا وطلبوا إزالة هذه الدروع ، فلما لم يرضخ بيلاطس لطلبهم كتب رؤساء اليهود يشتكون عليه لدى الإمبراطور طيباريوس. وكان من سياسة طيباريوس أن تظل المستعمرات

راضية ، فوبّخ بيلاطس وأمره أن ينقل هذه الدروع المكروهة إلى هيكل أوغسطس فى قيصرية . وأخيراً عزل بيلاطس من الولاية نتيجة اتهام وجهه إليه السامريون لدى لوسيوس فيتيليوس نائب الملك فى سوريا ، مشتكين عليه بأنه مع سبق الإصرار قد هاجم وقتل وشنق عدداً منهم اجتمعوا على جبل جرزيم للتنقيب عن آثار قيل أنها ترجع إلى عهد موسى . وقد ظهر أن سلوك بيلاطس فى هذه الحادثة كان متسرعاً وقاسياً دون مبرر ، فعزله طيباريوس . ومع أنه عندما وصل إلى روما وجد أن طيباريوس قد مات ، فإن كايوس رفض أن يعيده إلى ولايته .

٩ — خراب أورشليم وسقوط الأمة اليهودية

وهكذا لم يخلد اليهود إلى السكينة بل كان دأبهم التمرد والعصيان ، وقد تمادوا فى شرورهم ومكائدهم حتى صرخ يسوع المسيح قائلا فى تلك الأيام « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ، كم مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا ، ها أنذا أترك لكم بيتكم خراباً .. فإنه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفى زمان افتقادك » . ثم قال لتلاميذه « متى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها . حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال، والذين فى وسطها فليفروا خارجا ، والذين فى الكور فلا يدخلوها ، لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام ، لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب ، ويقعون بفم السيف ويسبون إلى جميع الأمم . وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل

أزمنة الأمم » . وبذلك تنبأ السيد المسيح بأن أورشليم سيصيبها الخراب وأنها لن تقوم لها قائمة بعد ذلك .

وسريعاً ما تحققت هذه النبوءة ، فلم تمض على النطق بها خمس وثلاثون عاماً حتى كان الرومان قد ضاقوا بما يسببه لهم اليهود من متاعب فأرسلوا اليهم فسباسيان على رأس جيش كبير ، لحاصر أورشليم ، وظل يضيق الخناق عليها . فلما انتخبه الجيش فى هذه الأثناء امبراطوراً للدولة الرومانية خلفه فى القيادة ابنه تيطس ، فواصل الضغط على اليهود . وكانت الفتن والمنازعات الداخلية تهد من قوة اليهود فى ذلك الحين ، إذ كانوا منقسمين داخل أورشليم إلى شيعتين : شيعة يتزعمها شمعون ، وكان يحتل الاماكن المرتفعة من المدينة ومعه عشرة آلاف من المقاتلين غير خمسة آلاف من الادوميين ، وشيعة أخرى يتزعمها يوحنا ، وقد استولى على الهيكل ، وكان معه تسعة آلاف مقاتل ويقول يوسيفوس أن الأهالى نالهم من هاتين الشيعتين أكثر مما نالهم من الرومانيين ، ومن ثم وقعت أورشليم أخيراً فى قبضة تيطس فاقتحمها ودكها دكاً ودمرها تدميراً ،وأضرم النار فى الهيكل بعد أن سلب نفائسه ثم أعمل السيف فى رقاب اليهود ، وقد أخذ على عاتقه أن يفنيهم من على الأرض ويقطع دابرهم . فلم يذكر التاريخ حادثاً أفظع من خراب أورشليم ، إذ كان الرجال من اليهود فى تلك الأيام يسيرون متخفين فى زى النساء وسيوفهم تحت ثيابهم ، وكان الكهنة يقذفون بالسهام من أعلى أبنية الهيكل فيسقطون مذبوحين إلى جانب ذبائحهم ، وقد أصبحت دماء المقتولين كالبحيرات فى الأروقة المقدسة ، وتكومت الجثث أكداساً على جوانب المذبح ذاته ، والنيران تلتهم خشب الصندل المطعم بالذهب ، والكهنة وقد أفقدهم الجوع عقولهم يقفزون بجنون إلى النيران الآكلة ، حتى صار الهيكل آخر الأمر كومة من الخراب الذريع ، تنطفىء أخشابه المحترقة فى بحيرات الدماء المتخثرة . وقد ذكر

يوسيفوس أن الرومان كانوا يأتون باليهود ويصلبونهم بالمئات فى هزء وسخرية ، حتى ضاقت الساحات بالصلبان ، وضاقت الصلبان بالجثث ، وقد حملت ستمائة ألف جثة خارج الأبواب ، وعض الأمهات الجوع فأكلن أطفالهن . وقد هلك فى هذا الحصار مليون ومائة ألف رجل وأسر سبعة وتسعون ألفاً ، لحقهم الهلاك بعد ذلك فى أعمال السخرة بالمناجم والمحاجر .

وقد قال بعض من شاهدوا خراب أورشليم « إن المدينة قد استوفت عقابها لأنها أنجبت جيلا من الرجال كانوا سبب تعاستها » ، كما قال يوسيفوس المؤرخ اليهودى « لا يمكن أن أفكر فى سبب لهذا إلا أن الله قد حتم خراب هذه المدينة النجسة ، إذ سمح بهلاك أولئك المدافعين عنها ، لأنه حتى أولئك الذين كانوا يرتدون الملابس المقدسة ويرأسون الصلوات العامة وكانوا موضع التبجيل من الناس جميعاً قد طرحوا عراة فى الوحل وصاروا مأكلا للكلاب وطعاماً للحيوانات المفترسة » .

وقد اكتسحت المذابح كذلك منطقة الجليل ومحتها ، بعد سنوات قليلة من قول السيد المسيح لمدن الجليل « الويل لك يا كورزين . الويل لك يا بيت صيدا ، الويل لك يا كفر ناحوم » . ويصف يوسيفوس هذه المذابح قائلا : « حقاً إن الله هو الذى سخر الرومانيين لمعاقبة الجليليين وإبادتهم مدينة بعد أخرى ، وقد قتل عشرات الألوف ، فبعضهم ذبح بالسيف وبعضهم الآخر طعن بالحراب ، حتى إذا أراد البعض منهم أن ينجوا بأنفسهم سابحين فى البحيرة كانت النبال تلحق بهم فتشج رؤوسهم ، وإذا تشبثوا بالسفن الرومانية بترت أيديهم أو قطعت رقابهم حتى غدت البحيرة مغطاة بالدماء . ومكتظة بالجثث . وقد كانت العين ترى على الشاطىء فى الأيام التالية منظراً بشعاً يملأ النفس رعباً وفزعاً ، إذ اكتظت الخلجان بالجثث المنتفخة ، وقد ضربتها الشمس ، فانبعثت منها رائحة

الموت ، وتساقطت عليها الطيور تنهشها وتبعثر فى كل الأرجاء أشلاءها .

وبخراب أورشليم وسائر المدن اليهودية ينتهى تاريخ أمة اليهود لأنهم بعد ذلك تفرقوا فى كل أنحاء الأرض وظلوا على مر العصور غرباء مشردين مكروهين مطرودين ، وقد حقت عليهم النقمة فذاقوا كل صنوف المهانة والذل : فقد دك الرومان مدينتهم التى كانوا يفتخرون بها ومحوا كل معالمها ، بل حرّموا عليهم أن يذكروا اسمها ، كما ألحقوا الخراب والدمار بأكثر من ألف مدينة وقرية حتى أصبحت اليهودية قفراً بلقعاً ، فظل اليهود — وهم الذين يسمّون أنفسهم شعب الله المختار — شعباً مغضوباً عليه من الله ومحتقراً من الناس فى كل أرض وفى كل جيل ، وسيظل كذلك إلى آخر الزمان مصداقاً لقول السيد المسيح « وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم » .

الفصل الثانى

الشريعة اليهودية

كان يهود فلسطين أكثر الأمم تعصباً للدين فى كل الأرض ، وقد كان الدين يسيطر على كل حياتهم وكل معاملاتهم وكل حركاتهم وسكناتهم . فلم تكن لهم قوانين مدنية تنظم العلاقات بينهم غير شريعة هـذا الدين ولم تكن لهم هيئة تتركز فيها السلطة المدنية إلا مجامعهم الدينية التى توجد فى كل إقليم وتفصل فى أمورهم الدينية والمدنية على السواء ، وتخضع فى أحكامها وقراراتها للمجلس الأعلى فى أورشليم ، وهو الذى يسمونه بالسنهدرين ، وكان يتألف من الكهنة وبعض الشخصيات البارزة فى المجتمع اليهودى . وهكذا لم تكن لديهم ثقافة إلا الثقافة الدينية ، ولا أدب ولا فن ولا شعر ولا موسيقى ولا أى علم من العلوم الاجتماعية إلا ما كان منه متصلا بالدين . أما غير اليهود فكانوا فى نظرهم وثنيين محتقرين ولا يصح لشعب الله المختار أن يحتك بهم أو يتعامل معهم أو يأخذ عنهم أو يتأثر بحضارتهم ، مهما كانت مكانتهم ، ومهما بلغت ثقافتهم ، ولذلك كانوا يترفعون عليهم ويلقبونهم بالأمم ، إحتقاراً لهم ، واستصغاراً لشأنهم .

وكان اليهود يستمدون شريعتهم من مصدرين رئيسيين هما التوراة والتلمود . وكان مركز عبادتهم ومزاولة طقوس شريعتهم هو هيكل سليمان فى أورشليم ، والمجامع فى غيرها من المدن والأقاليم . وكان المجلس الأعلى الذى إليه المرجع فى

شئون دينهم وكذلك فى شئون دنياهم هو السنهدرين والمجالس المحلية فى الأقاليم .
لذلك نتكلم أولا عن مصادر الشريعة اليهودية ، ثم عن معابد اليهود ، ثم عن المحافل اليهودية التى تضم السنهدرين والمجالس الإقليمية . ثم نتكلم بعد ذلك عن بعض الطوائف الدينية التى كان لاختلافاتها ومشاحناتها أثر كبير فى المجتمع اليهودى ، ثم نتكلم أخيراً عن الأيام المقدسة عند اليهود ، وقد كان لها فى حياتهم شأن أى شأن .

المبحث الأول

مصادر الشريعة اليهودية

١ - التوراة

تشتمل التوراة على أساس الشريعة اليهودية . أما الدعامة الأولى فى هذا الأساس ، فهى الوصايا العشر التى أنزلها الله على موسى فى صحراء سيناء ، والتى تتضمن جوهر الاعتقاد بأن خالق الكون ومدبره هو الله الواحد العزيز الجبار ، كما تتضمن الكيفية التى ينبغى على عباده أن يقدموا إليه بها فروض الإجلال والإكبار ، وما يجب عليهم أن يأتوه أو يتجنبوه من أفعال وأقوال .

وهذا هو نص تلك الوصايا كما وردت فى التوراة :

« أنا الرب إلهك ، الذى أخرجك من أرض مصر ، من بيت العبودية . لا يكن لك آلهة أخرى أمامى . لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما ، مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن . لأنى أنا الرب إلهك إله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضىّ ، وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبىّ وحافظى وصاياى . لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا ، لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا . أذكر يوم السبت لتقدّسه .

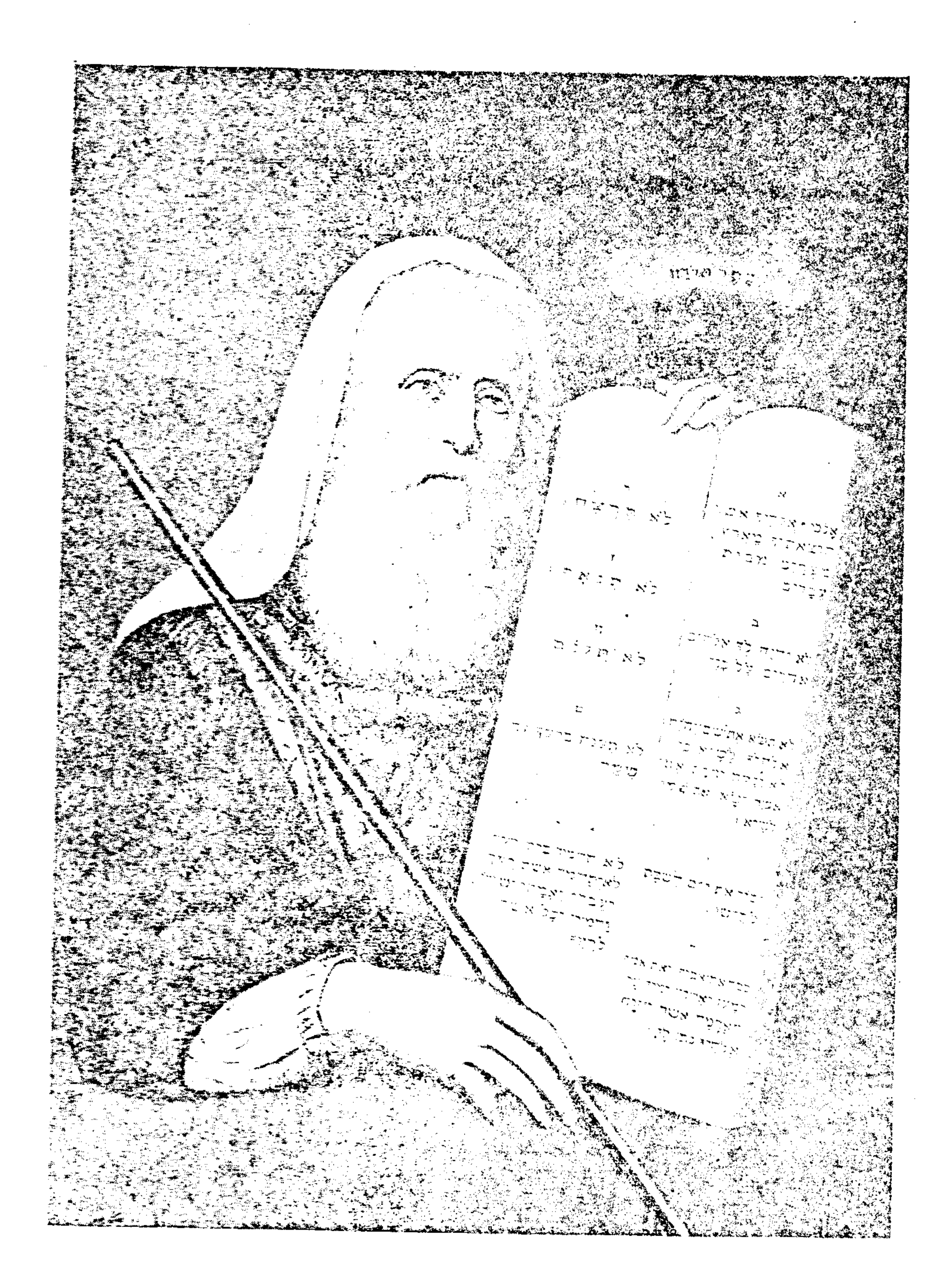
ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك ، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك . لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبـــدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك . لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع . لذلك بارك الرب يوم السبت وقدّسه . أكرم أباك وأمك لـكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك . لاتقتل. لاتزن. لا تسرق . لا تشهد على قريبك شهادة زور . لا تشته بيت قريبك . لا تشتـه امرأة قريبك ، ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولاحماره . ولا شيئاً مما لقريبك » (الأصحاح العشرين من سفر الخروج) .

كذلك تتضمن التوراة أحكام الشريعة الخاصة بالعبادة والطقوس والمعاملات المدنية والعقوبات الجنـائية ، وهذه خلاصتها كما وردت فى كتاب « سوسنـة سليمان » :

يشتمل القسم الطقسى من العهد القديم على تفصيل مبادىء الديانة اليهودية وآدابها وهو يتضمن :

١ — تكريس هارون أخى موسى وبنيه لخدمة الكهنوت ،وتعيين ماينبغى للاويين المخصصين للوظائف الكهنوتية من الأملاك والعشور والنذور وأوائل القطـاف وباكورة الأثمار وأبـكار الأنعام وسائر الحيوانات .أما أبـكار البنين فيؤخذ مقدار معلوم من الفضة فداء عنهم ، لأن الله اختار سبط لاوى ليخدموه بدلا منهم .

٢ — الشرائع والنظم الخاصة بالذبائح والقرابين، وهى تتضمن وصفاً دقيقاً للذبائح المتنوعة التى ينبغى أن تـكون من حيوانات وطيور معينة خصصت لذلك نظراً لطهارتها ونقاوتها ، كما تتضمن بياناً مفصلا لـكيفية تقديم هذه الذبائح لأجل



« موسى النبي يقدم الوصايا العشر »

المحرقة والسلامة والخطية والإثم ، وأنواع الخطايا التى تقدم لأجلها ، والسنن المتعلقة بالنجاسات والتطهيرات المختلفة ، وبالملبوسات والمأكولات وما فى حكمها .

٣ — السنن المتعلقة بالأعياد وتشمل خمسة أعياد فى السنة ، وهى عيد الفطير أو الفصح ، وعيد الحصاد ، وعيد رأس السنة ، وعيد الصوم الكبير ، وعيد الجمع أو المظال . كما يعتبر كل يوم سابع من الأسبوع سبتاً لله لا يؤدى فيه أى عمل . كما تعتبر كل سنة سابعة سبتاً كذلك ، فلا تزرع فيها الأرض ولا يقطف الكرم ، بل تترك الأرض عطلا ويكون محصول الكرم مأكلاً لأبناء السبيل ووحوش البرية . وكذلك كل سبعة أسابيع من السنين تكون السنة التى بعدها — أى السنة الخمسون — يوبيلا ، أى سنة مقدسة لايكون فيها زرع ولاحصاد أيضاً ، وينادى فيها بالعتق فى الأرض لجميع سكانها ، فيعفى المدين من دينه ويسمح للعبد بأن يعود إلى عشيرته ، إذ لا يبقى فى تلك السنة دين ولا رقيق .

وتندرج فى هذا القسم أيضاً أحكام هذا الدين القضائية . ومنها عدم المحاباة مع المسكين أو احترام وجه الكبير ، أو الإصغاء إلى شاهد واحد ، بل يكون الاعتماد على شاهدين أو ثلاثة ، ووجوب اليمين على المنكر .

وتكون العقوبة هى الموت لمن ضرب إنساناً فمات ، ومن ضرب أباه أو أمه ومن شتم الله ، ومن أدّى عملا يوم السبت ، والزانى والزانية ، وصاحب الثور النطاح إذا كان قد أشهد عليه من قبل ولم يضبطه ثم نطح إنساناً فقتله ، فصاحب الثور يقتل والثور يرجم ولا يؤكل لحمه .

أما القصاص فبمثل الذنب ، أى العين بالعين والسن بالسن واليد باليد والجرح بالجرح والرض بالرض .

وإذا تزوج رجل بامرأة ثم لم ترق فى عينيه أو وجد فيها عيباً، فله أن يكتب لها كتاب طلاق ويطلقها ، ثم إذا تزوجت رجلا آخر ومات أوطلقها فلا يجوز لزوجها الأول أن يراجعها .

وإذا مات رجل عن غير ولد ، كان لأخيه أن يتزوج امرأته ، وينسب الابن البكر الذى ينجبه منها إلى أخيه الذى مات .

وتنهى الشريعة عن أخذ الربا إذا أقرض أحد اليهود يهودياً آخر . أما إذا كان المقترض من ملة أخرى ، فإن أخذ الربا منه جائز .

وتنهى الشريعة كذلك عن زرع الحقل الواحد صنفين ، وارتداء ثوب يختلط فيه الصوف بالكتان ، كما تنهى عن إبقاء جثة المقتول بجناية إلى الغد إذا كان معلقاً على خشبة ، لأن المعلق ملعون من الله .

ب — التلمود

ولليهود كتاب آخر ينزلونه منزلة التوراة ، بل أن البعض منهم يهتمون به أكثر من اهتمامهم بالتوراة ، وذلك هو التلمود .

والتلمود مجموعة من التفاسير والشروح والإضافات والأخبار والأحكام ، وضعها بعض علماء اليهود فى عصور مختلفة وظروف متباينة ، فتألف منها سفر ضخم يبلغ عشرين مجلداً ، وهو يتضمن قسمين منفصلين هما « المشنة » أى صورة الناموس ، و « الغمارة » أى ملحق الناموس :

١ — فالمشنة هى خلاصة الشريعة الشفهية أى غير المكتوبة ، وهى تفسير للشريعة الموسوية المكتوبة ، وتضم مجموعة قوانين اليهود السياسية والمدنيــة

والدنيوية ، وأكثرها مبنى على تقاليد قديمة جداً حتى ليقول البعض منهم أنها وجدت منذ خروج بنى اسرائيل من مصر وتيههم فى الصحراء . وتنقسم المشنة إلى ستة أقسام : الأول خاص بالفلاحة . والثانى بالأعياد والمواسم . والثالث بالنساء ومعاملاتهن كالزواج والطلاق والوصية والنذور . والرابع بالعقوبات . والخامس بالذبائح والتقدمات ووصف هيكل أورشليم . والسادس بالطهارة والنجاسة . ومعظم فصول المشنة مدون باللغة العبرانية القديمة .

٢ — والغمارة هى تفسير للمشنة . فقد كثرت التقاليد واتسع نطاق الشروح المتشعبة للشريعة اليهودية ، وتضاربت الأحكام الصادرة من المجامع فى الشئون المختلفة ، فقام بعض علماء اليهود بجمع هذه التقاليد والشروح والأحكام وعملوا على تنظيمها وتبويبها وشرح الغامض منها ، فكانت تلك هى الغمارة .

وكان اليهود يحتمون على الطفل أن يدرس التوراة فى سن الخامسة ، والمشنة فى سن العاشرة ، والغمارة فى الخامسة عشرة .

وقد بلغ من أهمية التلمود لدى بعض اليهود المعروفين بالبروشيم أنهم لا يدرسون التوراة ، بل يستقون كل معلوماتهم الدينية من التلمود . فى حين أن البعض الآخر من اليهود المعروفين بالقرائين ينبذون التلمود ويتمسكون بالتوراة وحدها .

البحث الثانى

معابد اليهود

١ - هيكل أورشليم

كان هيكل أورشليم هو مركز العبادة اليهودية ورمز تاريخ اليهود وموضع فخارهم وزهوهم ، وقد شيده الملك سليمان قبل ميلاد المسيح بألف سنة ، وأنفق بإسراف عظيم على بنائه وزخرفته ، حتى لقد احتاج فى ذلك إلى عشرة آلاف عامل وألف عربة ، وألف كاهن فى ثيابهم المزركشة ليضعوا أحجاره فى أمكنتها بعد أن قام النحاتون بتسويتها وصقلها ، وقد أتى له سليمان بالذهب من ترشيش وبالخشب من لبنان وبالأحجار الكريمة من اليمن ، ثم بعد سبع سنوات من العمل المتواصل ، تكامل بناء الهيكل فكان آية من آيات الدنيا فى ذلك الزمان .

ولكن يد الخراب لم تلبث أن امتدت إلى الهيكل مرات عديدة، إذ كان هدفاً دائماً للغزاة والطامعين ينهبون مابه من كنوز ، ثم يشيعون فيه الدمار ، حتى قام هيرودس الكبير بتجديد بنائه ، فأنفق فى هذا السبيل أموالا طائلة ، إذ كان يريد أن يضفى على نفسه مجد سليمان ، وكان يطمع فى الوقت نفسه فى أن يرضى اليهود الذين كانوا يبغضونه ويرفضونه كملك عليهم ، وقد استغرق بناء الهيكل فى هذه المرة

ستاً وأربعين سنة ، أصبح بعدها صرحاً ضخماً تحيط به ثلاثة أسوار هائلة ، لم يبق منها إلا جدار واحد هو حائط المبكى .

وكان الهيكل مكوناً من ساحتين كبيرتين ، إحداهما خارجية والأخرى داخلية . وكانت تحيط بالساحة الداخلية أروقة شامخة تقوم على أعمدة مزدوجة من الرخام وتغطيها سقوف من خشب الأرز الثمين . وكانت الأروقة الملكية القائمة فى الجهة القبلية من الهيكل ترتكز على ١٦٢ عموداً كل منها من الضخامة بحيث لا يمكن لأقل من ثلاثة رجال متشابكى الأذرع أن يحيطوا بدائرته . وكان للساحة الخارجية من الهيكل تسع بوابات ضخمة مطعمة بالذهب ، وبوابة عاشرة مصبوبة كلها رغم حجمها الهائل من نحاس كورنثوس . وقد تدلت فوق تلك البوابات كلها عناقيد عنب كبيرة مصنوعة من الذهب الخالص ، وكل واحد منها فى حجم الرجل ، وقد تعانقت أوراقها العريضة فى زخرف فاخر يأخذ بالألباب .

أما بناء الهيكل ذاته ، فتحفة رائعة من فن المعمار بجدرانه الشاهقة ، وأساساته الرخامية الفاخرة ، وفسيفسائه الثمينة وأخشابه العطرة ، وسقوفه الذهبية اللامعة ، وسجفه المزركشة المحلاة بالورود الأرجوانية ، وحوائطه الموشاة بالذهب والفضة والأحجار الكريمة ، والإيوانات الفارهة بأعمدتها الضخمة ، والأروقة الرائعة المشيدة بتدرج بديع : فثمة رواق الأمم بأعمدته الضخمة التى يتكون كل منها من حجر واحد ، وفى جانب منه ترتفع درجات رخامية تؤدى إلى رواق النساء ، الذى يحوى صناديق النذور ، والذى يرتفع فيه سراجان عظيمان مموهان بالذهب ارتفاع كل منهما خمسون ذراعاً ، وفى أعلاه مصابيح هائلة تضاء فى الأعياد ، فترمى ضوءها الوهاج على المدينة كلها . وفى جانب ذلك الرواق ترتفع درجات رخامية أخرى تؤدى إلى رواق الكهنة ، ثم تتلوها درجات غيرها تؤدى إلى الطابق الأخير المتوج بالقدس وقدس الأقداس ، الذى كان برخامه الناصع

البياض وسقوفه المحلاة بالذهب يماثل جبلا عظيما من الثلج تتوجه الشمس بضوئها الذهبي .

وقد استمرت هدايا الملوك للهيكل حتى آخر زمانه ، فكان يزخر بالكنوز التي لا تقدر بثمن والتي تخطف الأبصار بروعتها ورونقها وبهائها .

ولكن اليهود اعتدوا على قدسية هذا الهيكل وأهانوا رونقه وفخامته ، إذ لم يلبثوا أن أحالوه إلى سوق للبيع والشراء ، فتزاحم في ساحته بائعو الثيران والكباش والحمام ، حتى امتلأ بهم الرواق وأصبح لقذارته أقرب إلى مربط البهائم . كما كانت تكتنف الهيكل مكاتب الصيارفة ، التي لا يفتأ يتعالى منها رنين النقود مختلطاً بصوت مساومات الناس وهم يستبدلون ما بيدهم من دراهم . فقد كان الكهنة في الأعياد يجمعون الفريضة المقدسة القديمة ،أي نصف الشاقل سنوياً عن كل اسرائيلي - سواء أكان غنياً أم فقيراً - فدية عن نفسه . وكانت هذه الضريبة تخصص لخدمة الهيكل . ولم يكن قانونياً أن يؤتى بهذه الفدية من عملة أجنبية ولا سيما إذا كانت من النحاس الأحمر أو الأصفر ، المنقوشة بصور وثنية أو كتابات كفرية ، ولذلك كان اليهود يضطرون لأن يبدلوا نقودهم إلى العملة المرغوبة أي الشاقل الفضي ، ومن ثم احتل الصيارف مداخل الهيكل وشاركوا تجار الماشية في تحويل ذلك المكان المقدس إلى سوق للبيع والشراء ، تختلط فيه البهائم بالناس ، وتطغى فيه أصوات خوار البقر وثغاء الأغنام على صلوات الكهنة وتراتيل اللاويين . وكان الكهنة يشتركون في هذه التجارة ويأخذون ضرائب من التجار ويشاركونهم في أرباحهم .

وقد تألم السيد المسيح مما رأى من هوان لبيت الله واستهانة بقدسية هيكله ، فنظر إلى البناء العظيم وقال لتلاميذه « أترون هذه الحجارة العظيمة ؟ لا يترك حجر على حجر هنا إلا وينقض » . وقد تحققت هذه النبوءة ، فلم يمض خمس

وثلاثون سنة على النطق بها حتى دفن هذا الهيكل تحت ما تبقى من رماده بعد أن أكلته النار ، وحلت به أبشع صور الدمار ، وهكذا اختفى من الوجود ذلك الصرح الذى ظل قائما ألف سنة ، فكان فناؤه رمزاً لفناء دولة اسرائيل إلى الأبد .

ب ـ المجامع

كان يوجد فى بلاد اليهود غير هيكل أورشليم مجامع صغيرة فى المدن والقرى للصلاة والعبادة . وكان المجمع فى الغالب عبارة عن بناء بسيط متسع مستطيل ، يرتفع سقفه على أعمدة من الطراز اليونانى ويقع فى نهايته القدس متجهاً إلى أورشليم. أما فى أماكن الأغنياء فكان المجمع يشيد بالرخام الأبيض المنقوش بحليات بارزة من أوراق العنب وعناقيده أو العصا المفرخة وقدر المن .

وكانت مقاعد الرجال بالمجمع توضع فى ناحية ، بينما توضع مقاعد السيدات خلف حاجز فى الناحية الأخرى . وفى جانب كانت تقام « الطبهة » أو التابوت لحفظ الأسفار المقدسة ، وهو مصنوع من الخشب الملون ، وفى الجانب الآخر كانت تقام «البيمة» وهى مقعد عال يخصص للقارىء أو الواعظ .

ولم يكن فى المجامع كهنة بالمعنى المعروف كما هو الحال فى هيكل أورشليم ، وإنما كانت توضع عشرة كراسى أمام التابوت ، فى مواجهة المجتمعين ، ويجلس عليها الشيوخ المتقدمون فى السن يتوسطهم رئيس المجمع . ويلى هؤلاء فى المكانة الكاتب المنوط بحفظ الكتب المقدسة ويسمونه « الخزان » ، ثم « الشيلاك »

وهو يماثل حامل الصولجان ، و « البرناسيم » أى الرعاة وكانت وظيفتهم تشبه من بعض الوجوه وظيفة الشمامسة فى الكنيسة المسيحية .

وكانوا يقرأون فى العادة بعد الصلاة فصلا من الناموس ويسمونه « براشاه » وفصلا من الأنبياء ويسمونه « هافتراه » . وكان لكل حاضر بالمجمع أن يأخذ الإذن من رئيس المجمع ثم يتقدم للقراءة .

البحث الثالث

المحافل اليهودية

١ - مجلس السنهدرين

مجلس السنهدرين هو مجلس الشيوخ اليهودى الذى كان يهيمن على حياة اليهود الدينية والمدنية على السواء . ويعزو اليهود أصله إلى موسى ، ثم إلى « مجلس شيوخ إسرائيل » الوارد ذكره فى سفر حزقيال ، ثم إلى « مجلس شيوخ اليهود » الوارد ذكره فى سفر عزرا ، ثم إلى «المجمع الأعظم » الوارد ذكره فى سفر المكابيين الأول » ، وكانوا يسمونه « المحفل العظيم للكهنة والشعب وحكام الأمة وشيوخ البلاد » .

والسنهدرين كلمة يونانية معناها « بيت الدين » أو «دار الحكمة» أو « المجمع العظيم » .

وكان السنهدرين مجلسا قانونياً له كل السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وكان فى ذات الوقت هو الهيئة الكهنوتية العليا التى لها سلطة الحكم فى كل المخالفات الواقعة ضد الناموس .

وكان فى سلطة السنهدرين إصدار الأحكام وتنفيذها عدا حكم الموت ، فقد

كان ينبغى رفعه إلى الحاكم الرومانى للتصديق عليه حتى يصبح ممكن التنفيذ .

وكان عدد أعضاء السنهدرين واحداً وسبعين عضـــواً ينتخبون من الكهنة والكتبة واللاويين والشيوخ ويعينون باحتفالات دينية كبرى . وكان عضـــو السنهدرين شخصاً ممتازاً فى المجتمع اليهودى . وكان رئيس الكهنة هو رئيس المجلس .

وكان المجلس يحكم فى كل المشاكل الدينية والمدنية والجنائية على مقتضى شريعة موسى . كما كانت تعرض عليه كل الحالات الهامة التى فصلت فيها المجالس الإقليمية ، ليصدر فيها الحكم النهائى .

وقد جرؤ أعضاء السنهدرين فى عهد هيرودس الكبير على مصارحـــته بأنهم لا يقبلونه ملكا عليهم لأنه ليس يهوديا صميما فنقم عليهم وقتلهم جميعاً ، ومن ثم تعطل هذا المجلس منذ ذلك الحين وحول هيرودس اختصاصاته إلى مجلس خاص عينه من مريديه . وقد ورد فى التلمود أن السهندرين أصبح فى عهد الرومان عصبة غير دينية وغير وطنية من كهنة نفعيين تناصرهم الحكومة ويكرههم الشعب. وكانت حياة السنهدرين فى أواخر عهده متوقفة على الدسائس والمؤامرات التى كان الكهنة يحيكونها فى الظلام ، ولا يتورعون بواسطتها عن ارتكاب أشنع الجرائم والآثام فى سبيل الاحتفاظ بوظائفهم .

ب ـ المجالس الإقليمية

بالإضافة إلى مجلس السنهدرين الأعلى فى أورشليم ، كان ثمة مجالس إقليمية فى كل مدن فلسطين وقراها الكبرى ، وكان أعضاء هذه المجالس يتراوحون بين خمسة وسبعة أعضاء وكانوا يعينون بقرار من مجلس السنهدرين الأعلى ويرأسون المجامع

أيضاً . وفى سلطتهم إصدار القرارات والأحكام وتنفيذها فى دائرة اختصاصهم، ماعدا حكم الموت ، وقد تغلغل نفوذ هذه المجالس فى كل صغيرة وكبيرة من حياة اليهود ، وكان لها نفوذ عظيم عليهم . وكان من العقوبات التى لها حق توقيعها على المذنب الإخراج من المجمع ، وكانت هذه العقوبة من أبشع العقوبات وأقساها ، لأن معناها النفى والعزل من المجتمع ومصادرة الأموال والممتلكات،ولذلك كان اليهود يخشونها جداً ، ويهابون المجالس لأن لها سلطة توقيعها .

البحث الرابع

الطوائف اليهودية

كان اليهود ينقسمون فيما بينهم إلى عدة طوائف مختلفة ومتباينة فى مشاربها الدينية والاجتماعية والسياسية . وقد اشتهر من هذه الطوائف على الخصوص الفريسيون والصدوقيون والكتبة والهيروديون والجليليون والسامريون . ونفرد كلمة لكل من هذه الطوائف حتى تتضح أمامنا صورة المجتمع اليهودى حين مجىء السيد المسيح .

١ – الفريسيون

الفريسيون هم طائفة متطرفة ميّزت نفسها عن عامة الشعب فى الرأى والسلوك، ولا سيما أنها كانت الفئة المتعلمة من الشعب ، وقد نشأت فى عهد المكابيين للمحافظة على الشريعة والتمسك بها وصيانة التقاليد التى تناقلها الخلف عن السلف . ولذلك حصر الفريسيون همهم فى درس الشريعة وتفسيرها ، ولكنهم تمادوا فى التمسك بالشكليات وبحرفية العبارات حتى انتفى المعنى الروحى عن الناموس لديهم ، وانتهى الأمر بهم إلى اعتبار الناموس صنما يعبدونه . وقد كان لذلك أثره الشديد فى عامة اليهود الذين كانوا يحيطون الناموس بهالة من الإجلال والتقديس . وكان

الفريسيون فى نظرهم هم حفظة الناموس ، فكانو يحترمونهم ويطيعونهم ، ومن ثم استعبد الفريسيون الشعب فلم يتركوا أى شيء للإرادة الحرة ،بل وضعوا كل شيء تحت قيود العبارة الحرفية للناموس ، حتى أصبح اليهودى يتساءل فى كل خطوة يخطوها عن حكم الناموس فيها ، وباتت الحياة عذابا لايطاق بالنسبة للرجل المتزمت الذى يخشى فى كل لحظة أن يقع فى خطر التعدى على الناموس .

ومن الأمثلة على عقلية الفريسيين وأسلوب تفكيرهم وحذلقتهم ما كانوا يضعونه للطهارة من درجات كثيرة لا يرتقى الإنسان من إحداها إلى الأخرى إلا بعد الدرس الطويل والتمحيص الدقيق ، ويتضح غلوهم فى ذلك من الإجراءات التى كان ينبغى اتباعها فى عرفهم إذا لمس أحد اليهود شخصاً مصابا بالبرص ، إذ يحتمون لذلك طهراً وغسلا علنيا ذا طقوس طويلة معقدة .

أما الأبرص ذاته إذا شفى فقد كانت إجـــراءات تطهيره حسب الشريعة اليهودية أن يخرج إليه الكاهن خارج المدينة أو القرية ويذبح عصفوراً على مياه حية فى إناء من خزف ، ويأخذ خشب أرز وقـــرمزاً وزوفاً وعصفورا حياً ويغمسها فى دم العصفور المذبوح ، وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات ويطلق العصفور الحى ويعلن طهارة الأبرص ، فيغتسل ويحلق كل شعره ويقيم سبعة أيام فى خارج خيمته ، وبعد ذلك يحلق شعره مرة أخرى، ويرحض جسده ويأتى بخروف ذبيحة إثم وآخر ذبيحة خطية ونعجة للمحرقة ، وإن كان فقيراً ولا تنال يده فزوجى يمام أو فرخى حمام مع خروف واحد ، ودقيقاً وزيتاً ذبيحة تقدمة ، ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الإثم والزيت ويدهن شحمة أذن المتطهر اليمنى وعلى إبهام يده وإبهام رجله اليمنى ويصب الزيت على رأســه ويعلن طهارته .

ومن حذلقة الفريسيين فيما يتعلق بالطهارة أنهم كانوا يضيفون إلى أحكام

الشريعة فى هذا الصدد عدداً لايحصى من الطقوس إذ كانوا يوجبون غسل الأيدى مراراً قبل كل أكل وعند كل عودة من السوق ، فإن لم يجد اليهودى ماء لهذا الغرض فليفتش عنه إلى أربعة أميال ، وكانت لديهم بهذا الخصوص جملة أوامر حاخامية تحتوى على ست وعشرين صلاة ينبغى تلاوتها أثناء غسل الأيدى والأوانى على المائدة ، وكانوا يعتبرون إهمالها بمنزلة قتل النفس انتحاراً ، إذ يؤدى إلى الحرمان من الحياة الأبدية . وقد خصص التلمود أربعة أبواب لإجراءات التطهير والغسل . وقد حدث أن أحد حاخاماتهم المسمى عقيبة أودع فى السجن ولم يسمح له بماء إلا مايكفى بالكاد لأود الحياة ، ففضل أن يموت عطشاً عن أن يأكل دون الغسل القانونى .

ومن أمثلة تنطع الفريسيين فى دراستهم الحرفية للناموس كذلك أنهم توصلوا فى اجتهادهم إلى أنه « يوجد فى الناموس مائتان وثمانية وأربعون أمرا بعدد أعضاء جسم الإنسان ، وثلاثمائة وخمسة وستون نهياً بعدد العروق والشرايين ، أو بعدد أيام السنة ، ومجموع الكل ستمائة وثلاثة عشر بعدد الحروف التى فى الوصايا العشر » .

ومع كل هذا التدقيق والتنطع والحذلقه فى دراسة الفريسيين للناموس ، يقرر التلمود أنهم لم يكونوا كلهم أبراراً ، وأن كثيرين منهم كانوا كذلك فى الظاهر فقط . أما باطنا فكانوا يخالفون تعاليم شريعتهم . وقد قسم التلمود الفريسيين إلى سبعة أقسام ، وقال أن ستة من هذه السبعة لاتستحق الاعتبار لمخالفتها الغاية المقصودة . أما السابعة فأفرادها هم الفريسيون الحقيقيون .

وذلك أن الفريسيين مع أنهم كانوا يعتقدون أن الغرض الأسمى من وجودهم هو إقامة « السياجات » التى تصون الناموس ، فإنهم كانوا على استعداد تام لاختراع الحيل للتخلص من الناموس إذا تعارض مع مصالحهم أو مآربهم . وربما كان أبرز مثال لذلك الوسيلة التى احتالوا بها ليحلوا أنفسهم من القاعدة الشرعية

التى توجب ألا تتجاوز أية رحلة فى يوم السبت مسافة ألفى ياردة . وإذ كان من عادة الفريسيين أن يشتركوا فى الولائم اليومية العامة ، وكانت منازلهم كثيراً ماتبعد أكثر من ألفى ياردة عن المكان الذى سيجتمعون فيه ، ثم لما كان من المحرم بتاتاً حمل أى ثقل يوم السبت، فلكى لايحرموا من هذه الولائم فى ذلك اليوم ، كانوا يضعون فى عشية السبت، بعض الأطعمة على بعد ألفى ياردة من منازلهم ، وبذلك يخلقون مسكناً مفتعلا يستطيعون أن يسيروا بعده ألفى ياردة أخرى . وبذلك يتاح لهم أن يضاعفوا المسافة المفروضة . وللتخلص من عقبة تحريم حمل أى ثقل يوم السبت خارج البيت كانوا يحتالون بخدعة أخرى ، وذلك بأن يضعوا قوائم وعوارض أبواب ونوافذ فى مختلف الشوارع ، فتصير المدينة كلها بمثابة بيت كبير يحل فى داخله حمل الأثقال . ومن الأمثلة كذلك أن الناموس كان يلزم الإبن بأن يعول والديه فى حالتى الشيخوخة والعوز ، ولكن الفريسيين كانوا يتهربون من هذا الإلتزام بحيلة كذلك ، وذلك بأن يذهب الإبن ـ إذا طالبه أبوه ـ إلى الهيكل ويتفق مع الكهنه على أن يوقف كل أمواله وممتلكاته على الهيكل ، وعندئذ يعجز الوالدان عن أخذ شيء منه ، ثم إذا توقفا بعد ذلك عن مطالبته ذهب واسترد كل ممتلكاته من الكهنة نظير دفع نسبة معينة من المال ، فيستمر الوقف صورياً فقط ، وغير نافذ المفعول . وعلى هذا القياس كان الفريسيون يخالفون أوامر الناموس ومحرماته : فإذا أشرف ثور على الموت فى يوم مقدس ، كانوا يحللون لليهود ذبحه على شرط أن يأكل قطعة من لحمه بقدر الزيتونة ، ليبرر أنه إنما ذبحه لأكلة ضرورية . وإذا أراد يهودى أن يشترى ما يباع بالوزن أو الكيل فى يوم مقدس ، كانوا يحللون له ذلك على شرط أن يدفع الثمن فى اليوم التالى وعلى ألا ينطق باسم مايشترى أو وزنه أو كيله . وإذا أراد يهودى أن يزنى ـ وهى جريمة عقوبتها الموت ـ كانوا يحللون له ذلك بفتوى وردت فى التلمود ، وهى أن « خطية الزنا مباحة ما دامت تجرى فى الخفاء التام »

وهكذا كانوا يتلاعبون بالأوامر الإلهية التى كانوا هم أنفسهم يعتقدون فى كمال قدسيتها ، والتى كانوا يقتصون ممن يتعداها بتوقيع حكم الموت عليه . ولا ريب أنهم كانوا يظنون أن إلههم من السهل غشه وخداعه .

٢ ـ الصدوقيون

الصدّوقيون هم الطائفة الكهنوتية الأرستقراطية التى كانت متحالفة دائماً مع السلطة الحاكمة حتى حين كانت هذه السلطة معادية لليهود . وقد اشتق اسمهم من اسم صدّوق سليل فنحاس الذى مارس الكهنوت حين انتهى نسل أولاد هارون . وقد اكتفى الصدوقيون بالطاعة الاعتيادية للناموس المكتوب فقط بينما كان الفريسيون يعتقدون أن تقاليد الآباء وتعليقاتهم على الناموس هى فوق الناموس.

وقد كان للصدّوقيين نفوذ قوى لأنهم كانوا يشرفون على الهيكل ، وقد أثروا ثراءاً فاحشاً عن طريق العشور والهبات والتبرعات التى كانوا يجنونها من الشعب. والواقع أنهم رغم وظائفهم الكهنوتية لم يكونوا يهتمون بالدين ، وإنما كان كل هدفهم ان تظل الأوضاع مستقرة ليحتفظوا بسلطاتهم وثرواتهم ، ومن ثم كانوا يتغاضون عن وجود المستعمر ، بل كانوا يشجعون ذلك ويسعون إلى دوامه ، ولذلك لم يكن الشعب يحبهم .

وكان الصدوقيون قوماً ماديين دنيويين لا يؤمنون بالآخرة ويعيشون فى الدنيا عيش التنعم والرفاهية ، ويأكلون فى صحاف من الذهب والفضة ، ويطلبون بائنة مضاعفة لكل بنت تتزوج منهم ، ويسعون إلى جمع المال بكل وسيلة . فكانوا يثرون على حساب الشعب . وقد حدثت مشاحنات كثيرة بينهم وبين الفريسيين فى هـــذا الشأن . ومن ذلك ما حدث بشأن توريد الضحايا اللازمة

للذبيحة اليومية فى الهيكل ، إذ كان الفريسيون يقولون أنه يجب أن تشترى هذه الضحايا من صندوق مال الهيكل ، ولكن الصدوقيين إذ كانوا يعتبرون مال الهيكل من حقهم ، كانوا يريدون أن تشترى الذبائح باكتتابات بعيدة عن الصندوق . كذلك كان الصدوقيون يأخذون لأنفسهم ذبيحة التقدمات بينما كان الفريسيون يوجبون حرقها على المذبح . وقد ورد فى التلمود أن الصدوقيين إذ كانوا يبيعون الحمام فى حوانيت يملكونها تسمى « الشاتوجوت » ، عمدوا إلى مضاعفة المناسبات التى يقدم فيها الحمام ذبيحة حتى وصل سعر الحمامة الواحدة إلى قطعة ذهبية . ومن ثم قال سمعان ابن غمالائيل وهو من زعماء الفريسيين « أقسم بالهيكل أننى لن أنام حتى أخفض سعر الحمامة إلى دينار » . ولذلك أشار بإنقاص المناسبات التى يقدم فيها الحمام ذبيحة حتى وصل سعر الحمامة إلى ربع دينار ، وكانت تلك ضربة شديدة لأصحاب حوانيت الحمام ، التى كان يملكها أولاد رئيس الكهنة حنان .

٣ ـ الهيرودبون

الهيرودبون هم السياسيون من أشياع هيرودس ، وكانوا من البوطيين الذين ارتبطوا مع هيرودس الكبير بالنسب ووحدة المنافع الزمنية ، وقد ظلوا فى رئاسة الكهنوت خمساً وثلاثين سنة وشاركوا أسرة حنان فى السؤدد ، وفى هذه الفترة كانت رئاسة الكهنوت مشاعاً بين الصدوقيين والهيرودبين . وقد ساروا على خطة الأمراء الذين اجتهدوا ـ من عهد ياسون ومنيلاوس ـ أن يدخلوا التجديدات والعادات الوثنية إلى المجتمع اليهودى . وقد ألجأتهم ميولهم اليونانية ومنافعهم المادية لأن يعلنوا احتقارهم لناموس موسى ، بل لقد أرادوا أن يقنعوا اليهود بأن هيرودس الكبير هو المسيا ، أى المسيح المنتظر ، ولكن اليهود لم يستمعوا إليهم .

وقد كان مقصد الهيروديين الأول أن يوطدوا علاقات هيرودس بالامبراطورية الرومانية ، ولذلك عملوا على قتل كل حماس وطنى أو ثورة يهودية ولذلك كذلك تخلوا عن أسمائهم العبرانية واتخذوا بدلا منها بعض الأسماء اليونانية ، كما اتخذوا عادات اليونان والرومان ، وقبلوا الرموز التى تقر السيطرة الوثنية ، وقد ذهبوا فى هذا السبيل إلى حد أنهم عملوا بكل مالديهم من وسائل على أن يمحوا العلائم المقدسة المميزة للأمة اليهودية . وكان هذا مثار النزاع بينهم وبين الفريسيين فقد اعتبرهم أولئك مرتدّين ، لأنهم قبلوا حكم الرومان وتشبهوا بالوثنيين ، واعتنقوا مبادىء الصدّوقيين ، وأمعنوا فى ممالأتهم للأسرة المالكة .

٤ — الكتبة

الكتبة هم علماء الشريعة وحافظو تقاليدها ، وكان من وظائفهم حفظ الهيكل والمجامع تحت إشراف الكهنة ، كما كان من وظائفهم تعليم الدين وشرح التقليد والجلوس على كرسى القضاء فى المجامع الإقليمية ، وكانوا يعرفون لذلك بالناموسيين أو الربيين أو الأساتذة لتفقههم فى الناموس .

وقد نشأت طائفة الكتبة فى الأصل عن أن ملوك العهد القديم كانوا يتخذون كتبة ونساخاً من طائفة الكهنة ورجال الدين أو من موظفى الدولة المثقفين ، وقد أصبح لأولئك فى الدولة نفوذ عظيم . وفى أثناء السبى ازدادت مهمة الكتبة فدخل فيها التعليم والتبصير بالناموس . ولذلك اعتزل الكتبة وظائفهم الحكومية الرسمية والشئون العالمية ، وغدوا طائفة دينية تعنى بالناموس فقط . ثم بعد السبى مباشرة ولمدة مائتين من السنين ، أى إلى عهد سمعان العادل سنة ٢٧٠ قبل الميلاد ، كان الكهنة كتبة فى الوقت عينه ، فعزرا مثلا كان كاهناً وكاتباً . ولكن بعد هذا

التاريخ صار الكهنة والكتبة كل منهم طائفة قائمة بذاتها، واختص الكتبة بالتحرير والنسخ ودراسة الناموس والاجتهاد فى شرح أحكامه ووصاياه .

وكان الكتبة منتشرين فى بلاد اليهودية بأسرها يعلمون الشريعة . ولما كان التعليم مجاناً ، فقد فرض على الكتبة أن يمتهنوا المهن التى تمكنهم من تحصيل معاشهم. وكانوا درجات من حيث العلم والأهلية ، فبعضهم كانوا أعضاء فى السنهدرين ، بينما كان بعضهم الآخر ينسخ الكتب المقدسة ويكتب الرسائل والعقود وغير ذلك . وكانت لهم مدارس يستقبلون فيها تلاميذهم ، وكان الواحد منهم يجلس على مقعد مرتفع ويجلس تلاميذه القرفصاء عند أقدامه فى حلقة دائرية .

وكان تعليم الكتبة ضيقاً ، صارماً ، مادياً ، وقوراً فى المنظر ، خليعاً فى المخبر. كان تعليما متحذلقاً وفى ذات الوقت ضعيفاً ، متكبراً وفى ذات الوقت ضيقاً سخيفاً. وكانوا يعشقون الجدل لمجرد الاستمتاع بلذة الجدل .

٥ — السامريون

لما سقطت السامرة عاصمة اسرائيل فى يد سارجون الثانى ملك الأشوريين سنة ٧٢٢ قبل الميلاد ، أسر الغزاة زعماء الشعب وأعيانه وكهنته وأخذوهم فى السبي ، وأحلوا محلهم فى السامرة خليطاً من الأجناس الأخرى ، وجعلوا على هذا الخليط حاكما أشورياً ، ومن ثم لم يعد لمن بقى من اليهود فى السامرة من يبصرّهم بأحكام الشريعة الموسوية ، فكادوا أن ينسوها ، حتى إذا عاد اليهود المسبيون من منفاهم إلى أورشليم بعد ذلك احتقروا السامريين ، ورفضوا أن يسمحوا لهم بالاشتراك معهم فى إعادة بناء الهيكل ، لأن دمهم لم يعد يهودياً خالصاً بعد أن اختلطوا بالأجناس الأخرى . وكان كل من عزرا ونحميا قد حظر على اليهود أن يختلطوا

بالأجناس الأخرى أو يتزاوجوا معها . ومن ثم تأصلت العداوة بين اليهود والسامريين منذ عام ٤٠٠ قبل الميلاد ، وباتت السامرة موطناً لليهود الذين تمردوا على الحياة فى أورشليم ، ورأوا فى الإصلاح الذى قام به عزرا تزمتاً وصرامة لم يطيقوها . وكان من أولئك المتمردين منسى الكاهن الذى طرده نحميا ، لأنه تزوج من امرأة غير يهودية، فاستوطن السامرة . وبقى دين السامريين على أصله لم يتأثر بإصلاح عزرا ، فكانت عبادتهم أشبه بعبادة الإسرائيليين قبل الإصلاح ، وإن كانت عقائدهم قد اختلطت بالكثير من العقائد والممارسات الوثنية . وقد احتفظوا بأسفار موسى الخمسة باللغة العبرانية من زمن نحميا ، وهى معروفة باسم « الأسفار الخمسة السامرية » وقد أدخل عليها السامريون بعض التغيير لتتفق مع عقائدهم الدينية الخاصة . وعلى مر الزمن ترجمت الأسفار السامرية إلى اللغات اليونانية والآرامية والعربية .

وقد ظل اليهود يحتقرون السامريين ، ويلعنونهم فى مجامعهم ولا يسمحون لهم بالاختلاط باليهود ، ويشبهون من يأكل خبزهم بمن يأكل لحم الخنزير ، ويترفعون حتى عن مكالمتهم ، فقد كان اليهود مترفعين بطبعهم ، وقد كان أقل عبد يهودى يلبس الأسمال ولا يجد قوته ، يشمخ بأنفه إلى السماء قائلا « أنا ابن ابراهيم » وكان اليهود يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وفى حين كان الرومان يستعبدونهم ويدوسون بالأقدام على أعناقهم كانوا هم يقولون فى تبجح « نحن ذرية ابراهيم ، ولم نكن عبيداً لأحد قط » . وكانوا يعتبرون أنفسهم وارثين لعائلة الملوك ، فكانوا من ثم ينظرون إلى الأمميين والوثنيين باحتقار ملكى وبترفع يستند إلى تقاليد لازمتهم آلاف السنين .

* * *

٦ — العشارون

العشارون هم جباة الضرائب . وكان اليهود يكرهون هذه الضرائب التى يفرضها الرومان عليهم كرهاً شديداً ، لأنها كانت رمز عبوديتهم ، وبالتالى كانوا يكرهون جباة الضرائب من الرومان ، ولكن كراهيتهم كانت أشد لليهود الذين يعاونون الرومان فى ذلك ، ولا سيما أنهم كانوا عادة من حثالة القوم ، وكانوا فى الغالب ممن لاضمير لهم ، إذ كان الرومان يخولون لهم جباية أكبر قدر من المال يستطيعون الحصول عليه من الشعب على أن يقوموا بتوريد الضريبة المقررة فحسب ، ثم يحتفظون بالباقى بعد ذلك لأنفسم ، فكان كل منهم يبذل بطبيعة الحال أقصى مايملك من جهد للانتفاع بهذا الوضع مهما ارتكب فى ذلك من ظلم وعنت. وقد كان هذا النظام شديد الوطأة على اليهود ، ولاسيما أنهم كانوا يدفعون إلى جانب الضرائب المدنية للمستعمر ، ضريبة دينية للهيكل والكهنة ، وكانت هذه الضريبة تشتمل على نصف الشاقل المفروض على كل فرد ، وعشر الحاصلات النباتية . وقد بلغ من تزمّت الفريسيين أنهم كانوا يوجبون اقتضاء العشر حتى على أعشاب الحقل . وذلك فضلا عن أبكار الحيوانات وأبكار المحاصيل والضريبة عن كل بكر فى العائلة ، وذبيحة الخطية وذبيحة الشكر والتقدمة لخبز الوجوه وغير ذلك من الضرائب الدينية التى لاعداد لها .

لذلك اشتدت كراهية اليهود لجباة الضرائب الذين كانوا يعرفون بالعشارين ، حتى لقد كانوا يساوونهم بالزناة. وقد كان من نتيجة نبذ المجتمع اليهودى لهذه الطبقة أن انحط أفرادها إلى مستوى وضيع . وقد صارت كلمة عشار مرادفة لكل ماهو مكروه وبغيض . وكان لدى اليهود مثل يقول « لاتتخذ زوجة من بيت فيه عشار، لأن أهل ذلك البيت كلهم عشارون » وقد سئل ثيوكرات ماهى أشد الحيوانات الكاسرة افتراساً فقال « أفتكها فى الجبل الدب والأسد ، وفى المدينة العشار والدجال ».

البحث الخامس

الايام المقدسة عند اليهود

كان اليهود يقدّسون يوم السبت من كل أسبوع ، كما كانوا يحتفلون احتفالاً عظيماً بأعيادهم السنوية ، ويجعلون للاحتفاء بها المقام الأول فى حياتهم .

ا ــ يوم السبت

كان السبت ترتيباً موسوياً قديماً ، وقد أصبح هو الأمر الأهم والأشد مراعاة من بين الوصايا العشر التى يعتبرها اليهود موضع اعتزازهم وامتيازهم عن بقية الأمم . وكان يوم السبت محور تقاليدهم الشكلية الجوفاء ، فركزوا كل اهتمامهم فى حفظه حفظاً حرفياً لاتهاون فيه ، إذ كانوا يعتقدون أنه حفظ فى السماء قبل أن يخلق الإنسان ، وأن بنى اسرائيل قد اختيروا لغرض واحد فقط هو حفظ السبت . ولذلك كانوا يفتخرون بأنهم يحفظونه بحرفية تامة جامدة ، ولو أدى ذلك إلى هزيمتهم فى الحرب ، ووقوعهم فى يد أعدائهم . وقد أدى حفظهم له على هذا الوجه إلى أنهم سيّجوه بأكبر عدد من المحظورات ولو أدى بهم ذلك إلى أشد ألوان الضيق والألم . وقد سماه النبي فرحاً ، ومن ثم حتّموا

حتى على الفقير أن يأكل فيه ثلاث وجبات ، وأوجبوا إقامة الولائم يوم السبت ، ولكن دون إيقاد نار أو طهى طعام . ومنعوا فى السبت عيادة المريض ومواساة المحزون ، بل حرموا فى ذلك اليوم حتى الدفاع عن النفس وحمايتها ، وذهبوا إلى أن قتل البرغوث فيه يضارع ذبح الجمل . وقد أمر موسى برجم بن الشولومية حتى مات لأنه جمع حطباً فى يوم السبت . وقد وضع المحفل الأكبر تشريعاً يتضمن مئات من الأمور يحرم إتيانها يوم السبت : ومن ذلك أنه محرم أن يعبر الرجل نهراً على أرجل خشبية فى يوم السبت لأنه بذلك يحمل الأرجل الخشبية فيكسر السبت. ومحرم أن تنظر المرأة فى المرآة يوم السبت لئلا ترى شعرة بيضاء فتحاول نزعها وتكسر السبت . ومحرم أكل بيضة باضتها الدجاجة فى يوم السبت . ومحرم لبس الأسنان الصناعية فى يوم السبت . ومحرم أن يستدعى المريض طبيباً فى يوم السبت . ومحرم على من به تصلب أن يضع فى ذلك اليوم ضماداً أو يدهن موضع الألم . ومحرم كتابة حرفين هجائيين فى يوم السبت . وقد اتهم الحاخام كولوثيموس بقتل غلام ، فكتب ورقة ليبرىء نفسه من التهمة، ومع أن هذه الورقة أنقذته فعلا من الموت ، إلا أنه لكونه كتبها فى يوم سبت ، أمضى بقية حياته يعذب نفسه بأعمال التوبة ، حتى إذا حضرته الوفاة أوصى بأنه لمائة سنة مقبلة ، ينبغى على كل من يمر بقبره أن يقذفه بحجر لأن عقوبة كاسر السبت هى الرجم . وذكر سينيسيوس أن بحاراً يهودياً فاجأته عاصفة يوم السبت فاستحرم أن يرفع المرساة حتى غرق .

وكان ممنوعاً فى السبت الحصاد والدراس . ولو أن رجلا جاع فى الحقل وكان سبتاً ، فلا يحل له أن يقطف بعض السنابل ويفركها بين كفيه ليأكلها، لأنهم يعتبرون ذلك بمثابة الحصاد والدراس .

ب ــ الأعياد السنوية

كانت لليهود أعياد سنوية كثيرة يحتفلون بها ويراعون ما وضع لها فى الشريعة والتقاليد من إجراءات وطقوس . ومن أكبر أعيادهم عيد الفصح وعيد الخمسين وعيد المظال . وكانت أورشليم تزدحم بالحجاج فى هذه الأعياد . وكان عدد أولئك الحجاج يزيد فى العادة زيادة كبرى عما يمكن للمدينة أن تستوعبه ، فكانوا يصرفون لياليهم فى الضياع والقرى المجاورة والحقول المحيطة بها . وهذه كلمة عن كل من الأعياد الثلاثة السالفة الذكر :

١ ــ عيد الفصح :

هو ذكرى خروج اليهود من مصر ، وكان يحتشد اليهود أثناء الاحتفال به من جميع جهات الشرق فى أورشليم ، حتى ليقال أن عددهم فى ذلك العيد كان يبلغ الملايين ، وكانوا يجتمعون فى احتفالات صاخبة زاخرة بالرقص والموسيقى . وكان أهم تقليد لدى اليهود فى ذلك العيد هو ذبح خروف يأكلونه بسرعة ، وبخبز غير مختمر وأعشاب مرة ، وقوفاً وأحقاؤهم مشدودة وأرجلهم منتعلة كما أكلوه بسرعة ليلة خروجهم من مصر . بيد أن هذه الطريقة لم تلبث أن تغيرت وأصبح اليهود يمارسون ذلك التقليد بأن يملأ كل فرد من أفراد العائلة كأساً من النبيذ يتلو عليها رب العائلة صلاة البركة ، ثم يغسلون أيديهم فى طست ماء ويضعون على المائدة الأعشاب المرة والخبز والفطير والشاروسيث — وهو خليــط من البلح والزبيب والخل — وخروف الفصح ، ولحم الشاجيجاه ، ثم يغمس رب العائلة بعض الأعشاب المرة فى طبق الشاروسيث ويأكلها وهو يبارك ثم يوزع

منها على الجميع . وبعد ذلك يتناول كأسا أخرى من النبيذ ، ثم يسأل أصغر الموجودين سناً عن معنى الفصح ، فيجيبه رب العائلة بالتفصيل عن سبب حفظه ، ثم يرنمون الجزء الأول من التهليل ويشمل المزمورين ١١٣ و ١١٤ من مزامير داوود ، ثم تعاد البركة ، ثم يشرب رب العائلة كأساً ثالثة من الخمر ، يتلوها بصلاة ، ثم يشرب كأساً رابعة ، ثم يرتل الجميع باقى التهليل ويشمل المزامير من ١١٥ إلى ١١٨ ثم ينتهى الحفل بالبركة والتهانى .

٢ - عيد المظال :

هو ذكرى ارتحال اليهود فى صحراء سيناء . وكان يقام بفرح عظيم حتى أن يوسيفوس وفيلو يلقبانه بالعيد الأقدس والأعظم . وكان اليهود يحتفلون به سبعة أيام متوالية من الخامس عشر إلى الحادى والعشرين من شهر تشرين ثم يختتمونه فى اليوم الثامن بخدمة دينية. وكانوا لكى يعيدوا ذكرى حياتهم فى الصحراء يعيشون أيام العيد فى مظلات مقامة من سعف النخيل وأغصان الزيتون والصنوبر والريحان ، وكان كل منهم يحمل فى يده لبلاباً مجدولا من قلب النخيل أو غصون الزيتون أو فروع المشمش والليمون . وفى ذلك الأسبوع كانت تتناوب كل فرق الكهنة فى أداء الطقوس بالهيكل .وكان الناموس يقرأ يومياً وتقرع طبول الهيكل كل يوم إحدى وعشرين مرة بنغمات الحماس والانتصار . وكانوا يقدمون سبعين من الثيران ذبيحة عن السبعين أمة من أمم الأرض . وكانت تقام فى كل يوم من أيام العيد الثمانية حفلة خاصة وخدمة مفرحة.فكان الناس يفدون فى الفجر إلى الهيكل ، وعندما توضع تقدمة الصباح على المذبح يحمل أحد الكهنة أبريقاً من الذهب إلى بركة سلوام عند قاعدة جبل صهيون وبهيبة عظيمة يغترف ثلاث مرات من الماء ثم يعود بالإبريق فى موكب نصر بالغ الروعة إلى الهيكل مجتازاً باب الماء ، حتى إذا دخل حرم الهيكل صدحت الأبواق المقدسة بلحن مفرح ، يستمر إلى أن يصل

الكاهن إلى أعلى درجات المذبح ، فيصب الماء فى وعاء فضى على الجانب الغربى ، ويصب خمراً فى وعاء فضى آخر على الجانب الشرقى ، وعندئذ يرنمون التهليل ، حتى إذا بلغوا الآية القائلة « إحمدوا الرب فإنه صالح وإلى الأبد رحمته» ، كان المتعبدون اللابسون الثياب البهيجة الواقفون على جانبي المذبح يلوحون بما فى أيديهم من الأغصان تلويح الانتصار . وكانوا فى المساء يطلقون لأنفسهم عنان الفرح والمرح ، وكان الحاضرون جميعاً حتى الكهنة والشيوخ الوقورون يرقصون فى حماس مفرح ويرنمون على أصوات النـاى وغيره من الآلات الموسيقية الترانيم الجميلة التى كانوا يطلقون عليها ترانيم المصاعد .

٣ ـ عيد التجديد :

هو ذكرى تطهير هيكل أورشليم ، وقد أسسه يهوذا المكابى سنة ١٦٤ قبل الميلاد ، بعد ست سنوات ونصف من تدنيس أنطيوخس أبيفانس للهيكل . وكان اليهود يحتفلون بهذا العيد فى الخامس والعشرين من شهر سيسلو من السنة العبرية ، ويستمر الاحتفال به ثمانية أيام وسط أفراح عظيمة . وكانوا فى العيد يزينون مدخل الهيكل بتيجان من الذهب ، وبعدد من الدروع ، ويضيئون كل الأنوار فى الهيكل والمدينة ، ولذلك كانوا يسمون هذا العيد كذلك « عيد الأنوار » .

الفصل الثالث

لغة اليهود

لغة اليهود الأصلية هى اللغة العبرية ، إلا أنه بعد السبي تغلبت اللغتان الآرامية واليونانية على اللغة العبرية ، فلم تعد هذه تستخدم إلا فى كتابة نصوص التوراة ، وأداء الطقوس الدينية .

وقد أصبح أغلب اليهود بعد السبي يتكلمون باللغة الآرامية ، وهى من فصيلة اللغة العبرية ، إذ تستمد اللغتان أصولهما من مصدر واحد ، وكلاهما من اللغات السامية .

وكانت اللغة الآرامية هى اللغة الرسمية فى الامبراطورية الفارسية قروناً طويلة . وقد أخذها اليهود تدريجياً من الفارسيين واستعملوها فى بابل ، ثم بعد عودتهم إلى فلسطين حتى خراب أورشليم .

ولئن كانت اللغة العبرية قد بقيت هى اللغة المقدسة التى ظل علماء اليهود متمسكين بها ، إلا أن الشعب كان قد نسيها ، ومن ثم كان لزاماً على أولى الشأن أن يترجموا الشريعة إلى لغة الشعب، وهى الآرامية . وقد جرت العادة فى المجامع على أن تقرأ مقتطفات من الأسفار المقدسة باللغة العبرية أولا، ثم تتلى بعد ذلك ترجمتها باللغة الآرامية . وفى العصور الأولى كان يقوم بالترجمة شفوياً موظف رسمى فى

المجمع ، ثم لم تلبث الأسفار أن ترجمت إلى الآرامية فأصبحت تتلى الترجمة من كلام مسطور . والمعروف أن عزرا هو الذى ترجم سفر الشريعة من اللغة العبرية إلى اللغة الآرامية .

على أن بعض اليهود فى فلسطين كانوا يتكلمون باليونانية ، وكذلك اليهود فى سائر أنحاء الامبراطورية الرومانية ، ولاسيما مصر ، ولذلك ترجمت الأسفار إلى اللغة اليونانية لمنفعة يهود مصر حوالى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد ، ولكنها كانت ترجمة غير رسمية ، ومن ثم عمد اليهود القاطنون بالإسكندرية فى عهد بطليموس فيلادلفوس إلى اختيار سبعين من علمائهم وعهدوا إليهم بترجمة التوراة من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية ، وتلك هى المسماة بالترجمة السبعينية .

الفصل الرابع

الولايات والمدن اليهودية

فى وقت مجئ السيد المسيح

البحث الأول

مناطق فلسطين

كانت بلاد اليهود — المعروفة اليوم بفلسطين — رقعة مستطيلة من الأرض لايزيد طولها عن ستة عشر ميلا ، ولايزيد عرضها عن سبعين ميلا ، ولا يزيد عدد سكانها عن المليونين . وهى تمتد على ساحل البحر الأبيض جنوبى لبنان ، وتكتنفها من الشرق جبال موآب، ومن الجنوب صحراء العرب، وتنقسم هذه الشقة المستطيلة من حيث طبيعتها إلى أربعة مناطق متوازية ، هى شاطىء البحر ، ثم سلسلة طويلة من التلال ، ثم واد خصيب هو وادى الأردن ، ثم جبال عالية

تمتد من لبنان وتنحدر تدريجياً ناحية الغرب ، بينما تكوّن انحداراً شديداً ناحية الشرق فى اتجاه البحر الميت ، وتلك هى جبال جلعاد وموآب. وينبع من الشمال نهر الأردن منحدراً فى السهل العميق حتى يصب فى بحر الجليل ، ثم يخرج منه متابعاً سيره ناحية الجنوب ، حتى يصب أخيراً فى البحر الميت .

وتنقسم منطقة التلال الواقعة بين شاطىء البحر ووادى الأردن إلى قسمين يفصلهما سهل يزرعيل ، فكان القسم الجنوبي المكون من التلال الكلسية هو أرض اليهودية . وكان القسم الشمالى الذى تنتثر فيه الحدائق والحقول هو أرض الجليل . وعلى الساحل الغربي كانت تقع السامرة ، وفى جنوب شرقى الجليل كانت تقع ديكابوليس أى العشر مدن ، تتلوها من الجنوب بيرية . ونتحدث بإيجاز فيما يلى عن كل من هذه المناطق :

١ ــ اليهودية :

كانت اليهودية أرضاً قاحلة من الحجر الجيرى ، ولم تكن بها سوى مدن أثرية متداعية إلا أن ميزتها الكبرى كانت تكمن فى أن فى وسطها أورشليم التى بها الهيكل العظيم ، ولذلك كانت محط أنظار اليهود جميعاً ، ولذلك أيضاً كان سكان اليهودية متكبرين متحفظين .

وكانت أورشليم على بعد خمسة وعشرين ميلا من البحر الميت ، وتقوم مبانيها على هضبة مرتفعة تحيط بها الأودية من ثلاث جوانب : فمن الشرق وادى قدرون ومن الغرب وادى جيحون ، ومن الجنوب وادى هنوم ، ويشق المدينة نفسها أخدود فيقسمها إلى جانبين : جانب غربى يشرف عليه جبل صهيون ، وجانب شرقى يرتفع فيه جبل المرايا الذى أقيم عليه الهيكل . وفى شمال جبل المرايا كانت تقع المدينة الجديدة « بيزيتا » .

وكان يحيط بأورشليم سوران ضخمان ، يرتفع أحدهما حول الهيكل وصهيون ،

وقد أقامه الملك داوود ، والثانى يكتنف القسم الأسفل من المدينة وقد بناه الملك حزقيا . كما كان ثمة سور ثالث يحيط بالمدينة الجديدة « بيزيتا » ، وقد بناه الملك أغريباس .

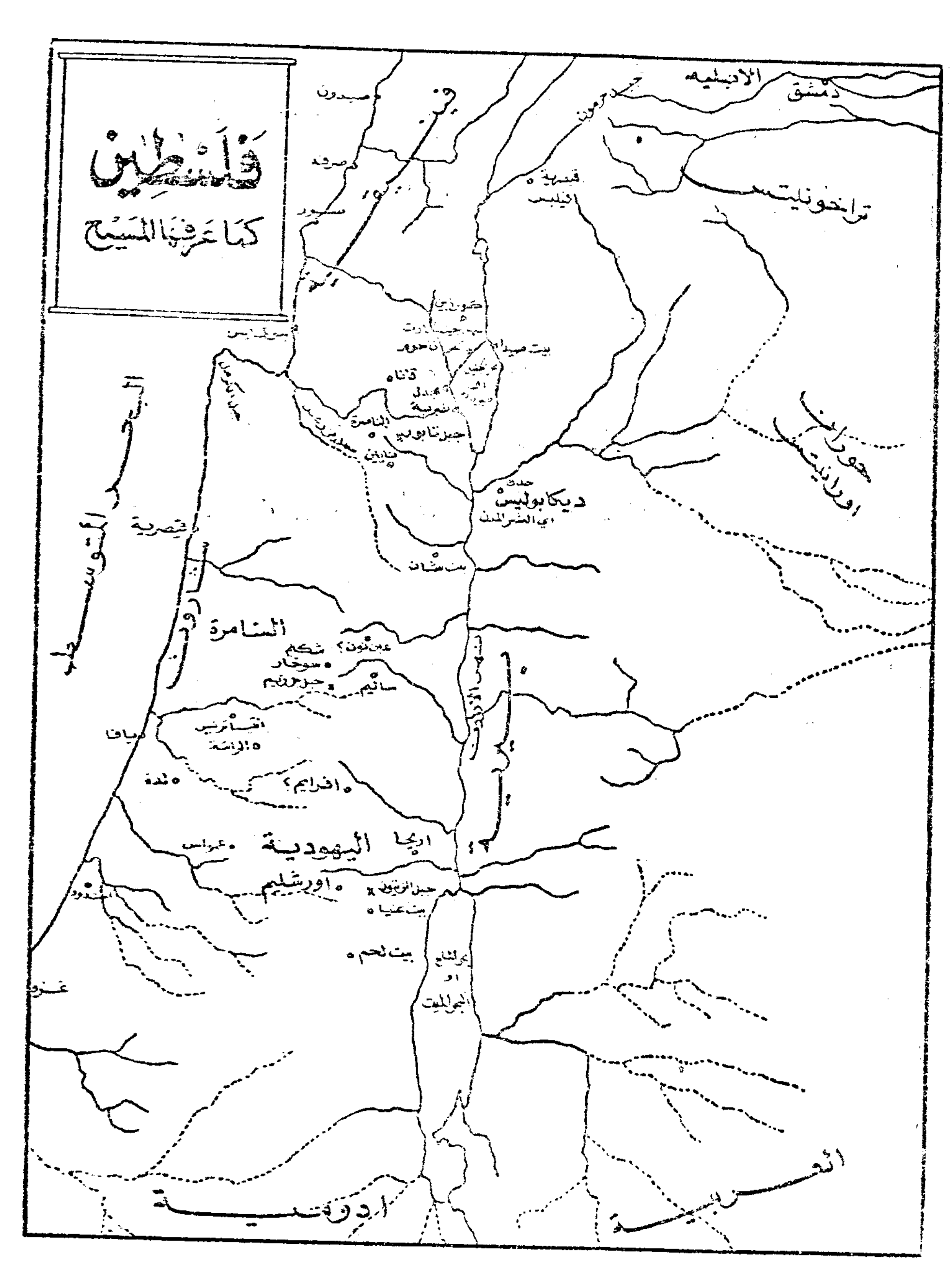
وكانت ترتفع فى الشمال الغربى من المدينة قلعة شامخة تضم قصر هيرودس الكبير . وكان بالقرب من أورشليم جبل الزيتون، وفى سفحه يقع بستان جثسيمانى الذى دفن فيه السيد المسيح قبل قيامته . كما تقع على الجانب الشرقى لجبل الزيتون قرية بيت عنيا . وكانت تقع فى الشمال الشرقى من أورشليم وعلى بعد خمسة عشر ميلا منها مدينة أريحا . كما كانت تقع فى الجنوب من أوشليم وعلى بعد ستة أميال منها مدينة بيت لحم ، التى ولد فيها السيد المسيح .

وكان من المدن الهامة فى ولاية اليهودية كذلك قيصرية ويافا على شاطىء البحر الأبيض ، وفى الداخل شكيم وساليم وسوخار وأنتيباترس والرامة وأفرايم وعمواس وعين نون .

٢ — الجليل :

وكانت الجليل أرضاً ناضرة زاخرة بالكروم والبساتين . ومكتظة بالمدن العامرة بالسكان . وكان سكان الجليل خليطا من شعوب كثيرة ، فكان منهم الأممى عابد الأوثان ، ومنهم الأممى المتهوّد ، ومنهم اليهودى المقيم . ولذلك كان يهود الجليل أقل تزمتاً من يهود اليهودية ، وأقل تدقيقاً فى مسائل الدين والناموس، ولذلك كذلك كان يهود اليهودية يحتقرون الجليليين ، ويعتبرونهم أقل قيمة من الوثنيين ، بل يعتبرونهم ملعونين لأنهم لايعرفون الناموس . ومع أن يهود الجليل ويهود اليهودية كانوا يتكلمون الآرامية ، إلا أن يهود الجليل كانوا ينطقون بها بلهجة مختلفة تميزهم عن غيرهم .

وكانت كلمة « الجليل » تطلق أولا على المدن العشرين التى فى دائرة قادش



« ولايات فلسطين فى عهد كرازة السيد المسيح »

ونفتالى ، وكان سليمان قد منحها لصديقه الملك حيرام نظير معاونته إياه فى بناء الهيكل . فلما خرج حيرام ليراها ، لم تحسن فى عينيه فسماها « كابول » ، وقد نحتت كلمة جليل فى العبرية من كابول ، لتدل على الاحتقار والازدراء .

وكانت عاصمة الجليل مدينة سيفوريس ، ومن أشهر مدنه كفر ناحوم ، الواقعة على ساحل بحر الجليل ، وهى مدينة كبيرة بادية الأناقة بمبانيها المرمرية الفاخرة ، ومجمعها الفخم ذى الأعمدة الرخامية الذى لاتزال أثاره باقية حتى اليوم . وكانت كفر ناحوم مركزاً تجارياً هاماً ، ولذلك بلغ تعداد سكانها عشرين ألفاً . وكانوا خليطاً من اليهود الأصليين ويهود الشتات والأمم . وعلى بعد ميلين من كفرناحوم كانت تقع مدينة كورزين ، كما كانت تقع بيت صيدا على بحر الجليل .

وكانت طبرية من أكبر مدن الجليل ، وقد أسسها هيرودس أنتيباس ، وأطلق عليها اسم الإمبراطور طيباريوس قيصر . وبنى على التلال المحيطة بها قصوراً لاتزال آثارها باقية حتى اليوم . وفى الشمال الغربى من طبرية جبل ترتفع قمته إلى ألفى قدم ، وعند هذه القمة ألقى السيد المسيح خطبة الجبل الشهيرة .

وعلى بعد ثلاثة أميال إلى الشمال من طبرية تقع مدينة المجدل التى منها مريم المجدلية ، وإلى جنوبها يقع وادى جنيسارت ، وهو جنة عامرة بالكروم والتين والزيتون والنخيل .

وإلى الشمال تقع مدينة صور الساحلية وقد أعاد هيرودس بناءها .

وتقع الناصرة على قمة جبل عال فى الجليل ، وإلى الشرق منها يقع جبل طابور ، وإلى الغرب جبل الكرمل ، وإلى الشمال الشرقى جبل حرمون . وفى الناصرة قضى السيد المسيح أيام صباه وفجر شبابه قبل أن يبدأ كرازته .

وإلى الشرق من الجليل تقع بحيرة طبرية ، التى كانت تسمى كذلك بحر

الجليل ، وتبلغ مساحتها مائة ميل مربع وينخفض مستواها نحو سبعمائة قدم تحت سطح البحر ، مما كان يجعلها معرضة على الدوام لزوابع مفاجئة تتعذر معها الملاحة، وفى عصر المسيح كانت تحيط بها تسع مدن من أجمل المدن فى الشرق الأوسط ، زاخرة بالجامع اليهودية والمسارح والحمامات وحلبات السباق والقصور الفاخرة من الطراز الكورنثى . وكانت تتصل بشواطىء بحيرة طبرية أربعة طرق تجارية: أحدها يؤدى غرباً إلى وادى الأردن ، والثانى يخترق البرية إلى أريحا ، والثالث يجتاز سيفوريس عاصمة الجليل إلى عكا على البحر المتوسط ، والرابع ينطلق عبر جبال زبولون ووادى إزدارئليون إلى السامرة فأورشليم . وكانت تمخر عباب البحيرة أربعة آلاف سفينة ، تربط بين المدن القائمة على شواطئها .

٣ ـ السامرة :

تقع السامرة فى الشمال الغربى من اليهودية ، وتبلغ مساحتها ألف ميل مربع ، وهى غنية بمروجها ورياضها ومراعيها . وكان أهلها أكثر تسامحاً من اليهود فى التعامل مع غيرهم . وقد اختلطت عقائدهم بالكثير من العقائد والممارسات الوثنية، ولذلك نبذهم اليهود واحتقروهم ، وامتنعوا عن مخالطتهم أو التعامل معهم .

٤ ـ العشر مدن :

كانت من أجمل مناطق فلسطين فى عصر السيد المسيح الدائرة المعروفة بالعشر مدن أو ديكابوليس ، وتقع شرقى الأردن ، وتمتد شمالا إلى دمشق وجنوباً إلى نهر البابون عند الحد الشمالى لبيرية ، وكانت اتحاداً لعشر مدن حرة لم يسكن

لليهود بعد عودتهم من السبي استرجاعها ، فظلت محتلة من الأمم ،وكانت تغلب عليها الصبغة اليونانية .

٥ — بيرية :

وهي واقعة كذلك شرقي الأردن ، وتمتد من قلب منطقة ديكابوليس شمالا إلى مساحة كبيرة من شاطىء البحر الميت جنوباً . وكانت كذلك مأهولة بالأمم .

البحث الثانى

نظرة اليهود الى مناطق فلسطين

كانت العقلية اليهودية كما رأينا تنحصر فى عبادة حرف الناموس وتمجيد تقاليد الآباء ، والاعتزاز بالأجداد والاحتقار المطلق لكل من ليس يهودياً .

على أنه بالرغم من أن اليهود كانوا يحيطون أنفسهم بأسوار منيعة من قواعد شريعتهم ، وتقاليدهم ، إلا أن كهنتهم كانوا يشعرون بالمرارة والألم، لأن حدود اليهودية القديمة قد بدأت تنكمش ، وكانوا يقصدون بها حدود اليهودية المتزمتة .

اليهودية القديمة قد بدأت تنكمش ، وكانوا يقصدون بها حدود اليهودية المتزمتة .
وذلك أن سرطان الوثنية كان قد امتد لا إلى البلاد المجاورة فحسب، وإنما تعداها إلى بلاد اليهود ذاتها ، فأصبحت كثير من المدن فى أرض فلسطين يهودية إسماً ، ولكنها وثنية فعلا ، كما هو الحال بالنسبة لقيصرية وعكا. وقد ساعد على ذلك أن الأمم الوثنية كانت تحيط بفلسطين من جميع جوانبها ، مما جعلها تتأثر بها بحكم الجوار والاتجار ، كما ساعد على ذلك الغزوات المتتابعة التى تعرضت لها فلسطين فى تاريخها الطويل ، مما أدى إلى اختلاط أهلها بالفاتحين الوثنيين ومحاكاتهم ، ولاسيما أن كثيراً من الغزاة الذين حكموا فلسطين حاولوا جاهدين أن يطبعوا البلاد بالطابع الوثنى : فقد كان للفرس أثرهم الشديد فى الشعب اليهودى، ثم جاء اليونان فعملوا على اقتلاع العنصرية اليهودية من جذورها وصبغ البلاد بالصبغة اليونانية . ثم أتى الرومان فاجتهدوا بمعاونة هيرودس أن يضفوا على البلاد طابعهم الرومانى .

ومن ثم فبالرغم من أن اليهودية والجليل والسامرة وبيرية والعشر مدن كانت تكوّن وحدة سياسية ودينية مركزها أورشليم ، إلا انها كانت تتفاوت الواحدة عن الأخرى فى نظر اليهودى المتزمت فى درجات القداسة : فكانت السامرة من سقط المتاع ، لأنها خايط من اليهود والأمم . وكان الجليل أقرب إلى الوثنيين لأنه شعب لا يفهم الناموس . وكانت بيرية والعشر مدن مأهولة بأغلبية من الأمم وبقليل من اليهود الأصليين ، وقليل من المتهودين ، وهم اليهود الدخلاء ، أو كما كانوا يسمونهم يهود الشتات ، وكانوا يختلفون عن اليهود الأصليين فى العقيدة والثقافه واللغة وكل شىء . ولذلك فهم موضع الاحتقار والازدراء . أما المدن المقدسة حقاً ، فهى مدن اليهودية وحدها ، وحتى أرض اليهودية كانت تتفاوت فى القداسة لدى اليهود ، فكانوا يقسمونها من هذه الناحية إلى درجات تنتهى فى قمتها إلى قدس الأقداس الذى يتوج هيكل أورشليم .

أما أرض الأمم فكانت معتبرة عند اليهود نجسة وترابها كتراب المقابر ، فحينما كان التاجر اليهودى يعود إلى فلسطين ،كان يقف عند الحدود ويخلع نعليه، وينفض الغبار العالق بهما من أرض الأمم كى لا تتنجس بها أرض اسرائيل . لذلك كان الرومان ينظرون إلى هذا الشعب باعتباره رمزاً للعناد والتعصب الأعمى ، كما كانوا يعتبرونه مثالا للخيانة والغدر ، ومن ثم لم يتوانوا لحظة عن أن يضربوه بيد من حديد ، حتى قضوا عليه فى النهاية القضاء الأخير .

الفصل الخامس

فكرة اليهود عن المسيح المنتظر وتوقعهم مجيئه

كان اليهود يتوقعون مجئ المسيح ، لأن كل أنبيائهم تنبأوا بذلك ، على مدى تاريخهم الذى يبلغ ألفى عام قبل الميلاد .

ولئن كان اليهود شعباً شريراً ، وقد انحرفوا عن شريعتهم واقترفوا كثيراً من الجرائم والآثام ، فقد كان أنبياؤهم قوماً فاضلين ، هالهم ما انغمس فيه ذلك الشعب المتقلب المتمرد من فساد وإنحلال ، وارتداد وضلال ، فقاموا يحذرونه تارة وينذرونه أخرى . وقد وهبهم الله فى هذا السبيل حكمة بالغة ورأيا سديداً ، كما وهبهم قدرة يكشفون بها عن خفايا المقدور وخبايا المستقبل المستور ، كى يبصروا الأشرار بعاقبة شرورهم ، وينيروا البصائر والأبصار لترى ما أعده الله لمخالفيه من عقاب ، ولخائفيه من ثواب .

لأنه كما أن الله يمنح بعض الذين يختارهم من بين البشر قوة الإلهام فيتميزون عن سائر البشر بالذكاء الخارق والعبقرية النادرة ، هكذا سمح الله فى قديم الأيام

لبعض مختاريه أن يستعيروا قبساً من علمه المحيط بكل شيء من الأشياء ، وبكل مكان وكل زمان ، وبالماضي وبالمستقبل على السواء ، فكشف لهم عن بعض ما هو مقدّر للبشر من أحوال وأحداث ، ومن أهوال تصيبهم أو من آمال تتحقق لهم . وكان ذلك رحمة من الله بالناس كي يسيروا فى حياتهم على هدى وبصيرة ، ويحذروا مخاطر الانحراف وعثرات الضلال .

وقد تنبأ كل أنبياء اليهود بأن الله سيرسل فى مستقبل الأيام فادياً عجيباً يخلص البشر من شرورهم ، ويقيمهم من كبوتهم ، ويقيلهم من غضب الله عليهم ويبشر الضالين منهم بطريق الحياة الأبدية ، وينشر بينهم المحبة والسلام .

وقد كانت النبوءات الأولى عن ذلك غامضة لا تخرج عن التلميح الخاطف والتلويح السريع ، ثم لم تلبث أن اتضحت مع الأيام شيئاً فشيئاً حتى بلغت حد الإفصاح الكامل والتصريح الواضح والتصوير البديع . ومن ثم أصبحت أسفار التوراة التى تضمنت هذه النبوءات سجلا يشتمل فى مجموعه على وصف كامل لظروف مجيء المسيح ، وكيفية حياته على الأرض ، وما سيلاقى من أحداث تؤدى به إلى الموت ، ثم كيف سيقوم بعد ذلك ويصعد إلى السماء .

وقد عرف اليهود من هذه النبوءات أين سيولد المسيح وكيف يولد ، وماهى صورته التى سيتخذها بين البشر ، وما هى رسالته التى سينادى بها ، وأى آلام سيلاقيها فى هذا السبيل . وقد ذكر لهم أنبياؤهم كل ذلك فوعوه وتوقعوه ، وراحوا ينتظرون مجيء المسيح بين لحظة وأخرى ليخلصهم مما كانوا غارقين فيه من ذل وهوان ، ومن عنت وعسف على يد القساة منهم والطغاة من الرومان .

والنبوءات عن مجيء المسيح فى التوراة كثيرة جداً ، لا سبيل إلى بيانها هنا بأكملها ، ومن ثم نقتصر هنا على أن نذكر منها القدر الذى يوضح مدى علم اليهود

بمجىء ذلك الخلص وانتظارهم له . وكان الأنبياء ينطقون بهذه النبوءات فى معرض رواياتهم لرؤيا إلهية رأوها ، أو حوادث مستقبلة تمثلت لهم فوصفوها ، أو ينطقون بها إلهاماً مباشراً من الله ، على لسانهم هم ، أو باعتبار أن الله هو قائلها ، أو أن قائلها هو السيد المسيح ، الذى يتنبأون بمجيئه . وبعض هذه النبوءات واضح صريح ، بينما بعضها الآخر ينطوى على الإلماع والتلميح والرمز ، ولكنها فى مجموعها تتضمن الصورة الكاملة التى لا إبهام فيها ولا لبس :

١ – مجىء المسيح :

فقد تنبأ أشعياء النبي عن مجىء المسيح قبل مجيئه بمئات السنين قائلا « الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً عظيما . الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور . . لأنه يولد لنا ولد ، ونعطى ابناً ، وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام » (أش ٩ : ٢و٦) .

٢ – ولادة المسيح من عذراء:

وتنبأ أشعياء النبي عن ولادة المسيح من عذراء قائلا : « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » الذى تفسيره الله معنا (أش ٧ : ١٤) .

٣ – مكان ميلاد المسيح :

وتنبأ ميخا النبي عن ميلاد المسيح فى مدينة بيت لحم قائلا : أما أنت يابيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا ، فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً على اسرائيل ، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » (ميخا ٥ : ٢) .

ومما يدل على أن اليهود كانوا يعرفون هذه الحقيقة ما ورد فى الأصحاح الثانى من إنجيل متى حيث يقول « ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاؤوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود ، فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له . فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه ، فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح ؟ فقالوا له فى بيت لحم اليهودية ، لأنه هكذا مكتوب بالنبي وأنت يا بيت لحم يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل » .

٤ — تجسد المسيح :

وتنبأ دانيال النبي عن تجسد المسيح ، وهو يصف رؤيا رآها قائلا : « كنت أرى فى رؤى الليل ، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى قديم الأيام (وهو الله) فقربوه قدامه ، فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ، ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض » (دانيال ٧ : ١٣ و ١٤) :

٥ — المسيح بن الله :

كان اليهود يؤمنون بأن المسيح المنتظر هو ابن الله ، ويدل على ذلك سؤال رئيس الكهنة ليسوع المسيح أثناء محاكمته « هل أنت المسيح ابن الله ؟ » فقال المسيح « أنا هو » (مر ١٤ : ٦٠) :

وقد أخذ اليهود هذا الإيمان عما جاء فى نبوءة داوود النبي ، إذ يقول على لسان المسيح « إنى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . إسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً وأقاصى الأرض ملكاً لك » (مز ٢ : ٧ و ٨) .

وأشار داوود النبي فى نبوءته إلى المسيح ملقبا إياه بابن الملك إذ قال : « اللهم أعط أحكامك للملك ، وبرك لابن الملك ، يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق . . يقضى لمساكين الشعب . يخلّص بنى البائسين ويسحق الظالم . . ويسجد له كل الملوك . كل الأمم تتعبد له . . يكون اسمه إلى الدهر . . ويتباركون به . . كل أمم الأرض يطوّبونه » (مز ٧٢) .

كما أشار سليمان النبي فى أمثاله إلى المسيح ابن الله الذى تنبأ بنزوله إلى الأرض قائلا « من صعد إلى السموات ونزل ؟ . . من ثبّت جميع أطراف الأرض ؟ ما اسمه وما اسم ابنه إن عرفت ؟ » . (أم ٣٠ : ٤) .

٦ — الهرب الى مصر :

وتنبأ هوشع النبي بفرار العائلة المقدسة إلى مصر خوفاً على يسوع من القتل فى طفولته بعد أن أصدر هيرودس أمره بقتل كل الأطفال فى بيت لحم ، حيث قال هوشع على لسان الرب « من مصر دعوت ابنى » (هوشع ١١ : ١) .

٧ — يوحنا المعمدان :

وتنبأ أشعياء النبي عن يوحنا المعمدان — الذى مهد لمجىء المسيح — قائلا : « صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب ، قوّموا فى القفر سبيلا لإلهنا . . فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر » (أش ٤٠ : ٣ — ٥) .

وتنبأ ملاخى النبي عن يوحنا كذلك قائلا « ها أنذا أرسل ملاكى فيهيء الطريق أمامى ، ويأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذى تسرّون به . هوذا يأتى قال رب الجنود » (ملاخى ٣ : ١ و ٢) .

٨ — رسالة المسيح :

وتنبأ داوود النبي عن رسالة المسيح التى سيؤديها فى العالم قائلا « يدين شعبك

بالعدل، ومساكينك بالحق . يقضى لمساكين الشعب . يخلص بنى البائسين ويسحق الظالم . . يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقراء . . من الظلم والخطف يفدى أنفسهم » (مز ٧٢) .

وتنبأ أشعياء النبي قائلا بلسان الرب « هوذا عبدى الذى أعضده . مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم . . لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض ، وتنتظر الجزائر شريعته . . أنا الرب قد دعوتك بالبر ، فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم ، فتفتح عيون العمى . لتخرج من الحبس المأسورين . من بيت السجن الجالسين فى الظلمة » . (أش ٤٢ : ١ — ٧) .

وتنبأ أشعياء النبي قائلا بلسان الرب كذلك « إسمعى أيتها الجزائر واصغوا أيها الأمم من بعيد . . جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض . ينظر ملوك فيقومون . رؤساء فيسجدون . . فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ، قائلا للأسرى اخرجوا . للذين فى الظلام اظهروا . على الطريق يرعون وفى كل الهضاب مرعاهم . . لا يجوعون ولا يعطشون . . لأن الذى يرحمهم يهديهم وإلى ينابيع المياه يوردهم . . ترنمى أيتها السموات وابتهجى أيتها الأرض . . لتشد الجبال بالترنم لأن الرب قد عزّى شعبه » (أش ٤٩) .

وتنبأ أشعياء النبي قائلا بلسان السيد المسيح « روح السيد الرب علىّ ، لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين . أرسلنى لأعصب منكسرى القلب . لأنادى للمسبيين بالعتق ، وللمأسورين بالإطلاق . . لأعزى كل النائحين . . لأعطيهم جمالا عوضاً عن الرماد ، ودهن فرح عوضاً عن النوح ، ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة » (أش ٦١ : ١ - ٣) .

٩ — المسيح الفادى :

وتنبأ داوود النبي عن المسيح بأنه سيكون فادياً بقوله « أرسل فداء لشعبه » (مز ١١١ : ٩) وقال « وهو يفدى اسرائيل من كل آثامه » (مز ١٣٠ : ٨) وقال « من الظلم والخطف يفدى أنفسهم » (مز ٧٢ : ١٤) ثم قال إنه هو الذى يفدى من الحفرة حياته (مز ١٠٣ : ١ — ٥) .

١٠ — المسيح المخلص :

وتنبأ أشعياء النبي عن المسيح بأنه سيخلص البشر بقوله « لأنهم يصرخون إلى الرب فيرسل لهم مخلصا ومحامياً وينقذهم » (أش ١٩ : ٢٠) .

وتنبأ أشعياء النبي كذلك قائلا بلسان الرب « جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض » (أش ٤٩ : ٦) .

وقال زكريا النبي « مبارك الرب إله اسرائيل ، لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داوود فتاه » . (لو ١ : ٦٧ — ٦٩) .

١١ — المسيح رئيس السلام :

ويصفه زكريا النبي بأنه سيكون رسول السلام إذ يقول « ويتكلم بالسلام للامم » (زك ٩ : ١٠) . كما يقول أشعياء النبي « ويدعى اسمه عجيبا مشيرا أبا أبديا رئيس السلام » (اشعياء ٩) .

١٢ ـ المسيح الرئيس والمشرع والمتسلط :

وتنبأ أشعياء النبي بأن المسيح سيكون رئيساً ومشرعاً بقوله « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه » (أش ٩) وقوله بلسان الرب « هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب » (أش ٥٥ : ٥٥) .

وتنبأ دانيال النبي بأن المسيح سيكون ذا سلطان على الشعوب بقـــوله « فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى » (دانيال ٧ : ١٣ و ١٤) .

١٣ ـ المسيح الأزلى :

وأشار سليمان فى نبوءاته إلى أن المسيح أزلى بقوله بلسان المسيح « الرب قنانى أول طريقه من قبل أعماله من القدم . منذ الأزل مسحت . منذ البدء منذ أوائل الأرض .. لما ثبت السموات كنت هناك أنا . لما رسم دائرة على وجه القمر . . كنت عنده صانعاً » (أم ٨ : ١٢ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٧ و ٣٠) .

١٤ ـ المسيح البارع الجمال:

وتنبأ داود النبي بأن المسيح سيكون جميل الصورة إذ قال مخاطباً إياه « أنت أبرع جمالا من بنى البشر . إنسكبت النعمة على شفتيك. لذلك باركك الله إلى الأبد . . أحببت البر وأبغضت الإثم . من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الإبتهاج » (مز ٤٥) .

١٥ ـ دخول المسيح اورشليم :

وتنبأ زكريا النبي بدخول المسيح أورشليم منتصراً فى يوم الأحد السابق على عيد الفصح ، قائلا « إبتهجى جداً يا ابنة صهيون . إهتفى يا بنت أورشليم . هوذا ملكك يأتى إليك وهو عادل ومنصور وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان » (زكريا ٩ : ٩) .

١٦ ـ خيانة يهوذا :

وتنبأ داوود بأن أحد تلاميذ المسيح سيخونه ويسلمه إلى أعدائه قائلا بلسان

المسيح « رجل سلامتى الذى وثقت به ، آكل خـــبزى رفع علىّ عقبه » (مز ٤١ : ٩) .

وتنبأ زكريا النبي عن الثلاثين من الفضة التى دفعت رشوة للتلميذ الخائن وكيف ألقيت إلى الفخارى بقوله بلسان ذلك التلميذ « فقلت لهم إن حسن فى أعينكم فاعطونى أجرتى وإلا فامتنعوا ، فوزنوا أجرتى ثلاثين من الفضة . فقال لى الرب ألقها إلا الفخارى ، الثمن الكريم الذى ثمنونى به ، فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخارى فى بيت الرب » (زك ١١ : ١٢ و ١٣) .

١٧ ــ محاكمة المسيح :

وتنبأ داوود النبي بأن الأشرار سيحيطون بالمسيح ويحاكمونه قائلا بلسان المسيح « لأنه قد انفتح علىّ فم الشرير وفم الغش . تكلموا معى بلسان كذب . بكلام بغض . أحاطوا بى وقاتلونى بلا سبب . بدل محبتى يخاصموننى ... وضعوا علىّ شراً بدل خير ، وبغضاً بدل حبي » . (مز ١٠٩ : ٢ — ٥) ،

وأشار داوود فى نبوءته إلى أن شهود زور سيشهدون ضد المسيح أثناء محاكمته قائلا بلسان المسيح « لأنه قد قام علىّ شهود زور » (مز ٢٧ : ١٢) .

١٨ ــ آلام المسيح :

وتنبأ أشعياء النبي بالآلام التى سيتحملها المسيح على أيدى أعدائه وما سيلاقيه من تعذيب وهوان ، وهم يسوقونه ليصلبوه ، إذ قال « محتقر ومخذول من الناس . رجل أوجاع ومختبر الحزن ، وكمستتر عنه وجوهنا . محتقر فلم نعتدّ به . لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمّلها . ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولا ، وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا . تأديب سلامنا عليه ، وبحبره شفينا . كلنا كغنم ضللنا . ملنا كل واحد فى طريقه والرب وضع عليه

إثم جميعنا . ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه . كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه . من الضغطة ومن الدينونة أخذ . وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء . أنه ضرب من أجل ذنب شعبي ، وجعل مع الأشرار قبره ، ومع غنى عند موته ، على أنه لم يعمل ظلماً ، ولم يكن فى فمه غش . أما الرب فسر بأن يسحقه الحزن . أن جعل نفسه ذبيحة إثم . يرى نسلا تطول أيامه ومسرّة الرب بيده تنجح . من تعب نفسه يرى ويشبع . وعبده البار بمعرفته يبرر كثيرين . وآثامهم هو يحملها . لذلك أقسم له بين الأعزاء ، ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين » (أش ٥٣ : ٢ — ١٢) .

وتنبأ أشعياء النبي كذلك قائلا بلسان المسيح « بذلت ظهرى للضاربين وخدّى للنتف . وجهى لم أستر عن العار والبصق » (أش ٥٠ : ٦) .

وتنبأ داوود النبي عن سخرية اليهود به عند محاكمته قائلا بلسان المسيح « كل الذين يروننى يستهزئون بى . يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين اتكل على الرب فلينجه ، لينقذه لأنه سرّ به » (مز ٢٢ : ٦ — ٨) .

وتنبأ داوود النبي بصلب المسيح ، ووصف آلامه على الصليب ، إذ قال بلسانه « أحاطت بى ثيران كثيرة . أقوياء باشان اكتنفتنى . فغروا علىّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر . كالماء انسكبت . إنفصلت عظامى . صار قلبي كالشمع ، قد ذاب فى وسط أمعائى . يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى . وإلى تراب الموت تضعنى ، لأنه قد أحاطت بى كلاب . جماعة من الأشرار اكتنفتنى . ثقبوا يدىّ ورجلىّ . أحصى كل عظامى ، وهم ينظرون ويتفرسون فىّ . يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون » (مز ٢٢ : ١٢ — ١٨) .

وتنبأ أشعياء النبي بأن المسيح سيصلب مع لصين ، إذ قال « وأحصى مع أثمة » (أش ٥٣ : ١٢) .

وتنبأ داوود النبي بأن اليهود سيدقون المسامير في يدى المسيح ورجليه على الصليب ، إذ قال بلسانه « ثقبوا يدىّ ورجلىّ » (مز ٢٢ : ١٦) . كما تنبأ بأن جنود اليهود سيقسمون ثياب المسيح فيما بينهم ويقترعون على لباسه وهو على الصليب ، إذ قال بلسانه « يقسمون ثيابي بينهم ، وعلى لباسى يقترعون » (مز ٢٢ : ١٨) .

وتنبأ كذلك بأنه سيطلب أن يشرب وهو على الصليب فيسقونه خلا ممزوجاً بالمرارة ، إذ قال بلسانه « إنتظرت رقة فلم تكن ومعزّين فلم أجد ، ويجعلون فى طعامى علقماً وفى عطشى يسقوننى خلا » (مز ٦٩ : ٢٠و٢١) .

وتنبأ زكريا النبي بأنهم سيطعنونه وهو على الصليب قائلا عنه « الذى طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد له ، ويكونون فى مرارة عليه كمن هو فى مرارة على بكره . فى ذلك اليوم يعظم النوح فى أورشليم » (زكريا ١٢ : ١٠) .

وتنبأ أشعياء النبي بأن المسيح سيغفر للذين صلبوه وهو على الصليب إذ قال « وشفع فى المذنبين » (أش ٥٣ : ١٢) .

وتنبأ داوود النبي بالكلمة التى قالها المسيح على الصليب إذ صرخ قائلا « إلهى إلهى لماذا تركتنى » (مز ٢٢ : ١) ، كما تنبأ بالكلمة التى فاه بها وهو يسلم الروح إذ قال يا أبتاه « فى يدك أستودع روحى » (مز ٣١ : ٥) .

١٩ ـ دفن المسيح :

وتنبأ داوود النبى عن نـــوم المسيح فى القـــبر دون أن يرى جسده

فساداً ، ثم عودته بعد ذلك إلى الحياة ، إذ قال بلسان المسيح « جسدى أيضاً يسكن مطمئناً ، لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية . لن تدع تقيّك يرى فساداً تعرّفنى سبيل الحياة » (مز ١٦ : ٩ - ١١) .

وتنبأ أشعياء النبى بأنه سيدفن فى قبر رجل غنى إذ قال « جعل مع الأشرار قبره ، ومع غنى عند موته » (أش ٥٣ : ٩) .

٢٠ ـ قيامة المسيح :

وتنبأ داوود النبى بأن المسيح سيقوم من القبر إذ قال بلسانه « أنا اضجعت ونمت . إستيقظت لأن الرب يعضدنى » (مز ٣ : ٥) :

٢١ ـ صعود المسيح :

وتنبأ داوود النبى بأن المسيح سيصعد إلى السماء قائلا بلسانه « صعدت إلى العلاء » (مز ٦٨ : ١٨) .

☆ ☆ ☆

هذه بعض النبوءات التى تملأ كلّ أسفار التوراة عن مجىء السيد المسيح وعن صفاته التى سيكون بها على الأرض ورسالته التى سيؤديها والأحداث التى سيلاقيها والتى تنتهى بموته وقيامته ثم صعوده إلى السماء . وقد كان اليهود ولاسيما المتضلعون فى الناموس منهم يعرفون كل هذه النبوءات ويتوقعون مجىء المسيح المنتظر فى كل حين .

ويخبرنا تاسيتوس وسوتونيوس ويوسيفوس بأنه قد شاع بين اليهود قبيل ظهور السيد المسيح اعتقاد جارف بأن ملكا قوياً سيظهر فى اليهودية ويملك على أقطار الأرض ، وقد قوى الشعور بأن هذا الرجاء المرتقب على وشك الإشراق .

ويبدو من هذا القول أن اليهود ـ بسبب ما كانوا يرسفون فيه من عبودية ومذلة تحت حكم الرومان ، وما كان أولئك يثقلون به كاهلهم من الضرائب الباهظة ، وبسبب ما جبلوا عليه من غرور وتعلق بأسباب الوجاهة والجاه . وعشق المال وسائر ملذات الدنيا ـ كانوا ينتظرون مسيحاً يقودهم بقوة خارقة إلى الثأر والانتقام ، ثم يفتح كل أقطار الأرض بجيوشه الجرارة ، ويجعل مملكة اليهود سيدة العالم ، فيحقق بذلك أحلام اليهود فى السطوة والثروة والجاه . باعتبارهم ـ كما كانوا يعتقدون فى أنفسهم ـ شعب الله المختار .

ومن ثم تعلق اليهود من النبوءات بفكرة واحـــدة هى أن ملكا عظيماً سيجىء ويخلصهم ، وقد صاغوا هذه الفكرة على هواهم وعلى مقتضى شهواتهم ، ثم أغمضوا أعينهم عن بقية النبوءات التى تصور المسيح على حقيقته التى سيجىء بها . ولذلك حين جاء عميت بصائرهم عن أن هـذا هو الملك الذى ينتظرونه فأهانوه وقتلوه . ولكنهم حتى بهذا حققوا النبوءات المكتوبة عنه ، فكانوا بذلك هم الجانون على أنفسهم ، لأنهم سرعان ما حل بهم الخراب والدمار والموت. أما هو فعاد الى الحياة ليكون ملكا على الأرض كما هو فى السماء ، وليس لملكه انقضاء .

الباب الثانى

العقيدة المسيحية
كما بشر بها مرقس الرسول فى مصر

مقدمة

رأينا فى مقدمة هذا الجزء من « تاريخ الأقباط » أننا لن يمكننا أن نفهم هذا التاريخ فهماً دقيقاً عميقاً إلا إذا فهمنا قبل ذلك عقيدة الأقباط. وهى العقيدة المسيحية التى بشر بها مرقس الرسول فى مصر واعتنقها المصريون ولا يزالون يدينون بها حتى اليوم.

ورأينا أننا لن نفهم العقيدة المسيحية فهماً عميقاً ودقيقاً كذلك إلا إذا درسنا حياة السيد المسيح كلها، وسردنا كل ما صدر عنه من أقوال وأعمال، وما صدر عن رسله بعد ذلك من أقوال وأعمال كذلك، تعزز شهادتهم له، وتنتهى باستشهادهم فى سبيله.

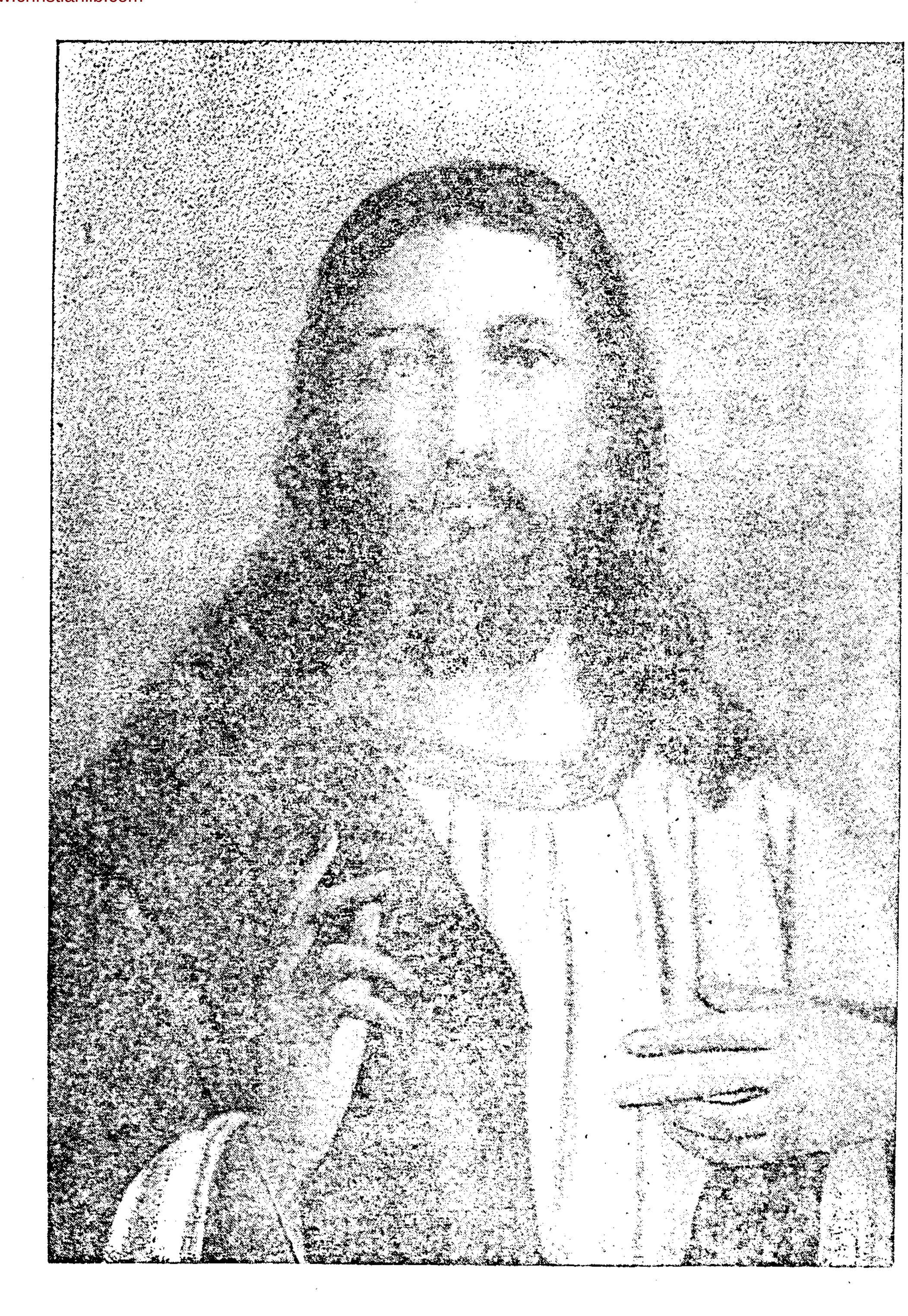
وما من شك فى أن حياة السيد المسيح على الأرض ظاهرة فريدة فى حياة البشر، لأنها فى مجموعها حادث خارق للطبيعة، ما كان الناس ليصدقوه لولا

أنهم رأوه بأعينهم ، فلم يسعهم إلا أن يؤمنوا بأنه صادر عن قدرة فوق طاقة البشر ، هى قدرة الله .

وما كان للناس أن يفهموا الوسيلة التى جاء بها السيد المسيح إلى العالم إلا بعد أن رأوا الوسيلة التى خرج بها من العالم . وما كان لهم أن يفهموا كيف ولد إلا بعد أن رأوا كيف مات ، ثم كيف قام فى اليوم الثالث من بين الأموات وصعد أمامهم إلى السماء .

فقد شاء الله القدير أن يشمل الناس برحمته ويهديهم إلى سواء السبيل ، فمنحهم الضمير الذى يأمرهم بالخير ويزجرهم عن الشر ، ولكنهم أماتوا هذا الضمير فى أنفسهم ولم يستمعوا إليه . ثم بعث فيهم الأنبياء ليبلغوهم وصاياه ، ولكنهم أنكروهم وتنكروا لهم وقتلوهم . فلم تبق وسيلة لإنقاذ هؤلاء الأشقياء من شرورهم ومن سوء مصيرهم ، إلا أن يخاطبهم الله مباشرة ، علهم يهابونه ويرهبونه ، فيقتنعون أمام جلاله بما لم تقنعهم به تحذيرات ضمائرهم أو إنذارات أنبيائهم .

فلم يكن بد من أن يتجسد كلمة الله فى بشر ، ليبلغ بنى الإنسان الرسالة وينهى إليهم الإنذار الأخير ويخلصهم ويفديهم . ولكى يتجسد كلمة الله كان ينبغى ألا يكون هذا التجسد من صلب رجل ولا من زرع بشر ، وإن كان يتعين أن يجىء من ذات الطريق الذى يأتى منه الناس وهو أحشاء المرأة . لأن كلمة الله إذ أراد الله أن يتجسد فى صورة إنسان ينبغى أن يولد كما يولد الإنسان . ولكنه فى ذات الوقت لا ينبغى أن يولد فى الدنس ، أو أن يحل فى وعاء لحق الدنس به . فلم يكن بد من أن يولد كلمة الله من عذراء طاهرة لم يمسسها من قبل بشر . وقد دبر الله ذلك بوسيلة ينتفى معها قيام المظنة بين الناس فى هذه العذراء فاختارها مخطوبة لرجل . وإذ لزم أن تكون مع ، حبلها على علم بتدبير الله ، لم يكن ثمة إلا وسيلة سمائية يتم بها هذا التدبير ، فأرسل الله جندياً من جنود السماء ليبشر العذراء بأن



« يسوع المسيح »

الله اختارها ليحل فيها كلمته بقوة روحه القدوس . كما أرسله لخطيبها ليعلن له أن الجنين الذى فى أحشائها من الله فلا يجزع .

وهكذا كان ينبغى ليتجسد كلمة الله ويجىء المسيح أن يرتفع الحجاب الذى يحجز السماء عن الأرض ، ويظهر أبناء السماء لأبناء الأرض ويخاطبونهم ، وهذا ما أعلنه السيد المسيح الى الناس إذ قال لهم « من الآن ترون السماء مفتوحة ، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان » .

وفى ذلك الجو السماوى عاش الناس مع المسيح وهم لايفتأون يسمعون تسبيح الملائكة يمجدونه ، وصياح الأرواح الشريرة الساكنة فى الناس تهتف باسمه فى خوف ورهبة . ولئن كان من بين الناس فى ذلك العهد من لم يكن يؤمن بأن فى ملكوت الله تلك الكائنات الروحية ، فقدرأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم ، وآمنوا بأن هذا الجسد الذى يلبسه الإنسان ليس الا ستاراً مؤقتاً من المادة ينسدل على عالم خالد هو عالم الروح ، وأن الله إذا شاء رفع الغشاء عن أبصار الناس فأبصروا ذلك العالم بكل ما فيه من روعة لايدركها العقل أو يصل إليها الخيال .

ولنا أن نتصور منظر ذلك الشخص الإلهى وهو يجول بين الناس معلماً ومعزياً وهادياً ومنادياً بتلك الكلمات السماوية التى لم ينطق بمثلها من قبل إنسان، والناس من حوله مبهوتون مذهولون وهم يرونه يقول بسلطان عجيب للميت قم فتعود اليه الروح ويقوم ، ويقول للمقعد احمل سريرك وامشى فيبرأ فى الحال من علته ويحمل سريره ويمشى ، ويلمس عينى الأعمى منـــذ ولادته فتنفتح على الفور عيناه ويبصر ، وهو مع ذلك وديع ومتواضع ورقيق النفس كأنه النسمة الحالمة . وقد رآه داوود فى رؤياه فهتف قائلا « أنت أبرع جمالا من بنى البشر » . لذلك أحبه الذين آمنوا به حتى بذلوا حياتهم عربوناً لحبه . ولذلك

هابه الذين أضمروا له العداء . فكثيراً ما هموا به ليقتلوه ثم سرعان ما تخاذلوا أمام هيبته وجلاله ، فتراجعوا عنه خجلين .

ولئن كان السيد المسيح قد صنع المعجزات فلا لشيء إلا ليؤمن الناس بأنه من عند الله ، فيصدقوه ويتقبلوا رسالته ، مدركين من معجزاته أن كلامه هو كلام الله ذاته . وما كان لينتظر من الناس مجداً دنيوياً لأنه لو شاء لجعل من نفسه ملكا على الأرض كلها . وقد حدث كثيراً أن اليهود حاولوا أن يختطفوه ليجعلوه ملكا عليهم ، ولكنه انتهرهم غاضباً لأنهم لم يفهموا رسالته على حقيقتها ولأنه جاء لا ليحرز مجداً دنيوياً لنفسه أو لطائفة من الناس ، وإنما لينتزع الشر من نفوس الناس جميعاً ويخلصهم من نتائج آثامهم ، ويهديهم إلى طريق الحياة الحقيقية التى هى حياة الروح . لذلك لم يفهمه اليهود ، ولم يتساموا إلى مستواه ، وكانت طبيعتهم المادية الممتلئة شهوة وجشعاً تحول بينهم و بين النور الذى ينبعث من تعاليمه ، فلم يؤمنوا بهذه التعاليم ، وقد عميت أعينهم حتى أمام آياته التى صنعها بينهم ، فلم يدركوا أن الذى يتكلم فيه إنما هو الله . بل لقد حاربوه ، وناصبوه العداء لأنه كان يندد بشرورهم ، ولأن رؤساءهم وكهنتهم حين رأوا الكثير من الناس يؤمنون به ويتبعونه ، خافوا على مناصبهم ومكاسبهم التى كانوا يجنونها من وراء استغلال الناس ومن جراء مالهم عليهم من سلطان . حتى إذا تضافرت على المسيح آخر الأمر قوى الشر ، سقاه أعداؤه كأس الموت .

وقد كان ينبغى أن يموت المسيح لينهزم به الموت ، وليعود منتصراً إلى الحياة ، لأن بذلك تتم رسالته بين الناس ، إذ بذلك يحقق خلاصهم ويعطيهم البرهان — الذى لاسبيل إليه إلا بهذه الوسيلة الإلهية — على أن الحياة لا تنتهى بالموت ، وإنما تأتى بعده قيامة الأموات فى اليوم الأخير . ومن هذه الحقيقة الرائعة ينبثق الرجاء فى نفوس الناس بحياة خالدة ينتقلون إليها بعد هذه الحياة

القصيرة التى يحيونها فى الجسد الفانى . كما يتضح الطريق أمام الناس إلى تلك الحياة الخالدة ، فيسيرون فيها على هدى وبصيرة . لأنه إن لم يكن المسيح قد مات ثم قام بعد الموت فأى برهان للناس يكشف لهم ذلك السر الذى لم ينكشف قبل ذلك لإنسان ، وأى رجاء لهم يقويهم ويعزيهم ويعينهم على احتمال آلام هذه الحياة ومشقاتها ، وأى دافع يدفع الأبرار لأن يداوموا على عمل الخير ، وأى رادع يردع الأشرار عما انغمسوا فيه من عمل الشر ، إن كانوا جميعاً لا يؤمنون بأن بعد هذه الحياة الدنيا حياة أخرى يكافأ فيها المحسن على إحسانه ، ويجازى المسىء على إساءته .

فلئن كان قد بدا لليهود أن حياة المسيح قد انتهت على الأرض بموته ، فقد كانوا فى ذلك واهمين : لأن موته قد فتح الحياة بعد ذلك على مصراعيها للبشر أجمعين . وإذا سلطان المسيح يتوهج من تلك اللحظة ويزداد تألقه لحظة بعد أخرى ، حتى يضىء بنوره العالم كله ويستوى على عرشه ملكا لكل القلوب ولكل الشعوب ، ويغدو صليبه الذى ذاق الموت وهو معلق عليه ، رمزاً للحياة ، وشعاراً وفخراً للبشر فى كل مكان ، وفى كل حين .

* * *

وفيما يلى عرض لتاريخ حياة السيد المسيح على الأرض . نتبعه ببيان موجز لأعمال رسله وأقوالهم التى هى بمثابة تكملة طبيعية لذلك التاريخ المقدس . على أن نواصل فى الأجزاء التالية من الكتاب إن شاء الله شرح العقيدة المسيحية بمزيد من الإسهاب والتحليل كلما استوجبت المناسبة ذلك .

الفصل الأول

حياة السيد المسيح

١

كانت تقيم فى الناصرة — وهى مدينة من مدن الجليل — عذراء اسمها مريم. وكانت فى ذلك الحين مخطوبة لرجل من بيت داوود اسمه يوسف. وإذا ملاك الله يظهر أمامها ويقول لها « سلام لك أيتها الممتلئة نعمة . الرب معك . مباركة أنت فى النساء » . فلما رأته خافت واضطربت من كلامه ، فقال لها الملاك « لا تخافى يا مريم ، لأنك قد وجدت نعمة عند الله . وها أنت ستحبلين، وتلدين إبناً ، وتسمينه يسوع . هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ، ويعطيه الرب الإله كرسى داوود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولا يكون لملكه نهاية » .

فقالت مريم للملاك « كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلا ؟ » .

فأجاب الملاك وقال لها « الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك . فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله » .

فقالت مريم « هوذا أنا أمة الرب . ليكن لى كقولك ». فمضى الملاك من عندها .

وحبلت مريم من الروح القدس ، وعندئذ ظهر ملاك الرب لخطيبها يوسف في حلم ، وقال له « يا يوسف ابن داود ، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ، لأن



« الملاك يبشر مريم العذراء »

الذي حبل به فيها هو من الروح القدس ، فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » . وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا .



« مريم العذراء »

٢

وفى تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بإجراء الاكتتاب فى كل بلاد المملكة الرومانية ، وكان كيرينيوس فى ذلك الحين واليا على سوريا، فذهب كل واحد ليسجل اسمه فى المدينة التى بها عشيرته . وإذ كان يوسف من نسل داوود، ارتحل من الناصرة إلى مدينة داوود التى تدعى بيت لحم ، ليسجل اسمه هناك مع مريم خطيبته . وإذ وجد المدينة مزدحمة بالمسافرين اضطرا لأن يقيما بمكان الدواب فى أحد منازلها . وهناك جاء المخاض مريم فولدت ابنها وقمطته ، وأضجعته فى مذود البقر .

وفى تلك الليلة كان فريق من الرعاة يقومون على حراسة قطعانهم بالقرب من موضع الميلاد، فإذا ملاك الرب يظهر لهم بمجد عظيم ، وعندئذ تملكهم خوف شديد ، فخاطبهم الملاك قائلا « لا تخافوا ، فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . إنه ولد لكم اليوم فى مدينة داوود مخلص هو المسيح الرب . وهذه لكم العلامة : تجدون طفلا مقمطاً مضطجعاً فى مذود » وإذ قال الملاك ذلك ظهر حوله بغتة جمهور من جنود السماء مسبحين الله قائلين « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » . وعندئذ هرع الرعاة ـ وقد ارتفعت الملائكة أمام أعينهم إلى السماء ـ وهرولوا مسرعين فوجدوا الطفل مضجعاً فى المذود ، ومعه مريم أمه ويوسف خطيبها ، فأخبروا الجميع بما رأوه وسمعوه ، وهم يمجدون الله فى دهشة وخشوع .

٣

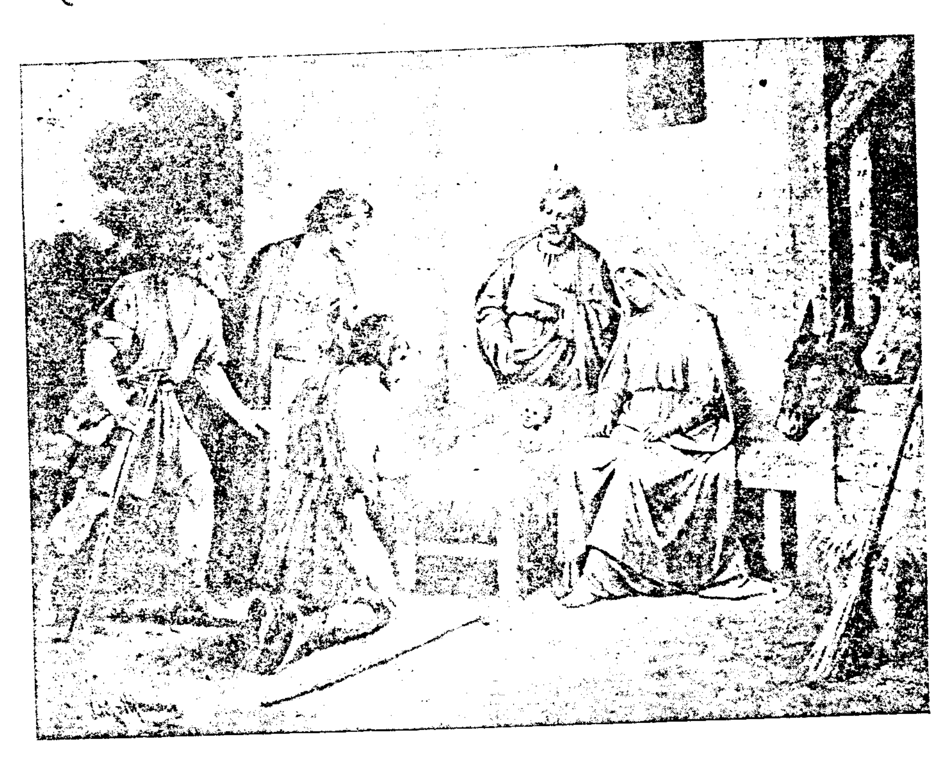
ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الطفل أطلقوا عليه اسم « يسوع » وهو الإسم الذى ذكره الملاك حين بشر أمه بولادته .



« ميلاد يسوع المسيح »

وبعد أن تمت أيام التطهير الشرعية صعدوا بالطفل إلى أورشليم ليقدموه للرب، حسب الناموس ، وليقدموا عنه الذبيحة المفروضة ، وهى بالنسبة للفقراء زوج يمام أو فرخا حمام .

وكان فى أورشليم رجل بار إسمه سمعان ، وكان قد أوحى اليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب الذى تنبأ به الأنبياء ، فلما رأى يسوع



« الرعاة يسجدون ليسوع الطفل »

مع أمه حتى أخذه بين ذراعيه ، وبارك الله قائلا « الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام، لأن عينى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب. نور إعلان للأمم » ثم التفت إلى مريم قائلا « إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى اسرائيل ، ولعلامة تقاوم » ، ثم تنبأ لها بما ينتظرها من الآلام قائلا « وأنت أيضا يجوز فى نفسك سيف ، لتعلن أفكار من قلوب كثيرة».



« مريم العذراء ويسوع الطفل »

وكان بالهيكل امرأة متقدمة فى السن هى حنة بنت فنوئيل من سبط أشير ، وقد بلغت مرتبة الأنبياء فى تقاها ، إذ ظلت نحو أربع وثمانين سنة لاتفارق الهيكل ولا تنقطع عن الصوم والصلاة ، فما رأت يسوع مع أمه حتى وقفت تسبح الرب ، إذ عرفت أنه المسيح المنتظر ليفدى البشر ، وراحت تتكلم عنه مع كل من ينتظرونه فى أورشليم .

وحين تمت كل الإجراءات حسب الناموس عاد يوسف مع الطفل وأمه إلى مدينتهم الناصرة فى نواحى الجليل .

٤

وفى تلك الأيام جاء مجوس من المشرق إلى أورشليم قائلين « أين هو المولود ملك اليهود . فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له » .

فلما سمع هيرودس الملك بذلك اضطرب وجمع رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم قائلا « أين يولد المسيح ؟ » فقالوا له « فى بيت لحم اليهودية ، لأنه هكذا مكتوب بالنبي وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل » .

حينئذ دعا هيرودس المجوس سراً وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر ، ثم أرسلهم إلى بيت لحم قائلا لهم بمكر « اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي ، ومتى وجدتموه فاخبرونى لكى آتى أنا أيضاً وأسجد له » ، فذهبوا ، وكان النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم ، حتى بلغوا مكان الصبي ، فسجدوا له ، ثم فتحوا

كنوزهم وقدموا له هدايا : ذهباً ، ولبانا ، ومراً . وكانوا يرمزون بهذه الهدايا إلى صفاته ومراحل حياته . إلا أنهم أوحى اليهم فى حلم ألا يعودوا إلى هيرودس ، فانصرفوا من طريق آخر إلى بلادهم .

أما هيرودس فحين سأل عن المجوس وعلم أنهم خدعوه غضب جداً ، وأمر بقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم . وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون ، عسى أن يقتل يسوع من بينهم ، وحينئذ تمت نبوءة أرمياء النبى القائل « صوت سمع فى الرامة . نوح وبكاء وعويل كثير . راحيل تبكى على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين » .

٥

وفى هذه الأثناء ظهر ملاك الرب ليوسف فى حلم قائلا « قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر ، وكن هناك حتى أقول لك ، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه » فقام يوسف وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف إلى مصر ، لكى يتم ماقيل من الرب بالنبى القائل « من مصر دعوت ابنى » .

حتى إذا مات هيرودس ، ظهر ملاك ليوسف — بعد أن مكث فى مصر مع الصبى وأمه نحو عامين — وقال له « قم وخذ الصبى وأمه واذهب الى أرض اسرائيل ، لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى » فقام يوسف وأخذ الصبى وأمه وعاد الى أرض اسرائيل . وكان مزمعاً أن يتجه الى بيت لحم مدينة أجداده ، ولكنه سمع فى ذلك الحين أن أرخيلاوس أصبح ملكا على اليهودية فى مكان هيرودس أبيه ، فخاف أن يذهب الى هناك ، واتجه الى نواحى الجليل حيث أقام

فى مدينة يقال لها ناصرة . لكى يتم ما قيل بالأنبياء أن المسيح المنتظر سيدعى ناصرياً .

٦

وفى الناصرة قضى يسوع أيام صباه . وكان أبواه يذهبان كل سنة الى أورشليم فى عيد الفصح . فلما كان فى الثانية عشرة من عمره ، صعدا الى أورشليم كعادتهما وأخذاه معهما ، حتى إذا انقضت أيام العيد رجعا وهما يظنان أن الصبي فى الركب معهما ، ولكنهما بعد مسيرة يوم كامل بحثا عنه فلم يجداه ، وراحا يسألان عنه



«يسوع فى صباه»



« يسوع فى صباه مع مريم ويوسف »

الأقرباء والمعارف دون جدوى ، فعادا الى أورشليم ، وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالساً في وسط المعلمين يسمعهم ويجادلهم . وقد بهت الحاضرون جميعاً من فهمه وأجوبته . فلما رآياه هنالك دهشا ، وقالت له أمه « يابني لماذا فعلت بنا هكذا ؟ هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين » . فقال لهما « لماذا كنتما



« يسوع في صباه يناقش معلمي اليهود في الهيكل »

تطلبانني ؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيما لأبي ؟ » . وكان يتكلم عن أبيه السماوي فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما . ثم نزل معهما وجاء الى الناصرة ، حيث عاش معهما في طاعة وخضوع ، وقضى أيام صباه وأوائل شبابه وديعاً هادئاً ، يعاون يوسف النجار في مهنته البسيطة المتواضعة .

٧

وفى السنة الخامسة عشرة من حكم طيباريوس قيصر ، إذ كان بيلاطس البنطى والياً على اليهودية ، وهيرودس رئيس ربع على الجليل ، كان ثمة نبي فى وادى الأردن اسمه يوحنا ، يحيا فى البرية حياة التقوى والتقشف ، وكان لباسه من وبر الإبل وطعامه جراداً وعسلا برياً . وكان ينادى فى اليهودية مبشراً باقتراب ظهور المخلص ، ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا ، فخرجت إليه الجموع من كل ناحية فى اليهودية ، وأقبل عليه جميع أهل أورشليم ليستمعوا اليه ويعتمدوا منه فى نهر الأردن معترفين بخطاياهم ، وإذ اعتقدوا أنه المسيح الذى ينتظرونه ، سألوه فى ذلك فقال « إنى لست أنا المسيح » فقالوا له « من أنت إذن ؟ » قال «أنا صوت صارخ فى البرية قوّموا طريق الرب » . وكان يعنى بذلك أنه هو الذى تنبأ عنه أشعياء النبي قائلا « ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيء طريقك قدامك . صوت صارخ فى البرية، أعدوا طريق الرب ، إصنعوا سبله مستقيمة».

وعندئذ سأل اليهود يوحنا قائلين « فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ؟ » فأجابهم قائلا « أنا أعمد بماء ، ولكن فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه . هو الذى يأتى بعدى ، الذى صار قدامى ، الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه . أنا عمدتكم بالماء ، وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس » .

ولما رأى يوحنا كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم منذراً « يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى . فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة . ولا تبتدئوا تقولون فى أنفسكم لنا ابراهيم أباً ، لأنى أقول لكم أن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لابراهيم . والآن

قد وضعت الفأس على أصل الشجرة ، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار » .

وفى تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل إلى الأردن ، وكان فى نحو الثلاثين من عمره ، ليعتمد من يوحنا ، فما أبصره هذا مقبلا حتى صرخ قائلا « هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم . هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل صار قدامى ، لأنه كان قبلى ، وأنا لم أكن أعرفه . ولكن ليظهر لإسرائيل . لذلك جئت لأعمد بالماء » . حتى إذا اقترب يسوع من يوحنا وطلب إليه أن يعمده ، رأى هذا أنه غير مستحق لأن يعمد يسوع ونظر إليه فى خشوع قائلا « أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى ؟ » . فأجاب يسوع وقال له « إسمح الآن ، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر » . وإذ كان يسوع يعتمد ، إنفتحت السماوات ونزل الروح القدس فى شبه حمامة واستقر عليه ، وكان صوت من السماء يقول « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » .

٨

ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح القدس ليجرب من إبليس ، فبعد أن صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً . فتقدم إليه المجرب وقال له « إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً » . فأجاب وقال « مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » .

ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له « إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى

أيديهم يحملونك » . فقال له يسوع « مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك » .

ثم أخذه إبليس أيضاً إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له « أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى » . حينئذ قال له يسوع « إذهب يا شيطان ، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد » . وعندئذ تركه الشيطان ومضى .

٩

وانصرف يسوع إلى الجليل حيث سكن فى كفر ناحوم التى عند البحر ، فى تخوم زبولون ونفتاليم ، ليبدأ هناك رسالته ، فتم بذلك ما قيل بأشعياء النبى القائل « أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم . الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نورا عظيما . والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور » .

ومن ذلك الزمان بدأ يسوع يكرز ببشارة الخلاص ، ويدعو الناس الى التوبة لأنه قد اقترب ملكوت السموات ، ويطوف بكل أنحاء الجليل يعلم فى مجامعها ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب . فذاع خبره فى كل سوريا ، وأحضروا اليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة والمجانين والمصروعين والمفلوجين فكان يشفيهم . ومن ثم تبعته جموع كثيرة من الجليل والعشر المدن وأورشليم واليهودية وعبر الأردن .

١٠

وكان تلميذان من تلاميذ يوحنا المعمدان - هما يوحنا واندراوس - قد سمعا شهادة معلمهما عن يسوع فتبعاه ، واستمعا إليه، فآمنا به . ومضى اندرواس إلى أخيه المسمى سمعان بطرس وقال له « قد وجدنا مسيا » الذى تفسيره المسيح ، فجاء معه سمعان ورأى يسوع واستمع إليه فآمن بأنه المسيح . ومن ذلك اليوم أصبح يوحنا واندرواس وأخوه سمعان بطرس أول تلاميذ ليسوع .

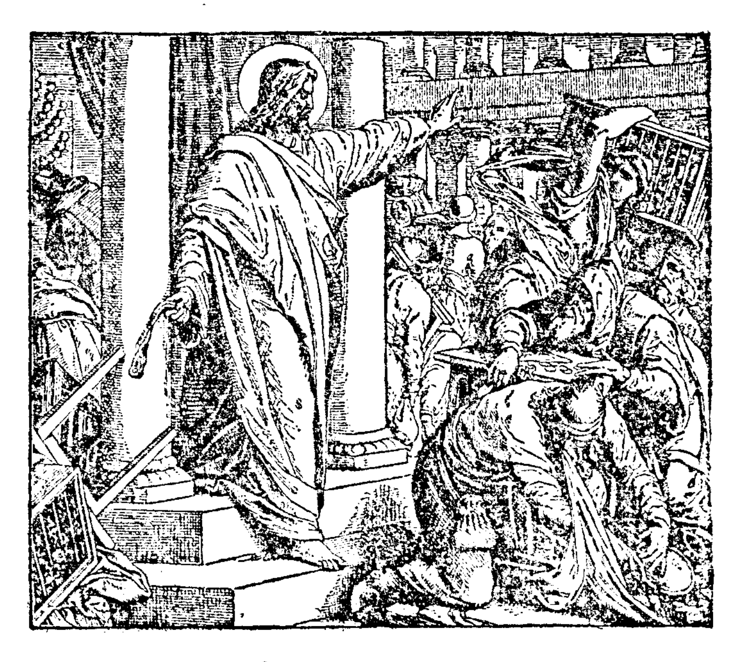
وفى الغد رأى يسوع رجلا آخر اسمه فيلبس، وكان من بيت صيدا — وهى مدينة اندرواس وبطرس أيضاً — فاصطفاه وقال له اتبعنى ، فقام فيلبس وتبعه وإذ آمن هو الآخر بأن هذا هو المسيح الذى ينتظرونه انطلق يبحث عن صديق له يدعى نثنائيل حتى وجده ، فاندفع إليه فى فرح قائلا « قد وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء » ، ثم أخبره بأنه هو « يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة » فقال له نثنائيل « أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح ؟ » قال له فيلبس « تعال وانظر » . فلما رأى يسوع نثنائيل أشار اليه قائلا « هوذا اسرائيلى حقاً لا غش فيه » . قال له نثنائيل « من أين تعرفنى ؟ » فقال يسوع « قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك » . وعندئذ قال نثنائيل « يامعلم أنت ابن الله . أنت ملك اسرائيل » . فأجاب يسوع وقال له « هل آمنت لأنى قلت لك أنى رأيتك تحت التينة ؟ » ثم قال « الحق الحق أقول لكم ، من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان » .

وفيما يسوع يمشى عند بحر الجليل أبصر يعقوب بن زبدى ويوحنا أخاه . وكانا صيادى سمك ، فدعاهما ليتبعاه .

وهكذا اختار يسوع كل تلاميذه من بين الفقراء والبسطاء والمتواضعين .

١١

وفى عيد الفصح صعد يسوع إلى أورشليم ، وهناك وجد بائعى البقر والغنم والحمام يملأون ساحة الهيكل ، كما وجد الصيارف جلوساً حوله فصنع سوطاً من الحبال وطرد الجميع من هناك، وأخرج البقر والغنم وأمر باعة الحمام أن يرفعوا



« يسوع يطرد الباعة من الهيكل »

أقفاصهم وألقى على الأرض دراهم الصيارف وقلب موائدهم ، وراح ينتهر الجميع قائلا « لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة » . فقال له اليهود « أية آية ترينا حتى تفعل هذا ؟ » فأجاب يسوع وقال لهم « انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه » . فقال اليهود « فى ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل ، أفأنت فى ثلاثة أيام تقيمه؟ » . أما هو فكان يعنى هيكل جسده ، لأنه كان يعرف أنه سيموت ثم فى اليوم الثالث يقوم .

١٢

وإذ كان يسوع فى أورشليم أثناء العيد صنع معجزات كثيرة ، فآمن به كثيرون . وكان من أولئك رجل اسمه نيقوديموس ، خاف أن يعترف بإيمانه علانية لأنه كان من رؤساء اليهود ، فجاء ليلا إلى يسوع وقال له « يا معلم . نعلم أنك أتيت من الله معلما ، لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل إن لم يكن الله معه » . فأجاب يسوع وقال له « الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله » . قال له نيقوديموس « كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ ؟ » فقال يسوع « الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد ، جسد هو . والمولود من الروح ، هو روح . لا تتعجب أنى قلت لك ينبغى أن تولدوا من فوق . الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها ، لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب . هكذا كل من ولد من الروح » . قال نيقوديموس « كيف يمكن أن يكون هذا ؟ » فأجاب يسوع وقال له « أنت معلم اسرائيل

ولست تعلم هذا ؟ الحق الحق أقول لك إننا إنما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا ولستم تقبلون شهادتنا . إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون ، فكيف تؤمنون إن قلت لكم السمويات . وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء . ابن الإنسان الذى هو فى السماء . . وكما رفع موسى الحية فى البرية ، هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية . لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية ، لأنه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص العالم . الذى يؤمن به لا يدان ، والذى لا يؤمن قد دين ، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد ، وهذه هى الدينونة . أن النور قد جاء الى العالم ، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة ، لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتى إلى النور لئلا توبخ أعماله . وأما من يفعل الحق فيقبل إلى النور لكى تظهر أعماله أنها بالله معمولة » .

١٣

بعد هذا ترك يسوع أورشليم وعاد مع تلاميذه إلى أرض اليهودية ، ومكث معهم هناك حيث كان يعمد الذين يأتون اليه . وكان يوحنا لا يزال يعمد كذلك فى عين نون بقرب ساليم ، فجاء الى هذا تلاميذه وقالوا له « يا معلم هو ذا الذى كان معك فى عبر الاردن الذى أنت شهدت له هو يعمد والجميع يأتون إليه » . فأجاب يوحنا وقال « لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أعطى من السماء . أنتم أنفسكم تشهدون لى أنى قلت لست أنا المسيح ، بل أنى مرسل أمامه .

من له العروس فهو العريس . وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه يفرح فرحاً من أجل صوت العريس . إذن فرحى هذا قد كمل . ينبغى أن ذلك يزيد وأنى أنا أنقص . الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع . والذى من الأرض هو أرضى ومن الأرض يتكلم. الذى يأتى من السماء هو فوق الجميع . وما رآه وسمعه به يشهد ، وشهادته ليس أحد يقبلها . ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق . لأن الذى أرسله الله يتكلم بكلام الله . لأنه ليس بكيل يعطى الله الروح . الآب يحب الإبن وقد دفع كل شىء فى يده . الذى يؤمن بالإبن له حياة أبدية . والذى لا يؤمن بالإبن لن يرى حياة ، بل يمكث عليه غضب الله » .

١٤

وفى تلك الأيام كان يوحنا المعمدان قد اشتد فى توبيخه لهيرودس والى الجليل بسبب زواجه من هيروديا زوجة فيلبس أخيه ، وبسبب كل الشرور التى كان هيرودس يرتكبها ، فأخذ هيرودس يوحنا وألقى به فى السجن . فلما سمع يسوع بذلك ترك اليهودية مع تلاميذه ويمم شطر الجليل . وكان يتعين كى يصل إلى هناك أن يجتاز السامرة . وفيما هو فى الطريق بلغ مدينة من مدن السامرة يقال لها سوفار، بالقرب من الضيعة التى سبق ليعقوب أن وهبها لابنه يوسف . وكانت هناك بئر يعقوب ، فجلس يسوع عندها ليستريح ، بينما ذهب تلاميذه إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً . وفيما يسوع جالس ، جاءت امرأة سامرية لتستقى من البئر ، فقال لها « اعطينى لأشرب » . فقالت له السامرية « كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية ؟» ، لأن اليهود لا يعاملون السامريين . فأجاب يسوع وقال لها

« لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً » . قالت له المرأة « يا سيد ، لا دلو لك والبئر عميقة ، فمن أين لك الماء الحى ؟ ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه » . فأجاب يسوع وقال لها « كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا . ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد .



« يسوع والمرأة السامرية »

بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » . قالت له المرأة « يا سيد . أعطنى هذا الماء لكى لا أعطش ولا آتى إلى هنا لأستقى » . قال لها يسوع « اذهبي وادعى زوجك وتعالى الى هنا » . فأجابت المرأة قائلة « ليس لى زوج » . قال لها يسوع « حسناً قلت ليس لى زوج ، لأنه كان لك خمسة أزواج ، والذى لك الآن ليس هو زوجك . هذا قلت بالصدق » . فتطلعت المرأة إليه

فى دهشة قائلة « يا سيد ، أرى أنك نبي » ثم قالت له « آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه » قال لها يسوع « يا امرأة صدقينى أنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب . أنتم تسجدون لما لستم تعلمون . أما نحن فنسجد لما نعلم . لأن الخلاص هو من اليهود . ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له . الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » . قالت له المرأة « أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى ، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شىء » . فقال لها يسوع « أنا الذى أكلمك هو » .

وعند ذلك جاء تلاميذ يسوع فدهشوا إذ رأوه يتكلم مع المرأة السامرية . أما هذه فتركت عندئذ جرتها وهرولت إلى المدينة مسرعة ، وراحت تنادى الناس قائلة « هلموا انظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت . ألعل هذا هو المسيح » ، فخرج كثيرون من المدينة ليروه .

وفى هذه الأثناء طلب إليه تلاميذه أن يأكل مما أحضروه من طعام ، فقال لهم « أنا لى طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم . طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله » .

ولم يلبث أهل المدينة أن جاءوا فما رأوا يسوع واستمعوا إليه حتى آمنوا به وطلبوا منه أن يمكث عندهم ، فمكث هناك يومين يعلمهم ويشفى مرضاهم ، وعندئذ قالوا للمرأة « إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن . لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم » .

١٥

وبعد ذلك انصرف يسوع من السامرة ومضى إلى الجليـــل ، فرحب به الجليليون ، إذ كان البعض منهم قد رأوا مافعل من الآيات فى أورشليم أثناء العيد. وحين بلغ يسوع قانا الجليل ، كان فى كفر ناحوم رجل من حاشية الملك له ابن مشرف على الموت ، فلما سمع أن يسوع قد جاء من اليهودية إلى الجليل حتى انطلق مهرولا إلى حيث كان ، وتوسل إليه أن يجيء ويشفى ابنه .فقال يسوع «لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب» . فقال الرجل فى ضراعة « يا سيد انزل قبل أن يموت ابنى » . حينئذ قال له « إذهب إبنك حى » . فآمن الرجل بالكلمة التى قالها له يسوع وذهب إلى بيته ، وهنالك استقبله عبيده ، وبشروه بشفاء ابنه ، فلما سألهم عن الساعة التى زايلته فيها الحمى ، علم أن ذلك كان فى ذات اللحظة التى قال له فيها يسوع أن ابنه حى ، فآمن هو وأهل بيته جميعاً .

١٦

ثم انتقل يسوع بعد ذلك الى الناصرة التى كان قد عاش فيها حتى الثلاثين من عمره . ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت . وقام ليقرأ . فدفع سفر أشعياء النبى ، وقرأ قوله «روح الرب علىّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب ، لأنادى للمأسورين بالإطـــلاق ، وللعمى بالبصر ، وأرسل المنسحقين فى الحرية ، وأكرز بسنة الرب المقبولة » . ثم طوى السفر وسلمه الى

الخادم وجلس . وكانت كل عيون الذين فى المجمع شاخصة اليه ، فابتدأ يقول لهم « إنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم » . فبهتوا قائلين « من أين لهذا هذه ؟ وما هذه الحكمة التى أعطيت له حتى تجرى على يديه قوات مثل هذه ؟ أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ؟ أو ليست أخواته ههنا عندنا ؟ » . فقال لهم « على كل حال تقولون لى هذا المثل : أيها الطبيب اشف نفسك . كم سمعنا أنه جرى فى كفر ناحوم فافعل ذلك هنا أيضاً فى وطنك . . الحق أقول لكم أنه ليس نبى مقبولا فى وطنه . وبالحق أقول لكم إن أرامل كثيرة كن فى اسرائيل . فى أيام إيليا حين أغلقت السماء مدة ثلاث سنين وستة أشهر ، لما كان جوع عظيم فى الأرض كلها ، ولم يرسل إيليا الى واحدة منها الا الى امرأة ، إلى صرفة صيداء . وبرص كثيرون كانوا فى اسرائيل فى زمان أليشع النبى ولم يطهر واحد منهم إلا نعمان السريانى » .

فلما سمع الذين فى المجمع هذا القول من يسوع امتلأوا غضباً ، وقاموا وصاروا يدفعونه إلى خارج المدينة ، حتى أصبحوا عند حافة الجبل الذى كانت مدينتهم مقامة عليه ، عاقدين العزم على أن يطرحوه إلى أسفل ، ولكن هيبته جعلتهم يجبنون عن أن يفعلوا ذلك فعادوا مخذولين . ومن ذلك الحين رحل يسوع من الناصرة ولم يعد إليها بعد ذلك ، وأقام فى كفر ناحوم ، إحدى مدن الجليل .

١٧

ودخل مع تلاميذه الى المجمع فى كفر ناحوم ، فبهت الحاضرون من تعليمه ، لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة .

وكان فى المجمع رجل به روح شيطان نجس ، فما رآه حتى صرخ الشيطان الذى فيه بصوت عظيم قائلا « آه ما لنا ولك يا يسوع الناصرى . أتيت لتهلكنا. أنا أعرفك من أنت قدوس الله » فانتهره يسوع قائلا «إخرس واخرج منه » فصرعه الشيطان وصرخ بصوت عظيم وخرج منه . فوقعت دهشة على الجميع ، وراحوا يسألون بعضهم بعضاً قائلين « ما هذا ؟ ما هو هذا التعليم الجديد ؟ لأنه بسلطان وقوة يأمر حتى الأرواح النجسة ، فتطيعه وتخرج ».

١٨

ولما انصرف يسوع وتلاميذه من المجمع ، ذهبوا إلى بيت سمعان ، وكانت حماته مريضة وقد التهبت بالحمى ، فاقترب يسوع منها ولمسها فتركتها الحمى فى الحال ، وقامت تخدمهم .

ثم عند الغروب قدموا اليه جميع السقماء والمصابين بأمراض مختلفة فوضع يديه عليهم وشفاهم . وكان كثيرون بهم شياطين ، فما كانت الشياطين تراه حتى تصرخ قائلة « أنت المسيح ابن الله » ، فكان ينتهرها ويخرجها .

وفى الغد خرج يسوع عند الفجر لينفرد ويصلى وحده فى موضع خلاء ، فراح الجميع فى كفر ناحوم يبحثون عنه حتى وجدوه وتشبثوا به لئلا يذهب عنهم ، ولكنه قال لهم « إنه ينبغى لى أن أبشر المدن الأخرى أيضاً بملكوت الله ، لأنى لهذا قد أرسلت » .

١٩

وفيما كان يسوع يجول ليعلم رأى عشاراً اسمه لاوى بن حلفى ، وهو الملقب متى ، جالساً عند مكان الجباية ، فاصطفاه وقال له اتبعنى ، فترك كل شيء وقام وتبعه .

وقد أعد لاوى وليمة كبيرة ليسوع فى بيته حضرها كثيرون من زملائه العشارين.

فقال الكتبة والفريسيون لتلاميذ يسوع « ما بال معلمكم يأكل ويشرب مع العشارين والخطاة ؟ » فلما سمع يسوع قولهم ، أجاب وقال لهم « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ، بل المرضى . لم آت لأدعو أبراراً ، بل خطاة إلى التوبة ».

٢٠

ثم صعد يسوع إلى الجبل ، وهناك قضى الليل كله يصلى ، وعند الفجر دعا إليه مريديه ، واختار منهم إثنى عشر ليكونوا تلاميذه وليرسلهم كى يكرزوا ببشارته ، وهم سمعان الذى سماه أيضاً بطرس ، وأخوه اندراوس ، ويعقوب ابن زبدى ، وأخوه يوحنا ، ويعقوب بن حلفى ، وأخوه يهوذا ، وفيلبس ، وبرثلماوس ، ومتى ، وتوما ، وسمعان الذى يدعى الغيور ، ويهوذا الأسخريوطى .

٢١

وفيما كان يسوع فوق الجبل تبعته جموع كثيرة من الجليل والعشر المدن وأورشليم واليهودية وعبر الأردن ، فجلس بينهم وراح يعلمهم قائلا :

« طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات . طوبى للحزانى لأنهم يتعزون . طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض . طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم

يشبعون . طوبى للرحماء لأنهم يرحمون . طوبى للأنقياء القلب ، لأنهم يعاينون الله . طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون . طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات . طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل



« يسوع يلقى خطبة الجبل »

كلمة شريرة من أجلى كاذبين . إفرحوا وتهللوا ، لأن أجركم عظيم فى السموات . فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم .

أنتم ملح الأرض . ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح ؟ لا يصلح بعد لشىء إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس . أنتم نور العالم . لا يمكن أن تخفى مدينة

موضوعة على جبل . ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال ، بل على المنارة ، فيضيء لجميع الذين فى البيت . فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات .

لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل . فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى ، وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات . فإنى أقول لكم أنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات .

قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم . وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم . ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع . ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم . فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك وحينئذ تعال وقدم قربانك . كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه فى الطريق، لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى ، ويسلمك القاضى إلى الشرطى فتلقى فى السجن . الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير .

قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن . وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنا بها فى قلبه . فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم . وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم .

وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى . ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى .

أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك . وأما أنا فأقول لكم لاتحلفوا البتة ، لابالسماء لأنها كرسى الله ، ولا بالأرض لأنها موطىء قدميه ، ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم ، ولا تحلف برأسك لأنك لاتقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء. بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا ، ومازاد على ذلك فهو من الشرير .

سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لاتقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً . ومن سخرك ميلاً واحداً ، فاذهب معه اثنين. من سألك فاعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .

سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات . فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون فى المجامع وفى الأزقة لكى يمجدوا من الناس . الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم . وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ماتفعل يمينك ، لكى تكون صدقتك فى الخفاء . فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك علانية .

ومتى صليت فلا تكن كالمرائين ، فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس . الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك واغلق بابك وصل إلى أبيك الذى فى الخفاء

فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية . وحينما تصلون لاتكرروا الكلام باطلا كالأمم ، فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم . فلا تتشبهوا بهم ، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون اليه قبل أن تسألوه .

فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذى فى السموات . ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك ، كما فى السماء ، كذلك على الأرض . خبزنا كفافنا أعطنا اليوم . واغفر لنا ذنوبنا . كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا . ولا تدخلنا فى تجربة ، لكن نجنا من الشرير ، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين . فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى. وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم .

ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فإنهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين . الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم . وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك ، لكى لاتظهر للناس صائماً ، بل لأبيك الذى فى الخفاء . فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية .

لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون . بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء ، حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون . لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً . سراج الجسد هو العين ، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً ، وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً ، فإن كان النور الذى فيك ظلاماً فالظلام كم يكون .

لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لاتقدرون أن تخدموا الله والمال . لذلك أقول

لكم لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون . أليست الحياة أفضل من الطعام . والجسد أفضل من اللباس . أنظروا إلى طيور السماء . إنها لاتزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها . ألستم أنتم بالحرى أفضل منها . ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحداً . ولماذا تهتمون باللباس ؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ، لاتتعب ولا تغزل . ولكن أقول لكم أنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها . فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غداً فى التنور يلبسه الله هكذا . أفليس بالحرى جداً يلبسكم أنتم ياقليلى الإيمان ؟ فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس . فإن هذه كلها تطلبها الأمم . لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها . لكن أطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم . فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه . يكفى اليوم شره .

لاتدينوا لكى لاتدانوا لأنكم بالدينونه التى بها تدينون تدانون . وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم . ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها . أم كيف تقول لأخيك دعنى أخرج القذى من عينك وها الخشبة فى عينك . يامرائى أخرج أولا الخشبة من عينك ، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك . لاتعطوا القدس للكلاب . ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم .

إسألوا تعطوا . إطلبوا تجدوا . إقرعوا يفتح لكم . لأن كل من يسأل يأخذ . ومن يطلب يجد . ومن يقرع يفتح له . أم أى إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزاً يعطيه حجراً . وإن سأله سمكة يعطيه حية . فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة ، فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه . فكل ماتريدون أن يفعل الناس بكم إفعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم . لأن هذا هو الناموس والأنبياء .

أدخلوا من الباب الضيق ، لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك . وكثيرون هم الذين يدخلون منه . ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة . وقليلون هم الذين يجدونه .

إحترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة . من ثمارهم تعرفونهم . هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً . هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة . وأما الشجرة الردية فتصنع أثماراً ردية . لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارا جيدة . كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار . فإذن من ثمارهم تعرفونهم .

ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات . بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات . كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط . إذهبوا عنى يا فاعلى الإثم .

فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط . لأنه كان مؤسساً على الصخر . وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط ، وكان سقوطه عظيما » .

٢٢

وكان يسوع لا يفتأ يطوف بكل نواحى الجليل ، يكرز فى الجامع ، ويشفى المرضى ، ويخرج الشياطين . وكان الجميع يسعون لأن يلمسوه لأن قوة كانت

تخرج منه وتشفي كل مرض . وقد جاءه في هذه الأثناء رجل مصاب بالبرص ، وجثا أمامه في ضراعة قائلا « يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني » ، فتحنن يسوع ومد يده ولمسه قائلا « أريد فاطهر » ، وفي الحال ذهب عنه البرص ، فقال له يسوع « اذهب أر نفسك للكاهن وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى شهادة لهم » . وأما هو فخرج يهتف وينادي مذيعاً خبر هذه الآية في كل مكان .

٢٣

وفي كفر ناحوم تقدم نحوه قائد روماني ، وتضرع إليه قائلا « ياسيد غلامي مطروح في البيت مفلوجاً متعذباً جداً » . وإذ كان الرجل من الأمم تشفع له شيوخ اليهود قائلين « إنه مستحق أن تفعل له هذا ، لأنه يحب أمتنا ، وهو بنى لنا المجمع » فقال يسوع للقائد « إني آتي وأشفيه » ، ولكن هذا قال له « ياسيد لا تتعب لأني لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي . لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي . لأني أنا أيضاً إنسان تحت سلطان . لي جند تحت يدي ، أقول لهذا اذهب فيذهب ، ولآخر ائت فيأتي ، ولعبدي إفعل هذا فيفعل » . فلما سمع يسوع هذا تعجب والتفت إلى الجمع الذي يتبعه قائلا « الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا . وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات . وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » . ثم قال يسوع لقائد المائة « إذهب وكما آمنت ليكن لك » . فبرأ غلامه في تلك الساعة .

٢٤

وفى اليوم التالى ذهب يسوع إلى مدينة تدعى نايين ، وذهب معه كثيرون من تلاميذه ومريديه . فلما اقترب إلى باب المدينة ، قابله موكب حزين يحمل ميتاً هو الإبن الوحيد لأمه الأرملة . وكانت الأم تبكى ، وقد أحاط بها جمع من أصحابها . فلما رآها يسوع تحنن عليها وقال لها « لاتبكى » ، ثم لمس النعش وقال « أيها الشاب لك أقول قم » فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه . وعندئذ استولت الدهشة على الجميع وتملكهم الخوف ، ومجدوا الله قائلين « قدقام فينا نبى عظيم ، وافتقد الله شعبه » . وذاع خبر هذه المعجزة فى كل اليهودية والأنحاء المجاورة .

٢٥

وأجاب يسوع دعوة أحد الفريسيين اسمه سمعان ، وفيما الضيوف متكئون ، دخلت امرأة معروفة فى المدينة بأنها خاطئة ، وكانت قد علمت أن يسوع متكىء فى ذلك البيت ، فجاءت بقارورة طيب ، ووقفت عند قدميه ، وهى تبكى ، وتبل قدميه بدموعها وتمسحها بشعر رأسها وتدهنها بالطيب وتقبلها ، فلما رأى صاحب البيت ذلك قال فى نفسه « لوكان نبياً لعلم من هذه المرأة التى تلمسه وماهى ، أنها خاطئة » فعلم يسوع بما يدور فى ذهنه وقال له « ياسمعان عندى شيء أقوله لك » . قال « قل يامعلم » . قال يسوع « كان لمداين مديونان ، على الواحد خمسمائة دينار

وعلى الآخر خمسون . وإذ لم يكن لهما مايوفيان سامحها جميعاً ، فقل أيهما يكون أكثر حباً له ؟ » فأجاب سمعان وقال « أظن الذى سامحه بالأكثر » . فقال له « بالصواب حكمت » ثم التفت إلى المرأة وقال لسمعان « أتنظر هذه المرأة . إنى دخلت بيتك وماء لأجل رجلىّ لم تعط . وأما هى فقد غسلت رجلىّ بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها . قبلة لم تقبلنى . وأما هى فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلىّ . بزيت لم تدهن رأسى . وأما هى فقد دهنت بالطيب رجلىّ . من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة ، لأنها أحبت كثيراً . والذى يغفر له قليلا يحب قليلا » ثم قال للمرأة « مغفورة لك خطاياك . إيمانك قد خلصك . إذهبى بسلام » . أما المتكئون فقد بدأوا يقولون فى أنفسهم « من هذا الذى يغفر الخطايا ؟ » .

٢٦

وأقبلت جموع كثيرة من كل مدينة إلى يسوع فجلس بينهم يعلمهم ويضرب لهم الأمثال كى يفهموا تعليمه ، قائلا « هوذا الزارع قد خرج ليزرع ، وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق فجاءت الطيور وأكلته ، وسقط آخر على الأماكن المحجرة حيث لم تكن له تربة كثيرة فنبت حالا ، إذ لم يكن له عمق أرض . ولكن لما أشرقت الشمس احترق ، وإذ لم يكن له أصل جف . وسقط آخر على الشوك فطلع وخنقه ، وسقط آخر على الأرض الجيدة ، فأعطى ثمراً ، بعض مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين . من له أذنان للسمع فليسمع » .

فقال له تلاميذه « لماذا تكلمهم بأمثال ؟ » فأجاب وقال لهم « لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات . وأما لأولئك فلم يعط .. من

أجل هذا أكلمهم بأمثال : لأنهم مبصرين لا يبصرون ، وسامعين لا يسمعون ، ولا يفهمون . فقد تمت فيهم نبوءة أشعياء القائلة تسمعون سمعاً ولا تفهمون ، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون . لان قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها . وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم . ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع . فإني الحق أقول لكم أن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا ، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا ».

وحينئذ طلب إليه تلاميذه أن يفسر لهم مثل الزارع ، فقال لهم « الزرع هو كلام الله . والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتى إبليس وينزع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا . والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح . وهؤلاء ليس لهم أصل فيؤمنون الى حين ، وفى وقت التجربة يرتدّون . والذى سقط بين الشوك هم الذين يسمعون ثم يذهبون فيختنقون من هموم الحياة وغناها ولذاتها ولا ينضجون ثمراً . والذى فى الأرض الجيدة هو الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها فى قلب جيد صالح ويثمرون بالصبر ».

ثم قال « هكذا ملكوت الله . كأن إنساناً يلقى البذار على الأرض ، وينام ، ويقوم ليلا ونهاراً والبذار يطلع وينمو وهو لا يعلم كيف . لأن الأرض من ذاتها تأتى بثمر . أولا نباتاً ثم سنبلا ، ثم قمحاً ملآن فى السنبل . وأما متى أدرك الثمر فللوقت يرسل المنجل ، لأن الحصاد قد حضر ».

٢٧

وقدم لهم مثلا آخر قائلا « يشبه ملكوت السموات إنساناً زرع زرعاً جيداً فى حقله . وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زواناً فى وسط الحنطة ومضى . فلما

طلع النبات وصنع ثمرا ، حينئذ ظهر الزوان أيضاً . فجاء عبيد رب البيت وقالوا له ياسيد ، أليس زرعاً جيداً زرعت فى حقلك ؟ فمن أين له الزوان ؟ فقال لهم إنسان عدو فعل هذا . فقال له العبيد أتريد أن نذهب ونجمعه ؟ فقال لا ، لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه . دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد. وفى وقت الحصاد أقول للحصادين اجمعوا أولا الزوان واحزموه حزماً ليحرق . وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزنى » .

وإذ طلب إليه تلاميذه أن يفسر هذا المثل قال لهم « الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان . والحقل هو العالم . والزرع الجيد هو بنو الملكوت . والزوان هو بنو الشرير . والعدو الذى زرعه هو إبليس . والحصاد هو انقضاء العالم . والحصادون هم الملائكة . فكما يجمع الزوان ويحرق بالنارهكذا يكون فى انقضاء هذا العالم . يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم ، ويطرحونهم فى أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . حينئذ يضيء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم » .

٢٨

ثم قال لهم « أيضاً يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفى فى حقل وجده إنسان، فأخفاه ، ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل . أيضاً يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجرا يطلب لآلىء حسنة . فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها . أيضاً يشبه ملكوت السموات شبكة مطروحة فى البحر وجامعة من كل نوع . فلما امتلأت أصعدوها على

الشاطىء وجلسوا وجمعوا الجياد إلى أوعية . وأما الأردياء فطرحوها خارجاً .
هكذا يكون فى انقضاء العالم : يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار
ويطرحونهم فى أتون النار .. أيضاً يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة
وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع » . وقال أيضاً « بما يشبه ملكوت
الله أو بأى شىء نمثله ؟ مثل حبة خردل متى زرعت فى الأرض فهى أصغر جميع
البذور التى على الأرض، ولكن متى زرعت تطلع وتصير أكبر جميع البقول وتصنع
أغصاناً كبيرة حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها » .
وبأمثال كثيرة كهذه كان يسوع يكلمهم حسبما كانوا يستطيعون أن يسمعوا ويفهموا .

٢٩

وبعد ذلك أراد يسوع أن ينصرف بالسفينة إلى الشاطىء الآخر فتقدم إليه
عندئذ كاتب وقال له « يامعلم أتبعك أينما تمضى » . ولكن إذ أدرك يسوع أن
الرجل يطمع فى مجد دنيوى التفت إليه وقال « للثعالب أوجرة ولطيور السماء
أوكار . وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه » .

وتقدم اليه رجل آخر قائلا « أتبعك ياسيد ولكن إئذن لى أولا أن أودع
الذين فى بيتى » فقال له يسوع « ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء
يصلح لملكوت الله » .

٣٠

وأقلعت به السفينة مع تلاميذه ، حتى إذا بلغوا الشاطىء الآخر ، نزلوا إلى
كورة الجدريين التى فى مقابل الجليل . فيماو يسوع يدخل المدينة استقبله رجل به

شيطان منذ زمان طويل ، وكان لايلبس ثوباً ولا يقيم فى بيت ، بل يهيم بين القبور ، ولم يمكن لأحد أن يحتجزه ، لأنهم كثيراً ماربطوه بالسلاسل والقيود ، ولكنه كان يقطع السلاسل ويكسر القيود ، وينطلق هارباً وهو يصيح ويضرب نفسه بالحجارة حتى يتمزق جسمه ويسيل دمه . فما رأى يسوع قادماً حتى ركض وخر ساجداً له وصرخ الشيطان الذى فيه قائلا بصوت عظيم « مالى ولك يايسوع ابن الله العلى . أستحلفك بالله أن لاتعذبنى » . فسأله يسوع قائلا « ما اسمك ؟ » فأجاب قائلا « إسمى لجئون لأننا كثيرون » ، وكان يعنى بهذا الاسم أنه ليس شيطاناً واحداً بل فرقة من الشياطين . وقد توسل إلى يسوع بإلحاح ألا يأمرهم بأن يذهبوا إلى الهاوية . وكان يرعى على البعد فى تلك الساعة قطيع من الخنازير فوق الجبل ، فطلب الشيطان إلى يسوع أن يأذن لهم بالدخول فيها ، فأذن لهم بذلك ، وعندئذ خرجوا من الرجل ودخلوا فى الخنازير ، فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحيرة ، وغرق فى مائها . أما الرعاة فإذ رأوا ما حدث هربوا وذهبوا إلى المدينة حيث أخبروا كل من فيها بما أبصروا . فهرع الناس إلى حيث أنبأهم الرعاة ، وهنالك وجدوا يسوع ، ورأوا الرجل الذى كانت به الشياطين جالسا فى هدوء عند قدمى يسوع ، وقد استرد عقله ، وغطى بثوب جسده . فخاف الناس خوفا عظيما وطلبوا إلى يسوع أن يذهب عن مدينتهم . فعاد بالسفينة الى كفر ناحوم .

٣١

ودخل يسوع أحد البيوت فى كفر ناحوم . فما سمع أهل المدينة بوجوده هناك حتى جاء كثيرون منهم ، كما جاء كثيرون من الجليل واليهودية وأورشليم ، فامتلأ

بهم البيت ، حتى لم يعد فيه موضع لقدم . وبدأ يسوع يعلم الجموع المحتشدة هناك ويشفى من يتقدم إليه من المرضى . وفى هذه الأثناء جاء جماعة يحملون على فراش رجلا مفلوجا ليقدموه ليسوع ، ولكنهم لم يستطيعوا الدخول بسبب الزحام فصعدوا إلى سطح البيت ونقبوا سقفه ودلوا المفلوج على فراشه أمام يسوع . فلما رأى إيمانهم قال للمفلوج « يابنى مغفورة لك خطاياك » . وكان بين الموجودين



« يسوع يشفى المفلوج »

جماعة من الكتبة والفريسيين ، فراحوا يفكرون قائلين « من هذا الذى يتكلم بتجديف ؟ من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده ؟ » فعرف يسوع أفكارهم وقال لهم « ماذا تفكرون فى قلوبكم ؟ أيهما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم وامش ؟ ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض

أن يغفر الخطايا أقول لك أيها المفلوج قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك » . ففى الحال قام أمامهم وحمل فراشه ومضى . وعندئذ بهت الجميع ومجدوا الله فى رهبة قائلين « ما رأينا مثل هذا قط » .

٣٢

وفى تلك الأيام جاء قوم إلى يسوع وقالوا له « لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيراً ، وكذلك تلاميذ الفريسيين أيضاً ، وأما تلاميذك فلا يصومون؟» ، فقال لهم يسوع «هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم ؟ مادام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا . ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم ، فحينئذ يصومون فى تلك الأيام » .. ثم ضرب لهم هذا المثل قائلا « ليس أحد يضع رقعة من ثوب جديد على ثوب عتيق ، وإلا فالجديد يشقه والعتيق لا توافقه الرقعه التى من الجديد .. وليس أحد يجعل خمراً جديدة فى زقاق عتيقة لئلا تشق الخمر الجديدة الزقاق فهى تهرق ، والزقاق تتلف ، بل يجعلون خمراً جديدة فى زقاق جديدة فتحفظ جميعاً . وليس أحد إذا شرب العتيقة يريد للوقت الجديد لأنه يقول العتيق أطيب » .

٣٣

وفيما هو يكلمهم بهذا ، جاء رجل اسمه يايروس — وكان رئيساً للمجمع ، وعظيما من عظماء المدينة — وخر ساجداً أمام يسوع ضارعاً إليه أن يدخل بيته ،

لأن ابنته الوحيدة التى فى الثانية عشرة من عمرها ، تعانى سكرات الموت ، وهو يلتمس من يسوع أن يأتى ليضع يده عليها فيشفيها . فمضى يسوع معه ، يتبعه تلاميذه . وفيما هو منطلق ازدحمت حوله الجموع . وكانت بين المحتشدين مصابة بنزف الدم منذ اثنتى عشرة سنة ، وقد أنفقت كل ما تملكه على الأطباء دون جدوى ، بل ازدادت حالها سوءاً ، فلما سمعت بوصول يسوع جاءت من ورائه



« يسوع يعيد الحياة إلى ابنة يايروس »

فى الزحام ، ولمست هدب ثوبه ، إذ كانت تؤمن بأنها إن لمست ثيابه ستبرأ من مرضها . وفى الحال شفيت وتوقف نزيفها ، وعندئذ التفت يسوع وقال « من لمسنى ؟ » فقال بطرس « يا معلم . الجموع يضيقون عليك ويزحمونك وتقول من لمسنى ؟ » فقال يسوع « قد لمسنى واحد لأنى علمت أن قوة خرجت منى » ، وعندئذ تقدمت المرأة وهى ترتعد من الخوف وخرت ساجدة أمامه ، وقالت له الحق كله ، فقال لها « ثقى يا إبنة . إيمانك قد شفاك . إذهبى بسلام » .

وبينما هو يتكلم جاء واحد من دار رئيس المجمع وقال له « قد ماتت ابنتك فلا تتعب المعلم » . وإذ سمع يسوع ذلك التفت إليه قائلا « لا تخف. آمن فقط فهى تشفى »،فلما بلغ البيت لم يدع أحدا يدخل معه إلا بطرس ويعقوب ويوحنا ، وكان الجميع يبكون عليها ويلطمون فقال لهم « لماذا تضجون وتبكون ؟ لم تمت الصبية ، لكنها نائمة » ، فسخروا من قوله لأنهم كانوا قد تأكدوا أنها ماتت، وعندئذ أخرج يسوع الجميع ، وأخذ أبا الصبية وأمها ومن معه من التلاميذ ، ودخل حيث كانت الصبية مضطجعة ، وأمسك بيدها قائلا « يا صبية قومى » فقامت فى الحال وطلب إليهم أن يعطوها لتأكل .

٣٤

وفيما كان يسوع منصرفاً من هناك تبعه أعميان يصرخان قائلين « ارحمنا يابن داوود » . فقال لهما يسوع « أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا ؟ ». قالا له « نعم يا سيد » . فقال لهما « بحسب إيمانكما ليكن لكما » ، ولمس أعينهما فأبصرت فى الحال .

كما قدموا له فى ذلك اليوم رجلا أخرس ومصاباً بالجنون بسبب شيطان يتملكه،فلما أخرج يسوع الشيطان تكلم الأخرس واسترد عقله،فبهت الحاضرون وقالوا « لم يظهر قط مثل هذا فى اسرائيل » . أما الفريسيون فقالوا « برئيس الشياطين يخرج الشياطين » .

٣٥

وكان يسوع يطوف بكل المدن والقرى يعلم فى مجامعها ، ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب . وحين رأى الجموع فى كل

مكان مضطربة خائفة كغنم لا راعى لها ، قال لتلاميذه « الحصاد كثير ، ولكن الفعلة قليلون ، فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده » .

ثم دعى يسوع تلاميذه الإثنى عشر ومنحهم القوة لشفاء كل مرض وكل ضعف وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة ، وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله بعد أن أوصاهم قائلا :

« إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت اسرائيل الضالة . وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين أنه قد اقترب ملكوت السموات . إشفوا مرضى . طهروا برصاً . أقيموا موتى . أخرجوا شياطين . مجاناً أخذتم مجاناً اعطوا . لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم ، ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا ، لأن الفاعل مستحق طعامه .

وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق . وأقيموا هناك حتى تخرجوا . وحين تدخلون البيت سلموا عليه . فإن كان البيت مستحقاً فليأت سلامكم عليه . ولكن إن لم يكن مستحقاً فليرجع سلامكم إليكم . ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم ، فاخرجوا خارجاً من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم . الحق أقول لكم ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالا مما لتلك المدينة .

ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب . فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام. ولكن احذروا من الناس ، لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفى مجامعهم يجلدونكم ، وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم وللأمم . فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون . لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم . وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت ،

والآب ولده . ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم . وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي . ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص . ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى . فإنى الحق أقول لكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان .

ليس التلميذ أفضل من المعلم ولا العبد أفضل من سيده . يكفى التلميذ أن يكون كمعلمه ، والعبد كسيده . إن كانوا قدلقبوا رب البيت بعلزبول ، فكم بالحرى أهل بيته ، فلا تخافوهم . لأن ليس مكتوم لن يستعلن ، ولا خفى لن يعرف . الذى أقوله لكم فى الظلمة قولوه فى النور . والذى تسمعونه فى الأذن ، نادوا به على السطوح . ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها . بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم . أليس عصفوران يباعان بفلس ، وواحدا منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم . وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة . فلا تخافوا . أنتم أفضل من عصافير كثيرة . فكل من يعترف بى قدام الناس ، أعترف أنا أيضاً به قدام أبى الذى فى السموات . ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبى الذى فى السموات .

من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى . ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى . ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى . من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلى يجدها . من يقبلكم يقبلنى . ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى . من يقبل نبيا باسم نبي فأجرنبي يأخذ . ومن يقبل باراً باسم بار فأجر بار يأخذ . ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ، فالحق أقول لكم أنه لا يضيع أجره ».

وبعد هذا خرج التلاميذ وذهبوا إلى كل مدينـــة وقرية يبشرون الناس ويدعونهم إلى التوبة ويشفون كل مرض فيهم .

٣٦

أما يسوع فبعد أن أرسل تلاميذه الإثنى عشر انصرف من هناك ليعلم ويكرز فى كل المدن .

وقد سمع يوحنا وهو فى السجن بأعمال يسوع فأرسل إليه اثنين من تلاميذه قائلا « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ » فقال يسوع لهما « اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران . العمى يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون وطوبى لمن لا يعثر فى » . فلما ذهب هذان خاطب يسوع الجموع عن يوحنا قائلا « ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا ؟ أقصبة تحركها الريح ؟ لكن ماذا خرجتم لتنظروا ؟ ألإنسانا لابساً ثياباً ناعمة ؟ هو ذا الذين يلبسون الثياب الناعمة فى بيوت الملوك . لكن ما ذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبيا ؟ نعم أقول لكم وأفضل من نبى . فإن هذا هو الذى كتب عنه أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهىء طريقك قدامك . الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه . ومن أيام يوحنا المعمدان الى الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه . لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا . وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى . من له أذنان للسمع فليسمع . . وبمن أشبه هذا الجيل ؟ شبه أولاداً جالسين فى الأسواق ينادون إلى

أصحابهم ويقولون زمرنا لكم فلم ترقصوا . نحنا لكم فلم تلطموا . لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان . جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر ، محب للعشارين والخطاة . والحكمة تبررت من بنيها ».

وقال للجموع فى ذلك اليوم « كل شيء قد دفع الىّ من أبى ، وليس أحد يعرف الإبن إلا الآب . ولا أحد يعرف الآب إلا الإبن ، ومن أراد الإبن أن يعلن له .. تعالوا الى ياجميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم . إحملوا نيرى عليكم وتعلموا منى ، لأنى وديع ومتواضع القلب ، فتجدوا راحة لنفوسكم ، لأن نيرى هين وحملى خفيف ».

٣١

وكان عيد لليهود فصعد يسوع إلى أورشليم ، وهناك عند باب الضأن بركة يقال لها بالعبرانية بيت حسدا ، وكان يضطجع عند هذه البركة كثير من المرضى والعمى والعرج ، منتظرين تحريك الماء ، لأنهم كانوا يعتقدون أن ملاكا ينزل أحياناً فى البركة ويحرك الماء ، وأن أول من ينزل إلى البركة بعد ذلك يبرأ من كل مابه من أمراض . وكان بين المضطجعين هناك رجل أقعده المرض منذ ثمان وثلاثين سنة ، فلما رآه يسوع وعلم بأمره قال له « أتريد أن تبرأ ؟ » قال الرجل « ياسيد ليس لى إنسان يلقينى فى البركة متى تحرك الماء ، بل بينما أنا آت ينزل قدامى آخر » فقال له يسوع « قم احمل سريرك وامش ». فشفى الرجل فى الحال وقام وحمل سريره ومشى . وإذ حدث هذا فى يوم سبت ، قال اليهود لذلك الرجل

« لايحل لك أن تحمل سريرك » . فأجابهم قائلا « إن الذى أبرأنى هو قال لى احمل سريرك وامش » ، وعندئذ سألوه قائلين « من هو الذى قال لك احمـــل سريرك وامش ؟ » ، ولكنه لم يكن يعلم من هو ، لأن يسوع كان عندئذ قد مضى .

ثم رأى يسوع بعد ذلك هذا الرجل فى الهيكل فقال له « ها أنت قد برئت ، فلا تخطىء أيضاً لئلا يكون لك أشر » ، فمضى هذا وأخبر اليهود أن يسوع هو الذى أبرأه فامتلأ اليهود حنقاً وأرادوا أن يقتلوا يسوع لأنه صنع [illegible] فى يوم سبت . فأجابهم يسوع قائلا « أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » . وإذ سمعوا ذلك ازداد حنقهم وصمموا على قتله ، لأنه لم ينقض السبت فقط ، بل قال أيضاً أن الله أبوه ، معادلا نفسه بالله . أما يسوع فاستطرد قائلا لهم . « الحق أقول لكم . لايقدر الإبن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل . لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الإبن كذلك . لأن الآب يحب الإبن ويريه جميع ماهو يعمله ، وسيريه أعمالا أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم . لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى ، كذلك الإبن أيضا يحيى من يشاء ، لأن الآب لايدين أحداً ، بل أعطى كل الدينونة للإبن لكى يكرم الجميع الإبن كما يكرمون الآب . من لايكرم الإبن لايكرم الآب الذى أرسله » . ثم قال لهم « الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة ، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة . الحق الحق أقول لكم إنه تأتى ساعة وهى الآن ، حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون . لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته . كذلك أعطى الإبن أيضاً أن تكون له حياة فى ذاته ، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان . لاتتعجبوا من هذا ، فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة . أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً . كما أسمع أدين ، ودينونتى عادلة ، لأنى لا أطلب مشيئتى ، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى . . إن كنت

أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقاً . الذى يشهد لى هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التى يشهدها لى هى حق . أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق . وأنا لا أقبل شهادة من إنسان . ولكن أقول هذا لتخلصوا أنتم . كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة . وأما أنا فلى شهادة أعظم من يوحنا . لأن الأعمال التى أعطانى الآب لأكملها ، هذه الأعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب قد أرسلنى . والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى. لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته . وليست لكم كلمته ثابتة فيكم . لأن الذى أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به . فتشوا الكتب ، لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية ، وهى التى تشهد لى . ولا تريدون أن تأتوا الى لتكون لكم حياة . مجداً من الناس لست أقبل . ولكنى قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله فى أنفسكم . أنا قد أتيت باسم أبى ولستم تقبلوننى . إن أتى آخر باسم نفسه ، فذلك تقبلونه . كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض ، والمجد الذى من الإله الواحد لستم تطلبونه ؟ .. لاتظنوا أنى أشكوكم إلى الآب. يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم . لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى. فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامى؟».

قال يسوع هذا أمام الكهنة والكتبة والفريسيين ، ومن ذلك اليوم قرروا أن يقتلوه ، فعاد إلى الجليل حزيناً .

٣٨

فلما وصل يسوع إلى الجليل بلغه هناك خبر مقتل يوحنا المعمدان : وذلك أن هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه فى السجن بسبب

هيروديا زوجة أخيه التي أخذها لنفسه ، لأن يوحنا كان يقول له « لا يحل أن تكون لك امرأة أخيك » ، فحنقت عليه هيروديا ، وطلبت الى هيرودس أن يقتله ، ولكنه خاف من الشعب لأنه كان يعتبره نبياً ، كما كان هيرودس نفسه يعرف أنه بار وقديس . فلم يجرؤ على قتله واكتفى بإلقائه فى السجن . حتى حدث أن كان هيرودس يحتفل بيوم مولده ، وقد أعد لذلك وليمة دعا إليها عظماء البلاد وكبار قواد الجيش ، وفى هذه الأثناء دخلت ابنة هيروديا ورقصت أمام هيرودس والمدعوين رقصاً أطربهم وأدخل السرور فى نفوسهم ، فقال هيرودس للصبية « مهما أردت اطلبى منى فأعطيك » ثم أقسم قائلا « مهما طلبت منى لأعطينك حتى نصف مملكتى » . وإذ كانت أمها قد دبرت الأمر من قبل ولقنتها ، قالت الصبية « اعطنى رأس يوحنا المعمدان على طبق » فاكتأب جداً ولكن من أجل القسم الذى فاه به أمام المتكئين معه أجابها إلى طلبها وأمر الجلاد فمضى الى يوحنا فى السجن وقطع رأسه وجاء به فى طبق وأعطاه للصبية ، وهذه أعطته لأمها .

ولما سمع تلاميذ يوحنا بما حدث لمعلمهم جاءوا ورفعوا جثته ودفنوها ثم انطلقوا وأخبروا يسوع .

أما هيرودس فحين سمع بعد ذلك بيسوع وبالآيات التى يصنعها ، ساورته الريبة وقال لحاشيته ، هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات ولذلك تعمل به القوات » ، وكان يطلب أن يراه .

٣٩

ولما عاد تلاميذ يسوع أخبروه بكل ما فعلوا منذ أرسلهم ليكرزوا باسمه فى كل فلسطين . فأخذهم ليستريحوا فى موضع خلاء . ومضوا لذلك بالسفينة

فى بحر الجليل إلى تخوم بيت صيدا . ولكن الجموع رأتهم وعرفت مقصدهم ، فانطلقت إلى هناك مشياً على الأقدام ، وهى تتراكض من كل المدن المجاورة . فلما خرج يسوع من السفينة عند الشاطىء رأى الجموع سبقتهم إلى هناك ، فتحنن على أولئك القوم لأنهم كانوا كخراف لا راعى لها ، وبدأ يحدثهم عن ملكوت الله ويشفى مرضاهم ، وقضى فى ذلك ساعات طويلة ، حتى إذا ابتدأ النهار يميل واقترب المساء، تقدم تلاميذه قائلين « الموضع خلاء والوقت قد مضى ،



« معجزة إطعام الجموع »

فاصرف الجموع لكى يمضوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاماً . « فقال لهم يسوع « لا حاجة بهم لأن يمضوا . أعطوهم أنتم ليأكلوا » فقالوا له « ليس عندنا أكثر من خمسة أرغفة وسمكتين ، إلا أن نذهب ونبتاع طعاماً لهذا الشعب كله» لأنهم كانوا نحو خمسة آلاف رجل غير النساء والأولاد . وعندئذ نظر يسوع إلى تلميذه فيلبس وقال له « من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء ؟ » ، وقد كان

يمتحنه بهذا القول ، لأن يسوع كان يعلم ما هو مزمع أن يفعل . فأجابه فيلبس قائلا « لا يكفيهم خبز بمائتى دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً » . وعندئذ طلب يسوع إليهم ان يأتوا بالخمسة أرغفة والسمكتين ، ثم أمر الجموع أن يتكئوا على العشب ، وكان فى المكان عشب كثير ، فاتكأ الرجال خمسين خمسين ، وأخذ يسوع الخمسة أرغفة والسمكتين ورفع نظره إلى السماء وباركهن ثم كسر وأعطى التلاميذ ليقدموا للجمع . وقد توافر الطعام بقوة خارقة ، فأكلوا وشبعوا جميعاً . فلما رأى الحاضرون هذه الآية التى صنعها يسوع قالوا « إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » ، وأرادوا أن يختطفوه لينادوا به ملكاً على اليهود . أما يسوع فإذ رآهم مزمعين أن يفعلوا ذلك اختفى عنهم وانصرف كى يصلى بمفرده ، طالباً إلى تلاميذه أن يأخذوا السفينة ويسبقوه فى بحر الجليل إلى كفر ناحوم .

٢٠

وظل يسوع فوق الجبل حتى إذا أقبل المساء لم يكن قد لحق بتلاميذه بعد . أما هم فقد بلغت بهم السفينة وسط البحر ، وكانوا يعانون من العاصفة ، إذ كانت الريح ضدهم . فلما كان الهزيع الأخير من الليل ، أبصروا يسوع فى الظلام ماشياً على البحر ومقبلا نحوهم ، فظنوه خيالا وصرخوا خائفين ، فقال لهم يسوع « لا تخافوا . أنا هو » ، فقال بطرس « ياسيد إن كنت أنت هو فمرنى أن يآتى اليك على الماء » . قال له « تعال » فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء متجها نحو يسوع ، ولكنه حين رأى الريح شديدة خاف وابتدأ يغرق فصرخ

قائلا « يارب نجنى » ، فمد يسوع يده وأمسك به قائلا له « ياقليل الإيمان لماذا شككت ؟ » . وحين دخل يسوع السفينة سكنت الريح وجاء الذين فى السفينة وسجدوا له فى رهبة وخشوع .



« بطرس يكاد يغرق ويسوع ينتشله »

ولما بلغت السفينة الشاطىء ، نزلوا فى أرض جنيسارت ، وإذ أبصر أهل تلك الناحية يسوع عرفوه ، وابتدأوا يحملون المرضى إليه ، وكانوا يهرعون ليلمسوا ولو هدب ثوبه ، وكل من لمسه شفى من مرضه .

٥١

وفى الغد كانت الجموع التى أكلت من الخبز والسمك تبحث عن يسوع ، فلما لم تجده أخذ كثيرون السفن الى كفر ناحوم ، وهناك وجدوه فقالوا له

« يامعلم متى صرت هنا ؟ »، أجابهم يسوع وقال« الحق الحق أقول لكم، أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم آيات ، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم. إعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان . لأن هذا الله الآب قد ختمه » . قالوا « ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟». فقال لهم « هذا هو عمل الله : أن تؤمنوا بالذى هو أرسله ». قالوا « فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك . ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المن فى البرية ، كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا » فقال لهم يسوع « الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء ، بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء ، لأن خبز الله هو النازل من السماء ، الواهب حياة للعالم » . قالوا له « ياسيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز » . فقال « أنا هو خبز الحياة . من يقبل الى فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً . ولكنى قلت لكم أنكم قد رأيتمونى ولستم تؤمنون . كل ما يعطينى الآب فإلى يقبل ، ومن يقبل إلى لا أخرجه خارجاً . لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى . وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى أن كل من أعطانى لا أتلف منه شيئاً بل أقيمه فى اليوم الأخير . لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى أن كل من يرى الإبن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » .

وتذمر بعض اليهود على يسوع لأنه قال « أنا هو الخبز الذى نزل من السماء » وقالوا « أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن عارفين بأبيه وأمه . فكيف يقول هذا إنى نزلت من السماء ؟ » فقال لهم يسوع « لا تتذمروا فيما بينكم . لا يقدر أحد أن يقبل الى ان لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى وأنا أقيمه فى اليوم الأخير. إنه مكتوب فى الأنبياء ويكون الجميع متعلمين من الله ، فكل من سمع من الآب وتعلم يقبل إلى . ليس أن أحداً رأى الآب إلا الذى من الله . هذا قد رأى الآب .

الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فله حياة أبدية . أنا هو خبز الحياة . آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت . أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد . والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم » .

فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين « كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل ؟» فقال لهم يسوع « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق . من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه . كما أرسلنى الآب الحى وأنا حى بالآب . فمن يأكلنى فهو يحيا بى . هذا هو الخبز الذى نزل من السماء . ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا . من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد » .

فقال كثيرون من تلاميذ يسوع « إن هذا الكلام صعب . من يقدر أن يسمعه ؟ » فعلم يسوع أفكارهم وقال لهم « أهذا يعثركم ؟ فإن رأيتم ابن الإنسان صاعدا الى حيث كان أولا ؟ الروح هو الذى يحيي . أما الجسد فلا يفيد شيئاً . الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة . ولكن منكم قوم لا يؤمنون . لهذا قلت لكم أنه لا يقدر أحد أن يأتى إلى إن لم يعط من أبى » .

ومن هذا الوقت رجع كثيرون من أتباع يسوع إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه .

فقال يسوع للإثنى عشر الذين اصطفاهم « ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن

تمضوا ؟ » . فأجابه سمعان بطرس قائلا « يارب إلى من نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية عندك . ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحى » .

٤٢

وفى يوم من أيام السبت كان يسوع مع تلاميذه بين الحقول ، وإذ أحس التلاميذ بالجوع ، قطفوا بعض السنابل ، وراحوا يفركونها بين أيديهم ويأكلون منها ، وكان هناك بعض الفريسيين فقالوا لهم « لماذا تفعلون ما لا يحل فعله فى السبوت ؟ » . فأجاب يسوع وقال « أما قرأتم ما فعله داوود حين جاع هو والذين معه ، كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه ، بل للكهنة فقط ؟ أو ما قرأتم فى التوراة أن الكهنة فى السبت فى الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء ؟ ولكن أقول لكم أن ههنا أعظم من الهيكل . فلو علمتهم ما هو ، إنى أريد رحمة لا ذبيحة ، لما حكمتم على الأبرياء . . السبت إنما جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت . إذن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً » .

٤٣

وفى ذلك اليوم دخل إلى المجمع وكان هناك رجل يده يابسة ، فراح الفريسيون يراقبونه كى إذا شفاه فى السبت يشتكوا عليه ، فعلم يسوع أفكارهم وقال لهم « هل يحل فى السبت فعل الخير أو فعل الشر ؟ تخليص نفس أو قتل ؟ » فسكتوا .

فقال لهم أيضاً « أى إنسان منكم يكون له خروف واحد ، فإن سقط هذا فى السبت فى حفرة . أفما يمسكه ويقيمه ؟ فالإنسان كم هو أفضل من الخروف ؟ » . ثم نادى الرجل ذا اليد اليابسة وقال له « مد يدك » فمدها فعادت صحيحة كالأخرى .
وعندئذ خرج الفريسيون من المجمع وراحوا يتشاورون عليه كى يقتلوه .
أما يسوع فانصرف من هناك مع تلاميذه إلى البحر وتبعته جموع كثيرة من الجليل ومن أورشليم ومن أدومية ومن عبر الأردن ، فعلمهم وشفى مرضاهم .

٥٤

واجتمع بيسوع بعض الكتبة والفريسيين القادمين من أورشليم ، وإذ رأوا بعضا من تلاميذه يأكلون الخبز بأيد غير مغسولة ، قالوا له لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ ، بل يأكلون خبزا بأيد غير مغسولة ؟ » فأجاب يسوع وقال لهم « حسناً تنبأ أشعياء عنكم أنتم المرائين كما هو مكتوب هذا الشعب يكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً وباطلا يعبدوننى ، وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس . لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس . غسل الأباريق والكئوس وأمور أخر كثيرة مثل هذه تفعلون . . حسناً رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم . لأن موسى قال أكرم أباك وأمك ، ومن يشتم أباً أو أماً فليمت موتاً . وأما أنتم فتقولون إن قال إنسان لأبيه أو أمه قربان أى هدية هو الذى تنتفع به منى ، فلا تدعونه فيما بعد يفعل شيئاً لأبيه أو أمه ، مبطلين كلام الله بتقليدكم الذى سلمتموه . وأموراً كثيرة مثل هذه تفعلون » . ثم دعا يسوع كل الجمع وقال لهم « إسمعوا منى كلكم وافهموا . . ليس ما يدخل الفم ينجس

الإنسان ، بل مايخرج من الفم هذا ينجس الإنسان » . حينئذ قال له تلاميذه أن الفريسيين تذمروا من كلامه ، فأجابهم قائلا « كل غرس لم يغرسه أبى السموى يقلع . أتركوهم . هم عميان قادة عميان . وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما فى حفرة » . وطلب إليه تلاميذه أن يفسر لهم الكلام الذى قاله للفريسيين ، فقال لهم « أفأنتم أيضاً هكذا غير فاهمين ؟ أما تفهمون أن كل ما يدخل الإنسان من خارج لا يقدر أن ينجسه ، لأنه لا يدخل إلى قلبه . . أما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر ، وذاك ينجس الإنسان . . لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة : زنا . فسق . قتل . سرقة . طمع . خبث . مكر . عهارة . عين شريرة . تجديف . كبرياء . جهل . . جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان » .

٤٥

وأوصى يسوع تلاميذه ألا يكفوا عن الصلاة لله ، وأن تكون صلاتهم فى حرارة ولجاجة وإلحاح . قائلا لهم « من منكم يكون له صديق ويمضى إليه نصف الليل ويقول له يا صديق أقرضنى ثلاثة أرغفة ، لأن صديقاً لى جاءنى من سفر وليس لى ما أقدم له . فيجيب ذلك من داخل ويقول لا تزعجنى . الباب مغلق الآن وأولادى معى فى الفراش . لا أقدر أن أقوم وأعطيك . أقول لكم وإن كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه ، فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر مايحتاج . وأنا أقول لكم اسألوا تعطوا ، إطلبوا تجدوا . إقرعوا يفتح لكم . لأن كل من يسأل يأخذ . ومن يطلب يجد . ومن يقرع يفتح له . فمن منكم وهو أب يسأله ابنه خبزاً أفيعطيه حجراً ؟ أو سمكة أفيعطيه حية بدل السمكة ؟ أو إذا سأله



« إقرعوا يفتح لكم .. »

بيضة أفيعطيه عقرباً ؟ فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة ، فكم بالحرى الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه ».

وضرب لهم مثلا آخر قائلا « كان فى مدينة قاض لا يخاف الله ولا يهاب إنساناً . وكان فى تلك المدينة أرملة . وكانت تأتى إليه قائلة أنصفنى من خصمى ، وكان لا يشاء إلى زمان . ولكن بعد ذلك قال فى نفسه وإن كنت لا أخاف الله ولا أهاب إنساناً ، فإنى لأجل أن هذه الأرملة تزعجنى أنصفها . لئلا تأتى دائماً فتقمعنى .. إسمعوا ما يقول قاضى الظلم.. أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلا وهو متمهل عليهم ؟ أقول لكم أنه ينصفهم سريعاً » .

وأوصى يسوع تلاميذه أن يكونوا متواضعين فى صلاتهم ، وضرب لهم هذا المثل : « إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا ، واحد فريسى والآخر عشار . أما الفريسى فوقف يصلى فى نفسه هكذا : اللهم أنا أشكرك أنى لست مثل باقى الناس الخاطئين الظالمين الزناة . ولا مثل هذا العشار ، أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل مااقتنيته . وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء . بل قرع على صدره قائلا اللهم ارحمنى أنا الخاطىء . أقول لكم أن هذا نزل إلى بيته مبرراً دون ذاك. لأن كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع».

٢٦

وأحضروا ذات يوم ليسوع مجنوناً أعمى وأخرس ، فشفاه ، وعندئذ ارتد إليه عقله وأبصر وتكلم ، فبهت كل الحاضرين وقالوا « ألعل هذا هو المسيح ابن

داود ؟ » . أما الفريسيون فقالوا « هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين » . فقال لهم يسوع « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب . وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت . فإن كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته ، فكيف تثبت مملكته ؟ وإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين ، فأبناؤكم بمن يخرجون ؟ لذلك هم يكونون قضاتكم . ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله. أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى وينهب أمتعته إن لم يربط القوى أولا وحينئذ ينهب بيته ؟ من ليس معى فهو على . ومن لا يجمع معى فهو يفرق . لذلك أقول لكم كل خطية وتجديف يغفر للناس ، وأما التجديف على الروح القدس فلن يغفر للناس . ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له . وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى . إجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً . أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها ردياً. لأن من الثمر تعرف الشجرة . يا أولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار . فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم . الإنسان الصالح من الكنز الصالح فى القلب يخرج الصالحات. والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور. ولكن أقول لكم أن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين . لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان » .

وفيما يسوع يتكلم بهذا رفعت امرأة من الجمع صوتها وقالت له « طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما » . أما هو فقال « بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » .

٤٧

وقال قوم من الكتبة والفريسيين ليسوع « يا معلم نريد أن نرى منك آية ».

فأجاب وقال لهم « جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي . لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال . رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه ، لأنهم تابوا بمناداة يونان . وهوذا أعظم من يونان ههنا . ملكة التيمن ستقوم فى الدين مع هذا الجيل وتدينه ، لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان . وهوذا أعظم من سليمان ههنا . إذا خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز فى أماكن ليس فيها ماء . يطلب راحة ولا يجد ثم يقول أرجع إلى بيتى الذى خرجت منه ، فيأتى ويجده فارغاً مكنوساً مزيناً ، ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أخر أشر منه ، فتدخل وتسكن هناك، فتصير أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله » ثم قال « ليس أحد يوقد سراجا ويضعه فى خفية ولا تحت المكيال ، بل على المنارة لكى ينظر الداخلون النور . سراج الجسد هو العين . فمتى كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً . ومتى كانت شريرة فجسدك يكون مظلما . أنظر إذن لئلا يكون النور الذى فيك ظلمة . فإن كان جسدك كله نيراً ليس فيه جزء مظلم يكون نيراً كله كما حينما يضيء لك السراج بلمعانه » .

٤٨

وفيما يسوع يتكلم دعاه أحد الفريسيين ليتغذى فى بيته ، فدخل واتكأ ، وإذ رأى الفريسى ومن معه من أقرانه أن يسوع لم يغتسل قبل الغذاء ، دهشوا لذلك ، فعلم يسوع أفكارهم وقال لهم « أنتم أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس والقصعة وأما باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثا . يا أغبياء . أليس الذى صنع الخارج

صنع الداخل أيضا ؟ بل اعطوا ما عندكم صدقة ، فهوذا كل شيء يكون نقيا لكم . ولكن ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تعشرون النعنع والسذاب وكل بقل وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله . كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك . ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول فى المجامع والتحيات فى الأسواق ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون » . وعندئذ قال له واحد من الناموسيين « يا معلم حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضاً » . فقال « وويل لكم أنتم أيها الناموسيون لأنكم تحملون الناس أحمالا عسرة الحمل وأنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم . ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم . إذن تشهدون وترضون بأعمال آبائكم ، لأنهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم . لذلك أيضا قالت حكمة الله إنى أرسل إليهم أنبياء ورسلا فيقتلون منهم ويطردون . لكى يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم : من دم هابيل إلى دم زكريا الذى أهلك بين المذبح والبيت . نعم أقول لكم أنه يطلب من هذا الجيل . ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة ، مادخلتم أنتم والداخلون منعتموهم » .

وإذ قال يسوع هذا ، تذمر الكتبة والفريسيون واشتد حنقهم وراحوا يصادرونه على أمور كثيرة ، ويراقبونه عسى أن يصطادوا كلمة منه يشتكون بها عليه .

٤٩

أما يسوع فالتفت إلى تلاميذه قائلا « تحرزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذى هو الرياء . فليس مكتوم لن يستعلن ، ولا خفى لن يعرف . لذلك كل

ما قلتموه فى الظلمة يسمع فى النور ، وما كلمتم به الأذن فى المخادع ، ينادى به على السطوح . ولكن أقول لكم يا أحبائى لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر . بل أريكم ممن تخافون . خافوا من الذى بعد ما يقتل. له سلطان أن يلقى فى جهنم . نعم أقول لكم من هذا خافوا . أليست خمسة عصافير تباع بفلسين ، وواحد منها ليس منسياً أمام الله؟ بل شعور رؤوسكم أيضا جميعها محصاة .فلا تخافوا . أنتم أفضل من عصافير كثيرة . وأقول لكم كل من اعترف بى قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله .ومن أنكرنى قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله . وكل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له . وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له . ومتى قدموكم إلى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف أو بم تحتجون أو تقولون . لأن الروح القدس يعلمكم فى تلك الساعة ما يجب أن تقولوه » .

ثم قال يسوع لتلاميذه « أنظروا وتحفظوا من الطمع . فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياته فى أمواله » ، وضرب لهم مثلا قائلا « إنسان غنى أخصب كورته ، ففكر فى نفسه قائلا ماذا أعمل لأن ليس لى موضع أجمع فيه أثمارى . وقال أعمل هذا . أهدم مخازنى وأبنى أعظم ، وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى ، وأقول لنفسى يا نفسى لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة . إستريحى وكلى واشربى وافرحى . فقال له الله يا غبى هذه الليلة تطلب نفسك منك ، فهذه التى اعددتها لمن تكون ؟ هكذا الذى يكنز لنفسه وليس هو غنيا لله . . من أجل هذا أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا للجسد بما تلبسون . الحياة أفضل من الطعام ، والجسد أفضل من اللباس . تأملوا الغربان . إنها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن والله يقيتها . كم انتم بالأحرى أفضل من الطيور . ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة ؟ فإن كنتم لا تقدرون

ولا على الأصغر فلماذا تهتمون بالبواقى ؟ تأملوا الزنابق كيف تنمو . لا تتعب ولا تغزل . ولكن أقول لكم أنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها . فإن كان العشب الذى يوجد اليوم فى الحقل ويطرح غدا فى التنور يلبسه الله هكذا فكم بالحرى يلبسكم أنتم يا قليلى الإيمان . فلا تطلبوا انتم ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا ، فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم . وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه . بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم . . لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر ان يعطيكم الملكوت . بيعوا مالكم واعطوا صدقة . إعملوا لكم اكياسا لا تفنى وكنزا لا ينفد فى السموات ، حيث لا يقرب سارق ولا يبلى سوس . لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضا . لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة . وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس ، حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت . طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين . الحق أقول لكم أنه يتمنطق ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم . وإن أتى فى الهزيع الثانى أو أتى فى الهزيع الثالث ووجدهم هكذا فطوبى لأولئك العبيد . وإنما اعلموا هذا ، أنه لو عرف رب البيت فى أية ساعة يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب . فكونوا أنتم إذن مستعدين ، لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان » .

فقال له بطرس « يارب ألنا تقول هذا المثل أم للجميع أيضاً ؟ » . قال يسوع « فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على خدمه ليعطيهم العلوفة فى حينها . طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا . بالحق أقول لكم أنه يقيمه على جميع أمواله . ولكن إن قال ذلك العبد فى قلبه سيدى يبطىء قدومه ، فيبتدىء يضرب الغلمان والجوارى ، ويأكل ويشرب ويسكر ، يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفها فيقطعه ويجعل نصيبه مع الخائنين . وأما ذلك العبد الذى يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب

إرادته فيضرب كثيراً . ولكن الذى لا يعلم ويفعل ما يستحق ضربات يضرب قليلا . فكل من أعطى كثيراً يطلب منه كثير ، ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر » . . .

ثم قال أيضاً للجموع « إذا رأيتم السحاب تطلع من المغارب فللوقت تقولون أنه يأتى مطر فيكون هذا . وإذا رأيتم ريح الجنوب تهب تقولون أنه سيكون حر فيكون . يا مراؤون تعرفون أن تميزوا وجه الأرض والسماء . وأما هذا الزمان فكيف لا تميزونه . ولماذا لا تحكمون بالحق من قبل نفوسكم . حينما تذهب مع خصمك إلى الحاكم ابذل الجهد وأنت فى الطريق لتتخلص منه ، لئلا يجرك إلى القاضى ، ويسلمك القاضى إلى الحاكم فيلقيك الحاكم فى السجن . أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير » .

٥٠

ثم خرج يسوع من هناك ومضى إلى نواحى صور وصيداء ، وإذا امرأة كنعانية تتقدم نحوه وتخر عند قدميه صارخة « إرحمنى ياسيد ، يابن داوود . إبنتى مجنونة جداً » فقال لها يسوع يمتحنها « ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » فقالت المرأة « نعم ياسيد ، والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها » . حينئذ أجاب يسوع وقال لها « يا إمرأة عظيم إيمانك ، ليكن لك كما تريدين » ، فشفيت ابنتها من تلك الساعة .

٥١

ثم انتقل يسوع من هناك ، ومضى إلى داخل المدن العشر المتاخمة لبحر الجليل ، وصعد إلى الجبل حيث جلس هناك فاجتمعت لديه أفواج كثيرة من الناس وجاءوا إليه بمرضاهم وطرحوهم عند قدميه فشفاهم . وقد بهت الناس حين رأوا العمى يبصرون والخرس يتكلمون ، والمقعدون يمشون ، فكانوا يمجدون الله . وكانت الجموع المحتشدة هناك تبلغ الأربعة آلاف ، وقد مكثوا مع يسوع ثلاثة أيام لا يبارحونه ، فأشفق عليهم ، وأعطاهم ليأكلوا كما فعل فى المرة السالفة . ثم صرف الجموع .

٥٢

وذهب إلى نواحى قيصرية فيلبس . وفى الطريق سأل تلاميذه قائلا « من يقول الناس إنى أنا ؟ » فقالوا « قوم يوحنا المعمدان ، وآخرون إيليا . وآخرون أرميا أو واحد من الأنبياء » . فقال لهم « وأنتم من تقولون أنى أنا ؟ » . فأجاب سمعان بطرس وقال « أنت هو المسيح ابن الله الحى » . فأجاب يسوع وقال له « طوبى لك ياسمعان بن يونا . إن لحماً ودماً لم يعلن لك . لكن أبى الذى فى السموات ، وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل

ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات » .

ثم صارح يسوع تلاميذه بأنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ، حيث يلاقى الهوان من الشيوخ والكتبة ورؤساء الكهنة ثم يقتلونه . وبعد ثلاثة أيام يقوم . فقال بطرس « حاشاك يارب . لا يكون لك ذلك » فقال له يسوع « اذهب عنى ياشيطان ، لأنك لاتهتم بما لله لكن بما للناس » . ثم التفت إلى تلاميذه قائلا « إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى . فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها . ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها . لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه . أو ماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه . فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله . الحق أقول لكم أن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتياً فى ملكوته » .

٥٣

وبعد ستة أيام من هذا الحديث أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا ، وصعد بهم إلى جبل عال ليصلى ، وفيما هو يصلى تغيرت هيئته أمامهم وأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالثلج ، ورأوا معه رجلين علموا أنهما موسى وإيليا ، وكانوا يتكلمون معاً عن الأحداث التى ستقع فى أورشليم . فتملك الخوف التلاميذ وقال بطرس بغير وعى « يا معلم جيد أن نكون ههنا ، فلنضع هنا ثلاث مظال ، لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة » . وفيما هو يتكلم ،

إذا سحابة مضيئة تظللهم وصوت من السحابة يقول « هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت . له اسمعوا » . فسقط التلاميذ من الذعر على وجوههم . فجاء يسوع ولمسهم قائلا « قوموا ولاتخافوا » . فرفعوا أعينهم ، ولم يروا أحداً الا يسوع. وفيما هم نازلون من الجبل ، وقد تأكدوا أنه هو المسيح المنتظر ، سألوه قائلين « فلماذا يقول الكتبة أن إيليا ينبغى أن يأتى أولا ؟ » . فأجاب يسوع وقال لهم إن إيليا يأتى أولا ويرد كل شيء . ولكنى أقول لكم أن ايليا قد جاء ولم يعرفوه ، بل عملوا به كل ما أرادوا . كذلك ابن الإنسان أيضا سوف يتألم منهم » . حينئذ فهم التلاميذ أن إيليا الذى تنبأت بمجيئه الكتب هو يوحنا المعمدان .

٥٦

وبعد أن نزلوا من الجبل تقدم التلاميذ قليلا ، حتى إذا لحق يسوع بهم رأى جمعاً كثيراً حولهم وكتبة يحاورونهم . فما أبصره الجمع حتى ركضوا وسلموا عليه وتقدم إليه واحد منهم قائلا « يامعلم أطلب إليك . أنظر إلى إبنى.فإنه وحيد لى: وها روح يأخذه فيصرخ بغتة فيصرعه مزبداً وبالجهد يفارقه مرضضاً إياه . وطلبت من تلاميذك أن يخرجوه فلم يقدروا » . فقال يسوع « أيها الجيل غير المؤمن إلى متى أكون معكم ؟ إلى متى أحتملكم ؟ قدموه إلى » ، فقدموه إليه ، فلما رآه للوقت صرعه الروح فوقع على الأرض يتمرغ ويزبد . فسأل يسوع أباه « كم من الزمان منذ أصابه هذا ؟ » فقال « منذ صباه . وكثيراً ما ألقاه فى النار وفى الماء ليهلكه . لكن إن كنت تستطيع شيئاً فتحنن علينا وأعنا » . فقال له

يسوع « إن كنت تستطيع أن تؤمن ، كل شيء مستطاع للمؤمن » . فصرخ أبو الولد وقد انهمرت دموعه قائلا « أؤمن يا سيد فأعن عدم إيمانى » . فانتهر يسوع الروح النجس قائلا « أيها الروح الأخرس الأصم أنا آمرك. أخرج منه ولا تدخله أيضاً » . فصرخ وصرعه بعنف وخرج منه تاركا إياه بلا حراك ، حتى قال كثيرون أنه مات . وعندئذ أمسكه يسوع بيديه وأقامه فقام . ثم تقدم التلاميذ بعد ذلك إلى يسوع على انفراد وقالوا له « لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه؟ » فقال لهم يسوع « لعدم إيمانكم . فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » .

٥٥

وحين بلغوا كفر ناحوم تقدم التلاميذ من يسوع وسألوه قائلين « من هو أعظم فى ملكوت السموات ؟ » فدعا يسوع إليه ولداً وأقامه فى وسطهم ،وقال « الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات . فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم فى ملكوت السموات . ومن قبل ولداً واحداً مثل هذا باسمى فقد قبلنى . ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى فخير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى ويغرق فى لجة البحر . ويل للعالم من العثرات . فلا بد أن تأتى العثرات . ولكن ويل لذلك الإنسان الذى به تأتى العثرة . فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك . خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى فى النار الأبدية ولك يدان أو رجلان .

وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك . خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى فى جهنم النار ولك عينان . أنظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار . لأنى أقول لكم أن ملائكتهم فى السموات، كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات. لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يخلص ما قد هلك . ماذا تظنون . إن كان لإنسان مائة خروف وضل واحد منها أفلا يترك التسعة والتسعين على الجبال ويذهب يطلب الضال ؟ وإن اتفق أن يجده فالحق أقول لكم أنه يفرح به أكثر من التسعة والتسعين التى لم تضل . هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار » .

٥٦

وقال يسوع لتلاميذه « إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما . إن سمع منك فقد ربحت أخاك . وإن لم يسمع خذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة . وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة . وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار . الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء . وأقول لكم أيضاً إن اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه ، فإنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات ، لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » حينئذ تقدم اليه بطرس وقال « يارب كم مرة يخطىء إلى أخى وأنا أغفر له ؟ هل إلى سبع مرات ؟ » قال يسوع له « لا أقول لك إلى سبع مرات ، بل إلى سبعين مرة . لذلك يشبه

ملكوت السموات إنساناً ملكا أراد أن يحاسب عبيده . فلما ابتدأ فى المحاسبة قدم إليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة . وإذ لم يكن له ما يوفى أمر سيده أن يباع هو وامرأته وأولاده وكل ماله ويوفى الدين . فخر العبد وسجد له قائلا يا سيد تمهل على فأوفيك الجميع . فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين . ولما خرج ذلك العبد وجد واحداً من العبيد رفقائه كان مديوناً له بمائة دينار ، فأمسكه واخذ بعنقه قائلا أوفنى مالى عليك . فخر العبد رفيقه على قدميه وطلب اليه قائلا تمهل على فأوفيك الجميع . فلم يرد بل مضى وألقاه فى سجن حتى يوفى الدين . فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان حزنوا جداً وأتوا وقصوا على سيدهم كل ما جرى فدعاه حينئذ سيده وقال له أيها العبد الشرير ، كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت إلى . أفما كان ينبغى أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا ؟ وغضب سيده وسلمه إلى المعذبين حتى يوفى كل ما كان له عليه . فهكذا أبى السموى يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته » .

٥٧

وقال له يوحنا « يا معلم رأينا واحداً يخرج شياطين باسمك وهو ليس يتبعنا فمنعناه لأنه ليس يتبعنا » . فقال يسوع « لا تمنعوه ، لأنه ليس أحد يصنع قوة باسمى ويستطيع سريعا أن يقول على شرا لأن من ليس علينا فهو معنا . لأن من سقاكم كأس ماء باسمى لأنكم للمسيح فالحق أقول لكم أنه لا يضيع أجره » .

٥٨

وحين أقبل عيد المظال ، كثر الكلام عن يسوع بين الجموع فى أورشليم ، فكان بعضهم يقول إنه صالح ، وبعضهم الآخر يقول أنه يضل الشعب ، ولكن أحداً لم يكن يجرؤ على أن يتكلم عنه جهاراً ، لأن اليهود كانوا يبحثون عنه ليقتلوه .

وفى هذه الأثناء صعد يسوع إلى الهيكل ، وهناك بدأ يعلم الجموع ، فتهامس كثيرون قائلين « كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم ؟ » . فقال لهم يسوع « تعليمى ليس لى بل الذى أرسلنى . إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى . من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه . وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم . أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس ؟ لماذا تطلبون أن تقتلونى؟ .. عملا واحداً عملت فتتعجبون جميعا . لهذا أعطاكم موسى الختان . ليس أنه من موسى بل من الآباء . ففى السبت تختنون الإنسان فإن كان الإنسان يقبل الختان فى السبت لئلا ينقض ناموس موسى ، أفتسخطون على لأنى شفيت إنسانا كله فى السبت ؟ لا تحكموا حسب الظاهر بل احكموا حكما عادلا » .

فقال قوم من أهل أورشليم « أليس هذا هو الذى يطلبون أن يقتلوه ؟ وها هو يتكلم جهارا ولا يقولون له شيئا . ألعل الرؤساء عرفوا يقينا أن هذا هو المسيح حقا . ولكن هذا نعلم من أين هو . وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو » . فقال لهم يسوع « تعرفوننى وتعرفون من أين أنا . ومن نفسى

لم آت . بل الذى أرسلنى هو حق . الذى أنتم لستم تعرفونه . أنا أعرفه لأنى منه وهو أرسلنى » .

ولكن كثيرين آمنوا به قائلين « ألعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التى عملها هذا ؟ » . وحين سمع الفريسيون الناس يقولون هذا تشاوروا مع رؤساء الكهنة ليقتلوه ، فقال لهم يسوع « أنا معكم زمنا يسيرا بعد ، ثم أمضى إلى الذى أرسلنى . ستطلبوننى ولا تجدوننى ، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » . فلم يفهم اليهود كلامه ، وراحوا يتساءلون فيما بينهم قائلين « إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن ؟ ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين ؟ ما هذا القول الذى قال : ستطلبوننى ولا تجدوننى ، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا ؟ » .

وفى اليوم الأخير من العيد ، وهو اليوم الذى يأتى فيه الكهنة بالماء من بركة سلوام ، قال يسوع للجموع « إن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب . من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى » . فكثيرون من الجمع حين سمعوا هذا الكلام قالوا « هذا بالحقيقة هو النبى » . وقال آخرون « هذا هو المسيح » . وقال فريق ثالث « ألعل المسيح من الجليل يأتى ؟ ألم يقل الكتاب أنه من نسل داوود ، ومن بيت لحم القرية التى كان داوود فيها يأتى المسيح ؟ » . فحدث انشقاق فى الجمع بسببه . وكان رؤساء الكهنة والفريسيين قد أرسلوا بعض خدمهم ليمسكوه ، ولكن هؤلاء عادوا إليهم بدونه ، فقالوا لهم « لماذا لم تأتوا به ؟ » فأجابوا قائلين « لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان » . قالوا لهم « ألعلكم أنتم أيضا قد ضللتم ؟ ألعل أحدا من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به ؟ ولكن هذا الشعب الذى لا يفهم الناموس هو ملعون » . وعندئذ خاطبهم واحد منهم وهو نيقوديموس الذى سبق أن جاء ليلا إلى يسوع ، قائلا لهم « ألعل

ناموسنا يدين إنسانا لم يسمع منه أولا ويعرف ماذا فعل ؟ » فقالوا له « ألعلك أنت أيضا من الجليل ؟ فتش وانظر . إنه لم يقم نبي من الجليل » .

أما يسوع فكان عندئذ قد انصرف ومضى إلى جبل الزيتون .

٥٩

وفى صبيحة اليوم التالى عاد يسوع إلى الهيكل فأحاطت به الجموع . وفيما هو يعلمهم تقدم نحوه الكتبة والفريسيون ، وقد جاءوا معهم بامرأة أمسكت فى زنا



« يسوع والمرأة الخاطئة »

وأقاموها أمامه قائلين « يا معلم هذه المرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل . وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم . فماذا تقول أنت ؟ » . وكانوا يقصدون من ذلك أن يمسكوا عليه سقطة تعطيهم المبرر لأن يقتلوه . أما يسوع فانحنى وراح يكتب بإصبعه على الأرض . ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم « من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر » . ثم انحنى ثانية وراح يكتب على الأرض . وأما هم فلما سمعوا قوله وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحداً واحداً ، وبقى يسوع وحده والمرأة واقفة فى الوسط . فلما نظر يسوع ولم يجد أحداً سوى المرأة قال لها « يا امرأة أين المشتكون عليك ؟ أما أدانك أحد ؟ » فقالت « لا أحد يا سيد » فقال لها يسوع « ولا أنا أدينك . اذهبى ولا تخطئ مرة أخرى » .

٦٥

وكلم يسوع الجموع فى الهيكل قائلا « أنا هو نور العالم . من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة ، بل يكون له نور الحياة » فقال له الفريسيون « أنت تشهد لنفسك ، شهادتك ليست حقاً » . فأجابهم يسوع قائلا « وإن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق ، لأنى أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب . وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتى ولا إلى أين أذهب . أنتم حسب الجسد تدينون . أما أنا فلست أدين أحداً . وإن كنت أنا أدين فدينونتى حق ، لأنى لست وحدى بل أنا والآب الذى أرسلنى . وأيضاً فى ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق . أنا هو الشاهد لنفسى ، ويشهد لى الآب الذى أرسلنى » . فقالوا له « أين هو أبوك » . قال يسوع « لستم تعرفوننى

أنا ولا أبى لو عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً . أنا أمضى وستطلبوننى وتموتون فى خطيتكم . حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا . أنتم من أسفل . أما أنا فمن فوق . أنتم من هذا العالم . أما أنا فلست من هذا العالم . فقلت لكم أنكم تموتون فى خطايا كم . لأنكم إن لم تؤمنوا أنى أنا هو تموتون فى خطايا كم . أنا من البدء ما أكلمكم أيضا به . إن لى أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم . لكن الذى أرسلنى هو حق . وأنا ما سمعته منه ، فهذا أقول للعالم . متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنى أنا هو ، ولست أفعل شيئاً من نفسى ، بل أتكلم بهذا كما علمنى أبى . والذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى الآب وحدى ، لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه » .

وإذ قال يسوع هذا آمن به كثيرون من اليهود ، فقال للذين آمنوا به « إنكم إن ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى ، وتعرفون الحق والحق يحرركم » . أجابوه قائلين « إننا ذرية ابراهيم ولم نستعبد لأحد قط . كيف تقول أنت أنكم تصيرون أحراراً » . فقال يسوع « الحق الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية . والعبد لا يبقى فى البيت الى الأبد . أما الإبن فيبقى الى الأبد . فإن حرركم الإبن فبالحقيقة تكونون أحراراً . أنا عالم أنكم ذرية ابراهيم . لكنكم تطلبون أن تقتلونى لأن كلامى لا موضع له فيكم . أنا أتكلم بما رأيت عند أبى وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم » . قالوا « أبونا هو ابراهيم » . فقال لهم « لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم . ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله . هذا لم يعمله ابراهيم . أنتم تعملون أعمال أبيكم » . قالوا « إننا لم نولد من زنا . لنا أب واحد وهو الله » . فقال لهم يسوع « لو كان الله أبوكم لكنتم تحبوننى لأنى خرجت من قبل الله وأتيت . لأنى لم آت من نفسى بل ذاك أرسلنى . لماذا لا تفهمون كلامى ؟ لأنكم لا تقدروا أن تسمعوا قولى . أنتم من أب هو إبليس . وشهوات أبيكم

تريدون أن تعملوا. ذلك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب، فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب. وأما أنا فلأنى أقول الحق لستم تؤمنون بى. من منكم يبكتنى على خطية؟ فإن كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بى؟ الذى من الله يسمع كلام الله. لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله». قال اليهود« ألسنا نقول حسناً أنك سامرى وبك شيطان». فقال لهم« أنا ليس بى شيطان، لكنى أكرم أبى وأنتم تهينوننى. أنا لست أطلب مجدى. يوجد من يطلب ويدين. الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت إلى الأبد». فقال له اليهود« الآن علمنا أن بك شيطاناً. قد مات ابراهيم والأنبياء وأنت تقول أن كل أحد يحفظ كلامى فلن يذوق الموت إلى الأبد. ألعلك أعظم من أبينا الذى مات، والأنبياء ماتوا. من تجعل نفسك؟». أجاب يسوع قائلا «إن كنت أمجد نفسى فليس مجدى شيئاً. أبى هو الذى يمجدنى. الذى تقولون أنتم أنه الهكم ولستم تعرفونه. وأما أنا فأعرفه. وإن قلت إنى لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً. لكنى أعرفه وأحفظ قوله. أبوكم ابراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح». فقال له اليهود« ليس لك خمسون سنة بعد. أفرأيت ابراهيم؟» فقال لهم يسوع« الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن»، فرفعوا حجارة ليرجموه، ولكنه تركهم وغادر الهيكل.

٦١

وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته، فسأله تلاميذه قائلين« يامعلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى؟» فقال لهم يسوع« لا هذا أخطأ ولا

أبواه ، لكن لتظهر أعمال الله فيه . ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى مادام نهار . يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل مادمت فى العالم فأنا نور العالم » .

قال هذا ثم تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عينى الأعمى ، وقال له « اذهب اغتسل فى بركة سلوام » . فمضى واغتسل وأتى بصيراً . فقال الجيران والذين كانوا يرونه ويعرفون أنه أعمى « أليس هذا هو الذى كان يجلس ويستعطى ؟ » . قال البعض أنه هو . وقال آخرون أنه يشبهه . أما هو فقال « إنى أنا هو » . قالوا له « كيف انفتحت عيناك ؟ » . فقال « إنسان يقال له يسوع صنع طيناً وطلى عينى وقال لى اذهب إلى بركة سلوام واغتسل ، فمضيت واغتسلت فأبصرت » ، فقالوا له « أين ذاك ؟ » . قال « لا أعلم » . فأتوا به إلى الفريسيين فسألوه كيف أبصر ، فقال لهم إن يسوع وضع طيناً على عينيه ثم اغتسل فأبصر . فقال بعض الفريسيين « هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت » ، إذ كان يسوع قد صنع هذه الآية فى يوم سبت . وقال آخرون « كيف يقدر إنسان خاطىء أن يعمل مثل هذه الآيات ؟ » . وهكذا حدث انشقاق بينهم فقالوا للأعمى « ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتح عينيك ؟ » فقال « إنه نبى » . وعندئذ تملكهم الغيظ وقالوا إن هذا ليس هو الذى كان أعمى ، وجاءوا بأبويه وسألوهما قائلين « أهذا ابنكما الذى تقولان أنه ولد أعمى ، فكيف يبصر الآن » . فقال أبواه « نعلم أن هذا ابننا وأنه ولد أعمى . وأما كيف يبصر الآن فلا نعلم . أو من فتح عينيه فلا نعلم . هو كامل السن اسألوه فهو يتكلم عن نفسه » وقد قال أبواه ذلك لأنهما كانا يخافان من اليهود ، إذ كان اليهود قد اتفقوا على أن من يعترف بيسوع أنه المسيح يخرجونه من المجمع . وعندئذ أراد اليهود أن يقنعوا الذى كان أعمى بالمكر واللين أن يعدل عن شهادته ، فقالوا له « أعط مجداً لله . نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطىء » فقال لهم « أخاطىء هو ؟ لست أعلم . إنما

أعلم شيئاً واحداً أنى كنت أعمى والآن أبصر » . فعادوا يقولون له « ماذا صنع بك ؟ كيف فتح عينيك ؟ » أجابهم « قد قلت لكم ولم تسمعوا . لماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً ؟ ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ ؟ » . فشتموه وقالوا له « أنت تلميذ ذاك . وأما نحن فإننا تلاميذ موسى . نحن نعلم أن موسى كلمة الله . وأما هذا فما نعلم من أين هو » . أجاب الرجل وقال لهم « إن فى هذا عجباً . إنكم لستم تعلمون من أين هو ، وقد فتح عينى . ونعلم أن الله لا يسمع للخطاة . ولكن إن كان أحد يتقى الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع . منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عينى مولود أعمى . لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً » . فقالوا له « فى الخطايا ولدت أنت بجملتك وأنت تعلمنا ؟ » ، ثم أخرجوه . وفى الخارج رآه يسوع فقال له « أتؤمن بابن الله ؟ » قال « من هو ياسيد لأؤمن به ؟ » فقال له يسوع « قد رأيته والذى يتكلم معك هو هو » . فقال « أؤمن يا سيد » وسجد له .

وقال يسوع للموجودين « لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون » . فقال الفريسيون « ألعلنا نحن أيضاً عميان ؟ » قال لهم يسوع « لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية . ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية . الحق الحق أقول لكم إن الذى لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر ، فذاك سارق ولص . وأما الذى يدخل من الباب فهو راعى الخراف : لهذا يفتح البواب والخراف تسمع صوته فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها . ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته . وأما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغرباء . . الحق الحق أقول لكم إنى أنا باب الخراف . جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص . ولكن الخراف لم تسمع لهم . أنا هو



« أنا هو الراعى الصالح .. »

الباب . إن دخل بى أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى . السارق لا يأتى إلا ليسرق ويذبح ويهلك . وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل . أنا هو الراعى الصالح . والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف . وأما الذى هو أجير وليس راعياً، الذى ليست الخراف له، فيرى الذئب مقبلا ويترك الخراف ويهرب ، فيخطف الذئب الخراف ويبددها . والأجير يهرب لأنه أجير ولا يبالى بالخراف . أما أنا فإنى الراعى الصالح وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى، كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب . وأنا أضع نفسى عن الخراف. ولى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ، ينبغى أن آتى بتلك أيضاً فتسمع صوتى وتكون واحدة وراع واحد . لهذا يحبنى الآب لأنى أضع نفسى لآخذها أيضاً . ليس أحد يأخذها منى بل أضعها أنا من ذاتى . لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضاً . هذه الوصية قبلتها من أبى » .

وإذ سمع اليهود هذا الكلام من يسوع حدث انشقاق كذلك بينهم . فقال كثيرون منهم « به شيطان وهو يهذى . لماذا تستمعون له ؟ » . وقال آخرون « ليس هذا كلام من به شيطان » .

أما يسوع فقد ترك أورشليم وعاد إلى الجليل.

٦٢

وفى ذلك الحين جاء قوم وأخبروا يسوع عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم . فقال لهم يسوع « أتظنون أن هؤلاء الجليليين كانوا خطاة أكثر من كل الجليليين لأنهم كابدوا مثل هذا ؟ كلا أقول . بل إن لم تتوبوا فجميعكم

كذلك تهلكون . أو أولئك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج فى سلوام وقتلهم، أتظنون أن هؤلاء كانوا مذنبين أكثر من جميع الناس الساكنين فى أورشليم ؟ كلا أقول لكم . بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » .

ثم ضرب لهم مثلا قائلا « كانت لواحد شجرة تين مغروسة فى كرمة . فأتى يطلب فيها ثمراً ولم يجد . فقال للكرام هوذا ثلاث سنين آتى أطلب ثمراً فى هذه التينة ولم أجد . إقطعها . لماذا تبطل الأرض أيضاً ؟ » فاجاب وقال له « ياسيد اتركها هذه السنة أيضاً حتى أنقب حولها وأضع سماداً فإن صنعت ثمراً وإلا ففيما بعد تقطعها » .

٦٣

وتقدم بعض الفريسيين إلى يسوع وهو فى الجليل قائلين له « اخرج واذهب من ههنا ، لأن هيرودس يريد أن يقتلك » فقال لهم « امضوا قولوا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين وأشفى اليوم وغداً وفى اليوم الثالث أكمل . بل ينبغى أن أسير اليوم وغدا وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً عن أورشليم » .

٦٤

وبعد ذلك عين يسوع سبعين تلميذاً آخرين وأرسلهم اثنين اثنين إلى كل مدينة وقرية حيث كان هو مزمعاً أن يذهب ، كى يذيعوا بين الناس تعاليمه .

ويشفوا المرضى باسمه ويبشروا باقتراب ملكوت السموات .

ثم خرج من الجليل متجهاً إلى أورشليم . وإذ كان حزيناً من جراء عدم إيمان مدن الجليل التى صنع فيها أكثر آياته ، خاطبها وهو فى الطريق قائلا « ويل لك يا كورزين . ويل لك يا بيت صيدا . لأنه لو صنعت فى صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً جالستين فى المسوح والرماد . ولكن صور وصيدا يكون لهما فى الدين حالة أكثر احتمالا مما لكما . وأنت يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية » .

وفى الطريق دخل يسوع قرية للسامريين ولكن أهلها لم يقبلوه فغضب تلميذاه يعقوب ويوحنا وقالا « يارب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضا ؟ » ، فانتهرهما يسوع قائلا « لستما تعلمان من أى روح أنتما . لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص » .

٦٥

وفيما هم متجهون إلى أورشليم التفت يسوع إلى الجموع التى كانت ترافقه قائلا « إن كان أحد يأتى إلى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته حتى نفسه أيضاً ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً . ومن لا يحمل صليبه ويأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً . ومن منكم وهو يريد أن يبنى برجاً ولا يجلس أولا ويحسب النفقة هل عنده ما يلزم لكماله ، لئلا يضع الأساس ولا يقدر أن يكمل ، فيبتدىء جميع الناظرين يهزأون به قائلين هذا الإنسان ابتدأ يبنى ولم يقدر أن يكمل . وأى ملك إن ذهب لمقاتلة ملك آخر فى حرب ألا يجلس أولا يتشاور هل يستطيع

أن يلاقى بعشرة آلاف الذى يأتى عليه بعشرين ألفاً ؟ وإلا فما دام ذلك بعيداً يرسل سفارة ويسأل ما هو للصلح . فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لى تلميذاً . الملح جيد . ولكن إذا فسد الملح فبماذا يصلح . لا يصلح لأرض ولا لمزبلة فيطرحونه خارجاً . من له أذنان للسمع فليسمع » .

٦٦

وفيما يسوع داخل إلى قرية فى الطريق إذا عشرة رجال مصابون بالبرص وقفوا من بعيد وراحوا يصرخون قائلين « يا يسوع يا معلم ارحمنا » . فنظر يسوع إليهم وقال لهم « إذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة » . وفيما هم منطلقون تم لهم الشفاء وطهروا من مرضهم ، فرجع واحد منهم — وكان سامرياً — وخر على وجهه عند قدمى يسوع وهو يمجد الله بصوت عظيم . فقال يسوع « أليس العشرة قد طهروا ، فأين التسعة الآخرين ؟ ألم يوجد من يرجع ليعطى مجداً لله غير هذا الغريب الجنس ؟ » ثم قال للرجل « قم وامض . إيمانك خلصك » .

٦٧

ودخل أحد المجامع فى السبت ، فرأى هناك امرأة مريضة منذ ثمانى عشرة سنة بداء جعلها منحنية الظهر ، فلم تكن تستطيع أن تنتصب قط . وإذ أثارت عطف

يسوع وضع يديه عليها فشفيت وانتصبت فى الحال . وعندئذ اتقد رئيس المجمع غضباً وغيظاً ، لأن يسوع أبرأ المرأة فى السبت والتفت إلى الحاضرين قائلا « هى ستة أيام ينبغى فيها العمل . فى هذه ائتوا واستشفوا وليس فى يوم السبت » فقال له يسوع « يا مرائى ، ألا يحل كل واحد منكم فى السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضى به ويسقيه ؟ وهذه وهى ابنة ابراهيم وقد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة . أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم السبت ؟ » . وإذ قال هذا خجل كل الذين كانوا يعاندونه وفرح الحاضرون بالآية التى صنعها أمامهم .

٦٨

وحضر يسوع وليمة لأحد رؤساء الفريسيين فى السبت ، وكان الفريسيون يراقبونه ، فوجد هناك رجلا مصاباً بالاستسقاء فخاطب يسوع الفريسيين والناموسيين الحاضرين قائلا « هل يحل الإبراء فى السبت ؟ » ، فسكتوا . فلمس الرجل وأبرأه ، ثم قال لهم « من منكم يسقط حماره أو ثوره فى بئر ولا ينشله فى يوم السبت ؟ » ، فلم يقدروا أن يجيبوه عن ذلك .

وقد لاحظ يسوع أن المدعوين اختاروا لأنفسهم المتكآت الاولى، وتنافسوا عليها ، فالتفت إليهم قائلا « متى دعيت من أحد إلى عرس ، فلا تتكىء فى المتكأ الأول لعل أكرم منك قد دعى منه ، فيأتى الذى دعاك وإياه ويقول لك أعط مكاناً لهذا . فحينئذ تبتدىء تخجل وتأخذ الموضع الأخير. بل متى دعيت فاذهب واتكىء فى الموضع الأخير ، حتى إذا جاء الذى دعاك يقول لك يا صديق ارتفع

إلى فوق . حينئذ يكون لك مجد أمام المتكئين معك . لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع ».

وقال أيضاً للذى دعاه « إذا صنعت غداءاً أو عشاءاً فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء لئلا يدعوك هم أيضاً فتكون لك مكافأة . بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجدع العرج العمى ، فيكون لك الطوبى ، إذ ليس لهم حتى يكافئوك ، لأنك تكافأ فى قيامة الأبرار » . ثم ضرب له مثلا قائلا « إنسان صنع عشاء عظيماً ودعا كثيرين . وأرسل عبده فى ساعة العشاء ليقول للمدعوين تعالوا لأن كل شيء قد أعد ، فابتدأ الجميع برأى واحد يستعفون : قال له الأول إنى اشتريت حقلا وأنا مضطر أن أخرج وأنظره . أسألك أن تعفينى . وقال آخر إنى اشتريت خمسة أزواج بقر وأنا ماض لأمتحنها أسألك أن تعفينى . وقال آخر انى قد تزوجت بامرأة فلذلك لا أقدر أن أجىء . فأتى ذلك العبد وأخبر سيده بذلك . حينئذ غضب رب البيت، وقال لعبده أخرج عاجلا الى شوارع المدينة وأزقتها وادخل إلى هنا المساكين والجدع والعرج والعمى . فقال العبد يا سيد قد صار كما أمرت ويوجد أيضاً مكان . فقال السيد للعبد اخرج الى الطرق والسياجات وألزمهم بالدخول حتى يمتلىء بيتى ، لأنى أقول لكم أنه ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائى » .

٦٩

وكان جميع العشارين والخطاة يدنون من يسوع ليسمعوه ، فتذمر الكتبة والفريسيون قائلين « هذا يقبل خطاة ويأكل معهم » . فكلمهم بهذا المثل قائلا

« أى إنسان له مائة خروف وأضاع واحداً منها ، ألا يترك التسعة والتسعين فى البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده . وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحاً، ويأتى إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلا لهم افرحوا معى لأنى وجدت خروفى الضال ؟ أقول لكم أنه هكذا يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة.أو أية امرأة لها عشرة دراهم إن أضاعت درهما واحداً ألا توقد سراجاً وتكنس البيت وتفتش باجتهاد حتى تجده . وإذا وجدته تدعو الصديقات والجارات قائلة افرحن معى لأنى وجدت الدرهم الذى أضعته ؟ هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب » .

وقال لهم كذلك « إنسان كان له ابنان . فقال أصغرهما لأبيه يا أبى أعطينى القسم الذى يصيبنى من المال . فقسم لهما معيشته، وبعد أيام ليست بكثيرة جمع الإبن الأصغر كل شىء وسافر إلى كورة بعيدة ، وهناك بذر ماله بعيش مسرف. فلما أنفق كل شىء حدث جوع شديد فى تلك الكورة فابتدأ يحتاج ، فمضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة فأرسله إلى حقوله ليرعى خنازير . وكان يشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله . فلم يعطه أحد . فرجع إلى نفسه وقال كم من أجير لأبى يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعاً . أقوم وأذهب إلى أبى وأقول له يا أبى أخطأت إلى السماء وقدامك ، ولست مستحقاً أن أدعى لك ابناً . إجعلنى كأحد أجراك . فقام وجاء إلى أبيه . وإذ كان لم يزل بعيدا رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله . فقال له الإبن يا أبى أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً . فقال الأب لعبيده اخرجوا الحلة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتماً فى يده وحذاء فى رجليه وقدموا العجل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح . لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالا فوجد . فابتدأوا يفرحون . وكان ابنه الأكبر فى الحقل . فلما جاء

وقرب من البيت سمع صوت آلات طرب ورقصاً . فدعا واحداً من الغلمان وسأله ما عسى أن يكون هذا . فقال له أخوك جاء فذبح أبوك العجل المسمن لأنه قبله سالماً . فغضب ولم يرد أن يدخل . فخرج أبوه يطلب إليه ، فأجاب وقال لأبيه ها أنا أخدمك سنين هذا عددها ، وقط لم أتجاوز وصيتك وجدياً



« عودة الإبن الضال إلى أبيه »

لم تعطني قط لأفرح مع أصدقائي . ولكن لما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني ذبحت له العجل المسمن . فقال له يا بني أنت معي في كل حين ، وكل مالي فهو لك . ولكن كان ينبغي أن نفرح لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالا فوجد » .

٧٠

والتفت إلى تلاميذه قائلا « كان إنسان غنى له وكيل فوشى به إليه بأنه يبذر أمواله ، فدعاه وقال له ما هذا الذى أسمع عنك . أعط حساب وكالتك لأنك لا تقدر أن تكون وكيلا بعد . فقال الوكيل فى نفسه ماذا أفعل لأن سيدى يأخذ منى الوكالة . لست أستطيع أن أنقب ، وأستحى أن أستعطى . قد علمت ماذا أفعل حتى إذا عزلت عن الوكالة يقبلونى فى بيوتهم . فدعا كل واحد من مديونى سيده وقال للأول كم عليك لسيدى ؟ فقال مائة بث زيت . فقال له خذ صكك واجلس عاجلا واكتب خمسين ، ثم قال لآخر وأنت كم عليك ؟ فقال مائة كر قمح . فقال له خذ صكك واكتب ثمانين . فمدح السيد وكيل الظلم إذ بحكمة فعل . لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور فى جيلهم . وأنا أقول لكم اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى اذا فنيتم يقبلونكم فى المظال الأبدية. الأمين فى القليل أمين أيضاً فى الكثير ، والظالم فى القليل ظالم أيضا فى الكثير . فإن لم تكونوا أمناء فى مال الظلم فمن يأتمنكم على الحق، وإن لم تكونوا أمناء فيما هو للغير فمن يعطيكم ما هو لكم . لا يقدر خادم أن يخدم سيدين . لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » .

وكان الفريسيون يستمعون إليه وهو يقول هذا ، وإذ كانوا محبين للمال استهزأوا به ، فقال لهم « أنتم الذين تبررون أنفسكم قدام الناس ، ولكن الله يعرف قلوبكم . إن المستعلى عند الناس هو رجس قدام الله» . ثم قال لهم « كان

إنسان غنى وكان يلبس الأرجوان والبز وهو يتنعم كل يوم مترفهاً .وكان مسكين اسمه لعازر الذى طرح عند بابه مضروباً بالقروح ، ويشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغنى . بل كانت الكلاب تأتى وتلحس قروحه . فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن ابراهيم . ومات الغنى أيضاً ودفن ، فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب ورأى ابراهيم من بعيد ، ولعازر فى حضنه . فنادى وقال يا أبى ابراهيم ارحمنى وأرسل لعازر ليبل طرف أصبعه بماء ويبرد لسانى لأنى معذب فى هذا اللهيب . فقال ابراهيم يا إبنى أذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك وكذلك لعازر البلايا . والآن هو يتعزى وأنت تتعذب ، وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت حتى أن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون إلينا . فقال أسألك إذن يا أبت أن ترسله إلى بيت أبى ، لأن لى خمسة أخوة ، حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضاً الى موضع العذاب هذا. قال له ابراهيم عندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم. فقال لا يا أبى ابراهيم . بل اذا مضى اليهم واحد من الأموات يتوبون . فقال له إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون . »

٧١

وتقدم أحد الناموسيين الى يسوع ليمتحنه قائلا « يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ » قال له يسوع « ما هو مكتوب فى الناموس ؟ » . قال « تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك » . فقال له « بالصواب أجبت . إفعل هذا فتحيا » . قال

« ومن هو قريبي ؟ » . فأجاب يسوع قائلا « انسان كان نازلا من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت ، فعرض أن كاهنا نزل في تلك الطريق فرآه وجاز مقابله . وكذلك لاوى أيضاً إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله . ولكن سامرياً مسافراً جاء اليه



« مثل السامري الصالح »

ولما رآه تحنن . فتقدم وضمد جراحاته وصب عليها زيتاً وخمراً وأركبه على دابته وأتى به الى فندق واعتنى به ، وفي الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال له اعتنى به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك . فأي هؤلاء الثلاثة ترى صار قريباً للذى وقع بين اللصوص ؟ » قال « الذى صنع معه الرحمة » . فقال له يسوع « اذهب أنت أيضا واصنع هكذا » .

٧٢

وفى تلك الأيام عاد السبعون تلميذا الذين أرسلهم يسوع للتبشير بكلمة الخلاص وقالوا ليسوع بفرح « يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك » . فقال لهم « ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء . ولكن لا تفرحوا بهذا ، أن الأرواح تخضع لكم ، بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت فى السموات » .

وفى تلك الساعة تهلل يسوع بالروح وقال « أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال . نعم أيها الآب ، لأن هكذا صارت المسرة أمامك » . ثم التفت إلى تلاميذه وقال « كل شيء قد دفع إلى من أبى . وليس أحد يعرف من هو الإبن إلا الآب ، ولا من هو الآب إلا الإبن ، ومن أراد الإبن أن يعلن له . . طوبى للعيون التى تنظر ما تنظرونه . لأنى أقول لكم أن أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا ، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا » .

٧٣

وسأله الفريسيون قائلين « متى يأتى ملكوت الله؟ » فأجابهم قائلا « لا يأتى ملكوت الله بمراقبة ولا يقولون هوذا ههنا أو هو ذا هناك ، لأن ها ملكوت الله داخلكم » .

والتفت إلى تلاميذه قائلا « ستأتى أيام فيها تشتهون أن تروا يوماً واحداً من أيام ابن الإنسان ولا ترون . ويقولون لكم هوذا ههنا أو هو ذا هناك . لا تذهبوا ولا تتبعوا . لأنه كما أن البرق الذى يبرق من ناحية تحت السماء يضىء إلى ناحية تحت السماء، كذلك يكون أيضاً ابن الإنسان فى يومه . ولكن ينبغى أولا أن يتألم كثيراً ويرفض من هذا الجيل . وكما كان فى أيام نوح ، كذلك يكون أيضاً فى أيام ابن الإنسان . كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويزوجون إلى اليوم الذى فيه دخل نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع . كذلك أيضاً كما كان فى أيام لوط ، كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون . ولكن اليوم الذى فيه خرج لوط من سدوم أمطر ناراً وكبريتاً من السماء فأهلك الجميع . هكذا يكون فى اليوم الذى فيه يظهر ابن الإنسان . فى ذلك اليوم من كان على السطح وأمتعته فى البيت فلا ينزل ليأخذها ، والذى فى الحقل كذلك لا يرجع إلى الوراء . أذكروا امرأة لوط . من طلب أن يخلص نفسه يهلكها ومن أهلكها يحييها . أقول لكم أنه فى تلك الليلة يكون اثنان على فراش واحد ، فيؤخذ الواحد ويترك الآخر . تكون اثنتان تطحنان معاً فتؤخذ الواحدة وتترك الأخرى . يكون اثنان فى الحقل فيؤخذ الواحد ويترك الآخر » . فأجابوا وقالوا له « أين يارب ؟ » فقال لهم « حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور » .

٧٤

وحين بلغوا قرية بيت عنيا دخل يسوع منزل الأختين مريم ومرثا . وإذ كان يسوع يعظ الحاضرين ويعلمهم ، جلست مريم عند قدمى يسوع وراحت

تستمع إلى كلامه ، فقالت مرثا « يارب أما تبالى بأن أختى قد تركتنى أخدم وحدى . فقل لها أن تعيننى » ، فأجاب يسوع وقال لها « مرثا مرثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ، ولكن الحاجة إلى واحد ، فاختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع منها » .

٧٥

ثم صعد يسوع إلى أورشليم فى عيد التجديد . وإذ كان فى رواق سليمان بالهيكل أحاط به اليهود وقالوا له « إلى متى تعلق أنفسنا ؟ إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً » . فأجاب يسوع قائلا « إنى قلت لكم ولستم تؤمنون . الأعمال التى أنا أعملها باسم أبى هى تشهد لى . ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافى كما قلت لكم . خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى . وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدى . أبى الذى أعطانى إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى . أنا والآب واحد » . وعندئذ أمسك اليهود حجارة ليرجموه فقال لهم « أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى . بسبب أى عمل منها ترجموننى؟ » أجابه اليهود قائلين « لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف . فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً » أجابهم يسوع « أليس مكتوباً فى ناموسكم أنا قلت أنكم آلهة . إن قال آلهة لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله . ولا يمكن أن ينقض المكتوب . فالذى قدسه الآب وأرسله الى العالم أتقولون له أنك تجدف لأنى قلت أنى ابن الله ؟ إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى . ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فى وانا فيه » .

فحاولوا كذلك أن يمسكوه ولكنه تركهم ومضى إلى تخوم اليهودية عبر الأردن حيث كان يعمد يوحنا من قبل ومكث هناك . وقد تبعته إلى ذلك المكان جموع كثيرة جداً وآمنت به .

٧٦

وفى تلك الأيام جاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين « هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب؟ » . فقال لهم « بماذا أوصاكم موسى ؟» قالوا « موسى أذن أن يكتب كتاب طلاق فتطلق» . فقال لهم يسوع « من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية . ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكون الإثنان جسداً واحداً . إذن ليسا بعد اثنين بل جسداً واحد . فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان .. وأقول لكم أن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى . والذى يتزوج بمطلقة يزنى » .

فقال له تلاميذه « إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج» . فقال لهم « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام . بل الذين أعطى لهم . لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات . ومن استطاع أن يقبل فليقبل » .

٧٧

وقدمت الجموع بعض الأولاد ليسوع كى يلمسهم ، فانتهرهم التلاميذ . أما يسوع فدعاهم قائلا « دعوا الأولاد يأتون إلى ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء



« يسوع يبارك الأطفال »

ملكوت الله . الحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله » .
ثم احتضن الأولاد وباركهم .

٧٨

وفيما كان يسوع فى الطريق أقبل شاب غنى وجثا له قائلا « أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ » فقال له يسوع « لماذا تدعونى صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله . أنت تعرف الوصايا : لا تزن . لا تقتل . لا تسرق . لا تشهد بالزور . أكرم أباك وأمك ؟ » . فقال « يامعلم هذه كلها حفظتها منذ حداثتى . فماذا يعوزنى بعد ؟ » . قال له يسوع « يعوزك شىء واحد . إذهب بع كل مالك وأعط الفقراء ، فيكون لك كنز فى السماء ، وتعال اتبعنى » . فلما سمع الشاب ذلك مضى حزيناً ، لأنه كان ذا أموال كثيرة . وعندئذ قال يسوع لتلاميذه « ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله . لأن دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » . فلما سمع تلاميذه هذا بهتوا جداً وقالوا « إذن من يستطيع أن يخلص ؟ » . فقال لهم يسوع « هذا عند الناس غير مستطاع . ولكن عند الله كل شىء مستطاع » . فقال بطرس « هانحن قد تركنا كل شىء وتبعناك . فماذا يكون لنا ؟ » . فقال يسوع « الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على إثنى عشر كرسياً تدينون أسباط اسرائيل الإثنى عشر وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولا من أجل اسمى يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية . ولكن كثيرون

أولون يكونون آخرين وآخرون أولين. فإن ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه ، فاتفق مع الفعلة على دينار فى اليوم وأرسلهم إلى كرمه ، ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياماً فى السوق بطالين . فقال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم . فمضوا . وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك . ثم نحو الساعة الحادية عشرة



« يسوع والشاب الغنى »

خرج ووجد آخرين قياماً بطالين . فقال لهم لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين ؟ قالوا له لأنه لم يستأجرنا أحد . قال لهم اذهبوا أنتم أيضاً الى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم . فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله ادع الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئاً من الآخرين الى الأولين . فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا ديناراً ديناراً . فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر . فأخذوا هم أيضاً

ديناراً ديناراً . وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت قائلين هؤلاء الآخرين عملوا ساعة واحدة وقدساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر . فأجاب وقال لواحد منهم ياصاحب ماظلمتك؟ أما اتفقت معى على دينار ؟ فخذ الذى لك واذهب . فإنى أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك . أو مايحل لى أن أفعل ما أريد بمالى ؟ أم عينك شريرة لأنى أنا صالح ؟ هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين . لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون .

٧٩

ومرض لعازر أخو مريم ومرثا اللتين سبق ليسوع أن مكث فى منزلهما ببيت عنيا . فأرسلت الأختان إلى يسوع قائلتين « ياسيد هوذا الذى تحبه مريض ». فلما بلغ يسوع ذلك النبأ قال « هـذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به » . ثم بعد يومين قال لتلاميذه « لنذهب إلى اليهودية أيضاً » . قال التلاميذ « يا معلم الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك ونذهب أيضاً إلى هناك؟ ». فقال يسوع « أليست ساعات النهار اثنتى عشر ؟ إن كان أحد يمشى فى النهار لا يعثر لأنه ينظر نور هذا العالم . ولكن إن كان أحد يمشى فى الليل يعثر لأن النور ليس فيه » . ثم قال لهم « لعازر حبيبنا قد نام . لكنى أذهب لأوقظه » . فقالوا ياسيد إن كان قد نام فهو يشفى » ، وإذ رأى أنهم لم يفهموا مقصـده قال لهم صراحة « لعازر مات ، وأنا أفرح لأجلكم أنى لم أكن هناك لتؤمنوا . ولكن لنذهب إليه » . فقال توما لزملائه التلاميذ « لنذهب نحن أيضاً لكى نموت معه » .

وإذ بلغوا بيت عنيا كان لعازر قد مات منذ أربعة أيام . وفى الطريق لاقتهم مرثا وقالت ليسوع « يا سيد ، لو كنت ها هنا لم يمت أخى . لكن الآن أيضاً

أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه » .قال لها يسوع « سيقوم أخوك » . قالت له مرثا « أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير » . فقال لها يسوع «أنا هو القيامة والحياة ، من آمن بى ولو مات فسيحيا . وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد . أتؤمنين بهذا ؟ » قالت له « نعم يا سيد . أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالم» . ثم مضت ودعت مريم أختها قائلة لها «المعلم قد حضر وهو يدعوك » . فقامت تلك سريعاً وجاءت إليه ، وتبعها اليهود الذين كانوا معها فى البيت يعزونها . وهنالك خرت مريم عند قدمى يسوع قائلة له « يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى » فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح وقال« أين وضعتموه ؟» قالوا له «ياسيد تعال وانظر» وكان يسوع يبكى فقال اليهود «أنظروا كيف كان يحبه؟ » .وقال بعض منهم «ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت ؟ » . وكان القبر فى مغارة وقد وضع حجر على بابه ، فقال يسوع حين جاء إليه« إرفعوا الحجر». قالت له مرثا « يا سيد قد أنتن لأن لهأربعة أيام »، فقال لها يسوع « ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله ؟ » فرفعوا الحجر عن باب القبر ، ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال « أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى . وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى» ثم صرخ بصوت عظيم« لعازر هلم خارجاً ». فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع « حلوه ودعوه يذهب » . وعندئذ آمن بيسوع كثيرون من اليهود الذين كانوا حاضرين ، إلا أن بعضاً منهم ذهبوا إلى الفريسيين وأخبروهم بما فعل يسوع . فعقدوا مع الكهنة مجمعاً وقالوا «ماذا نصنع فإن هـــذا الإنسان يعمل آيات كثيرة ؟ إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا » . فقال لهم قيافا رئيس الكهنة فى تلك السنة « أنتم لستم تعرفون شيئاً ، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد

عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » . ومن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه . وأصدر رؤساء الكهنة والفريسيون أمراً إلى اليهود بأن من يعرف مكانه فليدل عليه لكى يمسكوه وينفذوا فيه حكم الموت . أما يسوع فمضى إلى مدينة تدعى أفرايم ومكث هناك مع تلاميذه .

٨٠

فلما اقترب عيد الفصح صعد يسوع إلى أورشليم وفى الطريق قال لتلاميذه « ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ، ويسلمونه إلى الأمم لكى يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفى اليوم الثالث يقوم » . ولكنهم لم يفهموا شيئاً من ذلك .

وتقدم إليه يعقوب ويوحنا إبنا زبدى قائلين « يا معلم نريد أن تفعل لنا كل ما طلبنا » . فقال لهما « ماذا تريدان أن أفعل لكما ؟ » . قالا له « أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى مجدك » . فقال لهما يسوع « لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا ؟ » . قالا له « نستطيع » . فقال لهما « أما كأسى فتشربانها ، وبالصبغة التى أصطبغ بها تصطبغان . وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبى » . ثم التفت إلى التلاميذ قائلا « أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم فلا يكون هكذا فيكم . بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً . ومن أراد أن يكون فيكم أولا فليكن لكم عبداً . كما أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم ، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين .

٨١

ثم دخل يسوع إلى أريحا . وكان بتلك المدينة رجل غني يعمل رئيساً للعشارين اسمه زكا ، فإذ رأى يسوع قادماً اشتاق أن يراه ، ولكنه لم يتمكن من شـــدة الزحام لأنه كان قصير القامة ، فركض وصعد إلى جميزة ليراه من هناك. فلما جاء



« يسوع وزكا العشار »

يسوع نظر إليه وهو فوق الشجرة وقال له « يا زكا أسرع وانزل لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك » . فأسرع ونزل في فرح واصطحب يسوع إلى بيته . فلما رأى المجتمعون ذلك تذمروا قائلين « إنه دخل ليبيت عند رجل خاطيء » . أما

زكا فوقف وقال « أنا يارب أعطى نصف أموالى للمساكين . وإن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف » . فقال يسوع « اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضاً ابن ابراهيم . لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك » .

٨٦

ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت لعازر الذى أقامه من الموت فى بيت عنيا . وكانوا قد أعدوا له وليمة ، وكانت مرثا تخدم . وأما لعازر فكان أحد المتكئين . وفى هذه الأثناء جاءت مريم ومعها قارورة من طيب ناردين خالص كثير الثمن ، ودهنت بالطيب قدمى يسوع ومسحت قدميه بشعرها . فأخذ البعض يلومونها ، وقال أحد التلاميذ ، وهو يهوذا الأسخريوطى « لماذا هذا الإتلاف ؟ لأنه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بأكثر من ثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء » . فقال يسوع « اتركوها . لماذا تزعجونها ؟ قد عملت لى عملا حسناً . لأن الفقراء معكم فى كل حين ، ومتى أردتم تقدرون أن تعملوا بهم خيراً . وأما أنا فلست معكم فى كل حين . عملت ما عندها . قد سبقت ودهنت بالطيب جسدى للتكفين . الحق أقول لكم حينما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها » .

وقد علم كثيرون من اليهود أن يسوع فى ذلك البيت ، فجاءوا إلى هناك ، لا لأجل يسوع فقط ، بل ليروا أيضاً لعازر الذى أقامه من الأموات . لذلك تشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر أيضاً ، إذ بسببه كان كثيرون من اليهود يؤمنون بيسوع .

٨٣

وتقدم يسوع صاعداً إلى أورشليم . وإذ قرب من بيت فاجى وبيت عنيا عند جبل الزيتون ، أرسل اثنين من تلاميذه قائلا لهما « إذهبا إلى القرية التى أمامكما وحين تدخلانها تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس قط ، فحلاه وأتيابه ، وإن سألكما أحد لماذا تحلانه فقولا له هكذا : إن الرب محتاج إليه » .. فمضيا إلى حيث قال لهما ، فوجدا جحشاً مربوطاً أمام أحد الأبواب فى الطريق ، وفيما هما يحلانه قال لهما أصحابه « لماذا تحلان الجحش ؟ » فقالا «الرب محتاج إليه »فتركوهما وأتيابالجحش وطرحا ثيابهماعليهوأركبايسوع. وفرش كثيرون ثيابهم فى الطريق أمامه . وإذ سمعت الجموع المحتشدة فى أورشليم بمناسبة العيد أن يسوع قادم إلى المدينة ، أخذوا سعف النخل وخرجوا للقائهوهم يهتفون بصوت عظيم قائلين « مبارك الآتى باسم الرب ملك اسرائيل. مباركة مملكة أبينا داوود الآتية باسم الرب . سلام فى السماء ومجد فى الأعالى » .وقد تمت بذلك نبوءة النبى القائل « لا تخافى يا ابنة صهيون ، هو ذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش بن أتان » .

وفيما يسوع يقترب من أورشليم نظر إليها وبكى عليها قائلا « إنك لو علمت أنت أيضاً حتى فى يومك هذا ما هو لسلامك . ولكن الآن قد أخفى عن عينيك . فإنه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفى زمن افتقادك » .

ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة « من هذا ؟ » فقالت الجموع « هذا يسوع ، النبي الذي من ناصرة الجليل » .

ودخل يسوع إلى الهيكل وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في ساحته ، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وقال لهم « مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » . ثم وقف في الهيكل وقال لتلاميذه « قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان . الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها . ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير . من يحب نفسه يهلكها ، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية . إن كان أحد يخدمني فليتبعني . وحيث أكون أنا هناك أيضا يكون خادمي . وإن كان أحد يخدمني يكرمه الآب . الآن نفسي قد اضطربت . وماذا أقول ؟ أيها الآب نجني من هذه الساعة . ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة . أيها الآب مجد اسمك . . الآن دينونة هذا العالم . الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً . وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب الى الجميع » . فقال بعض الواقفين « نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد ، فكيف تقول أنت أنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان ؟ من هو هذا ابن الإنسان ؟ » . فقال لهم يسوع « النور معكم زماناً قليلا بعد . فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام . والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين يذهب . ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور . . الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني . والذي يراني يرى الذي أرسلني . أنا قد جئت نوراً الى العالم ، حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة . وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم . من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه . الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير . لأني لم أتكلم من نفسي ، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم . وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية . فما أتكلم أنا به



«يسوع يدخل أورشليم منتصراً»

فكما قال لى الآب هكذا أتكلم ».

فبهتت الجموع إذ سمعت كلامه وآمن كثيرون به فخاف رؤساء الكهنة وراحوا يتشاورون كى يقتلوه. أما هو فترك الهيكل وانطلق إلى خارج المدينة.

٨٤

وفى الغد كان يعلم الشعب فى الهيكل، فتقدم إليه رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ وقالوا له « قل لنا بأى سلطان تفعل هذا. أو من هو الذى أعطاك هذا السلطان؟ » فقال لهم « وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة فقولوا لى: معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس؟ ». فتشاوروا فيما بينهم قائلين « إن قلنا من السماء يقول فلماذا لم تؤمنوا به، وإن قلنا من الناس فجميع الشعب يرجموننا لأنهم واثقون بأن يوحنا نبى ». وعندئذ أجابوا يسوع قائلين « لا نعلم » فقال لهم يسوع « ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا ... ماذا تظنون؟ كان لإنسان إبنان فجاء إلى الأول وقال يا بنى اذهب اليوم اعمل فى كرمى. فأجاب وقال لا أريد، ولكنه ندم أخيرا ومضى. وجاء إلى الثانى وقال كذلك. فأجاب وقال ها أنا يا سيد ولم يمض. فأى الإثنين عمل إرادة الآب؟ ». قالوا له « الأول » قال لهم يسوع « الحق أقول لكم إن العشارين والزوانى يسبقونكم إلى الملكوت، لأن يوحنا جاءكم فى طريق الحق فلم تؤمنوا به. وأما العشارون والزوانى فآمنوا به. وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيراً لتؤمنوا به ». ثم قال لهم « إسمعوا مثلا آخر: إنسان غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر حوض معصرة وبنى برجاً وسلمه إلى كرامين وسافر. ثم أرسل إلى الكرامين فى الوقت عبداً

ليأخذ من الكرامين من ثمر الكرم فأخذوه وجلدوه وأرسلوه فارغا . ثم أرسل إليهم أيضاً عبداً آخر فرجموه وشجوه وأرسلوه مهاناً . ثم أرسل أيضا آخر فقتلوه . ثم آخرين كثيرين فجلدوا منهم بعضاً وقتلوا بعضاً . فإذ كان له أيضا ابن واحد حبيب إليه أرسله أيضا إليهم أخيراً قائلا أنهم يهابون إبنى . ولكن أولئك الكرامين قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث . هلموا نقتله فيكون لنا الميراث . . فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه . فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ » . قالوا له « أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها » . قال لهم يسوع « أما قرأتم قط فى الكتب الحجر الذى رفضه البناؤن هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ؟ لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه » . وإذ عرف رؤساء الكهنة والفريسيون أنه كان يتكلم بهذه الأمثال عليهم ، أرادوا أيضا أن يمسكوه ليقتلوه ولكنهم خافوا من الجموع التى كانت تؤمن به .

٨٥

وفى اليوم التالى أرسلوا له بعض الفريسيين والهيرودسيين ليصطادوه بكلمة يدينونه بها ، فتقدم أولئك إليه قائلين « يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن : أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ » ، فعلم يسوع خبثهم وقال لهم « لماذا تجربوننى يا مراؤون ؟ أرونى معاملة الجزية » فقدموا له ديناراً . فقال لهم

« لمن هذه الصورة والكتابة؟» قالوا له « لقيصر » فقال لهم « إعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . فخجلوا وتركوه ومضوا .

ثم جاء إليه بعض الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة وقالوا له « يا معلم كتب لنا موسى إن مات لأحد أخ وله امرأة ومات بغير ولد يأخذ أخوه المرأة ويقيم نسلاً لأخيه . فكان سبعة أخوة . وأخذ الأول امرأة ومات بغير ولد . فأخذ الثانى المرأة ومات بغير ولد . ثم أخذها الثالث وهكذا السبعة . ولم يتركوا ولداً وماتوا . وآخر الكل ماتت المرأة أيضا . ففى القيامة لمن منهم تكون زوجة ، لأنها كانت زوجة للسبعة ؟ » . فأجاب يسوع وقال لهم « تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله . لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون ، بل يكونون كملائكة الله فى السماء . وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل أنا إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب . ليس الله إله أموات بل إله احياء » . فبهتوا ولم يتجاسروا أن يسألوه عن شيء آخر .

أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين تقدموا إليه ليجربوه وسألوه قائلين « يا معلم أى وصية هى العظمى فى الناموس ؟ » فقال يسوع « تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هى الوصية الأولى والعظمى . والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء » .

ثم نظر يسوع الى الفريسيين وسألهم قائلا « ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ » قالوا له « ابن داوود » قال « فكيف يدعوه داوود بالروح رباً قائلا قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . فإن كان داوود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه ؟ » فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله أبدا .

٨٦

وخاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوا . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون . فإنهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم . وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس. فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم. ويحبون المتكأ الأول فى الولائم ، والمجالس الأولى فى المجامع ، والتحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى . وأما أنتم فلا تدعوا سيدى لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً أخوة . ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات . ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح ، وأكبركم يكون خادماً لكم . فمن يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع . لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ، ولعلة تطيلون صلواتكم . لذلك تأخذون دينونة أعظم . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحداً ، ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً . ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشىء . ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم . أيها الجهال والعميان أيهما أعظم الذهب أم الهيكل الذى يقدس الذهب ؟ ومن حلف

بالمذبح فليس بشيء ، ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم . أيها الجهال والعميان ، أيهما أعظم ألقربان أم المذبح الذى يقدس القربان ؟ فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه . ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه . ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس ،الحق والرحمة والإيمان . كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك. أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوءان اختطافاً ودعارة . أيها الفريسى الأعمى نق أولا داخل الكأس والصحفة لكى يكون خارجها أيضاً نقياً . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة . هكذا أنتم أيضا من خارج تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثما . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين ، وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء . فاملأوا أنتم مكيال آبائكم . أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة ، فمنهم تقتلون وتصلبون . ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة . لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق أقول لكم أن هذا كله يأتى على هذا الجيل . . يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة

فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً . لأنى أقول لكم أنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب » .

٨٧

وفى الغد جاء يسوع إلى الهيكل أيضاً . وفيما هو جالس تجاه الخزانة كان يرى الأغنياء يأتون ويلقون فى الخزانة أموالا كثيرة ، ثم جاءت أرملة مسكينة فألقت هناك فلسين . فنظر يسوع إلى تلاميذه وقال لهم « بالحق أقول لكم أن هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر من الجميع ، لأن هؤلاء من فضلتهم ألقوا فى قرابين الله . وأما هذه فمن إعوازها ألقت كل المعيشة التى لها » .

٨٨

ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل ، وفيما هو خارج أشار إلى أبنية الهيكل وقال لتلاميذه « أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم أنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض » .

وفيما هو جالس على جبل الزيتون ، تقدم إليه تلاميذه وسألوه قائلين « قل لنا متى يكون هذا ، وما هى علامة مجيئك وانقضاء الدهر » . فأجاب يسوع وقال لهم « أنظروا لا يضلكم أحد . فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين أنا هو

المسيح ويضلون كثيرين . وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب . أنظروا لا ترتاعوا . لأنه لا بد أن تكون هذه كلها . ولكن ليس المنتهى بعد . لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن. ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع . . وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم إلى مجامع وسجون ، وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمى . فيؤول ذلك لكم شهادة . فضعوا فى قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكى تحتجوا. لأنى أنا أعطيكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها . وسوف تسلمون من الوالدين والإخوة والأقرباء والأصدقاء ويقتلون منكم وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى. ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك. بصبركم اقتنوا أنفسكم . ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها . حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال ، والذين فى وسطها فليفروا خارجا ، والذين فى الكور فلا يدخلوها ، لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب ، وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض ، وسخط على هذا الشعب ، ويقعون بفم السيف ويسبون إلى جميع الأمم وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم . . حينئذ إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا . لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً .ها أنا قد سبقت وأخبرتكم.فإن قالوا لكم ها هو فى البرية فلا تخرجوا. ها هو فى المخادع فلا تصدقوا . لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضاً مجىء ابن الإنسان . لأنه حيثما تكون الجثة فهناك تجتمع النسور. وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء، وقوات السموات تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة

ويجد كثير . فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها . فمن شجرة التين تعلموا المثل . متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب . هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب . الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله . السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول. وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده. وكما كانت أيام نوح ، كذلك يكون أيضاً مجىء ابن الإنسان. لأنه كما كانوا فى الأيام التى قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك ، ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع . كذلك يكون أيضاً مجىء ابن الإنسان . حينئذ يكون اثنان فى الحقل ، يؤخذ الواحد ويترك الآخر. إثنتان تطحنان على الرحى تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى . إسهروا إذن لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم . واعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق ، لسهر ولم يدع بيته ينقب . لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان. فمن هو العبد الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام فى حينه . طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا. الحق أقول لكم أنه يقيمه على جميع أمواله. ولكن إن قال ذلك العبد الردىء فى قلبه سيدى يبطىء قدومه ، فيبتدىء يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى . يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفها فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس. وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات . أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتا. وأما الحكيمات فأخذن زيتاً فى آنيتهن مع مصابيحهن . وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن . ففى نصف الليل صار صراخ هوذا العريس مقبل

فاخرجن للقائه . فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن . فقالت الجاهلات للحكيمات أعطيننا من زيتكن فإن مصابيحنا تنطفىء . فأجابت الحكيمات قائلات لعله لا يكفى لنا ولكن . بل اذهبن إلى الباعة وابتعن لكن . وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأغلق الباب . أخيراً جاءت بقية العذارى أيضاً قائلات ياسيد ياسيد افتح لنا . فأجاب وقال الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن . فاسهروا إذن لأنكم لا تعرفون اليوم



« مثل العذارى الحكيمات والجاهلات »

ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان .. وكأنما إنسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله ، فأعطى واحداً خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة . كل واحد على قدر طاقته وسافر للوقت . فمضى الذى أخذ الخمس وزنات وتاجر بها فربح خمس وزنات أخر . وهكذا الذى أخذ الوزنتين ربح أيضاً وزنتين أخريين . وأما الذى أخذ الوزنة فمضى وحفر فى الارض وأخفى فضة سيده . وبعد زمان طويل أتى سيد

أولئك العبيد وحاسبهم . فجاء الذى أخذ الخمس وزنات وقدم خمس وزنات أخر قائلا ياسيد خمس وزنات سلمتنى . هوذا خمس وزنات أخر ربحتها فوقها . فقال له سيده نعما أيها العبد الصالح والأمين . كنت أميناً فى القليل فأقيمك على الكثير . أدخل إلى فرح سيدك . ثم جاء الذى أخذ الوزنتين وقال ياسيد وزنتين سلمتنى . هوذا وزنتان أخريان ربحتهما فوقهما . قال له سيده نعما أيها العبد الصالح والأمين . كنت أميناً فى القليل فأقيمك على الكثير . أدخل إلى فرح سيدك . ثم جاء ايضاً الذى أخذ الوزنة الواحدة وقال ياسيد عرفت أنك إنسان قاس تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر . فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك فى الأرض . هوذا الذى لك . فأجاب سيده وقال له أيها العبد الشرير والكسلان عرفت أنى أحصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبذر . فكان ينبغى أن تضع فضتى عند الصيارفة . فعند مجيئ كنت آخذ الذى لى مع رباً . فخذوا منه الوزنة وأعطوها الذى له العشر وزنات . لأن كل من له يعطى فيزداد . ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه . والعبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء . فيقيم الخراف عن يمينه والجداء على اليسار . ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يامباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم . لأنى جعت فأطعمتمونى . عطشت فسقيتمونى . كنت غريباً فآويتمونى . عرياناً فكسوتمونى . مريضاً فزرتمونى . محبوساً فأتيتم إلى . فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين ، يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشاناً فسقيناك . ومتى رأيناك غريباً فآويناك ، أو عرياناً فكسوناك . ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك ؟ فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم . ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا

عنى ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته. لأنى جعت فلم تطعمونى . عطشت فلم تسقونى . كنت غريباً فلم تأوونى . عرياناً فلم تكسونى . مريضاً ومحبوساً فلم تزورونى . حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين يارب متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا ولم نخدمك ؟ فيجيبهم قائلا الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا . فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية » .

ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه « تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الانسان يسلم ليصلب » .

٨٩

وكان عيد الفصح بعد يومين ، فاجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا ، وتشاوروا كى يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه . ولكنهم قالوا ليس فى العيد ، لأنهم خافوا من الشعب .

حينئذ ذهب واحد من الإثنى عشر الذى يدعى يهوذا الأسخريوطى إلى رؤساء الكهنة وقال « ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه اليكم؟ » . فجعلوا له ثلاثين من الفضة . ومن ذلك الوقت بدأ يترقب فرصة ليسلمه اليهم .

٩٠

وتقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين « أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح؟ » . فقال « إذهبوا إلى المدينة إلى فلان وقولوا له المعلم يقول أن وقتى قريب ، عندك أصنع الفصح مع تلاميذى » . ففعل التلاميذ كما أوصاهم يسوع وأعدوا الفصح .

ولما كان المساء جاء واتكأ مع الإثنى عشر، وقال لهم « شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم . لأنى أقول لكم أنى لا آكل منه بعد حتى يكمل فى ملكوت الله » . ثم أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال « خذوا كلوا. هذا هو جسدى» وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا« إشربوا منها كلكم . لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا .. إصنعوا هذا الذكرى .. وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى » .

ثم قام يسوع وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها ، ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان متزرا بها . حتى إذا جاء إلى سمعان بطرس قال له هذا فى دهشة « ياسيد أنت تغسل رجلى ؟ » فقال له يسوع « لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد » . ولكن بطرس امتنع قائلا « لن تغسل رجلى أبداً » . فقال له يسوع « إن كنت لا أغسلك فليس لك معى نصيب » . وعندئذ قال بطرس « ياسيد ليس رجلى فقط بل أيضا يدى ورأسى » فقال له يسوع « الذى قد اغتسل ليس له حاجة إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله . ولكن ليس كلكم » . قال هذا لأنه عرف أن واحداً منهم سيسلمه إلى اليهود .

ثم عاد يسوع إلى المائدة وقال لهم « أتفهمون ماقد صنعت بكم ؟ أنتم تدعوننى معلما وسيداً ، وحسنا تقولون لأنى أنا كذلك . فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض ، لأنى أعطيتكم مثالا ، حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً . الحق الحق أقول لكم أنه ليس عبد أعظم من سيده ، ولا رسول أعظم من مرسله . إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه . لست أقول عن جميعكم ، أنا أعلم الذين اخترتهم . لكن ليتم الكتاب . الذى يأكل معى الخبز رفع على عقبه . أقول لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون أنى أنا هو . الحق الحق أقول لكم الذى يقبل من

أرسله يقبلني . والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني » . ثم اضطرب يسوع بالروح وشهد قائلا « الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني » . فنظر التلاميذ بعضهم إلى بعض وهم محتارون فيمن قال عنه ، وحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له « هل أنا هو يارب ؟ » فأجاب وقال « الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني . إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه . ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد » .



« يسوع يغسل أرجل تلاميذه »

ثم التفت إلى يهوذا الأسخريوطي قائلا له « ما أنت فاعل قم وافعله سريعاً » . فقام وخرج في الحال ، وكان الوقت ليلا . وعندئذ قال يسوع « الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه . إن كان الله قد تمجد فيه فإن الله سيمجده في ذاته ويمجده سريعاً . يا أولادي أنا معكم زماناً قليلا بعد . ستطلبونني وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا ، أقول لكم انتم الآن . وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً . بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي ، إن كان لكم حب بعضاً لبعض » .



« حفلة الوداع »

ثم قال لهم « كلكم تشكون فى فى هذه الليلة لأنه مكتوب إنى أضرب الراعى فتتبدد خراف الرعية . ولكن بعد قيامى أسبقكم إلى الجليل » . فأجاب بطرس وقال له « وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً » . قال له يسوع « الحق أقول لك إنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات » . قال له بطرس « ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك » . وهكذا قال أيضاً جميع التلاميذ ، وقد تملكهم الجزع ، فقال لهم يسوع « لا تضطرب قلوبكم . أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى . فى بيت أبى منازل كثيرة . وإلا فإنى كنت قد قلت لكم . أنا أمضى لأعد لكم مكاناً . وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتى أيضاً وآخذكم إلى، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً، وتعلمون حيث أنا أذهب، وتعلمون الطريق » . قال له توما « ياسيد لسنا نعلم أين تذهب ، فكيف نقدر أن نعرف الطريق ؟ » . قال يسوع « أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى . لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً . ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه » . قال له فيلبس « يا سيد أرنا الآب وكفانا » . فقال يسوع « أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفنى يا فيلبس ؟ الذى رآنى فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىّ . الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى ، لكن الآب الحال فىّ هو يعمل الأعمال . صدقونى أنى فى الآب والآب فىّ . وإلا فصدقونى لسبب الأعمال نفسها . الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها لأنى ماض إلى أبى . ومهما سألتم باسمى فذلك أفعله ليتمجد الآب بالإبن . إن سألتم شيئاً باسمى أفعله . . إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم الى الأبد . روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم .

لا أترككم يتامى . إنى آتى إليكم . بعد قليل لا يرانى العالم أيضا ، وأما أنتم فترونني . إنى أنا حى فأنتم ستحيون . فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى وأنتم فى وأنا فيكم . الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى . والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى » .

قال له يهوذا ليس الأسخريوطى « ياسيد ماذاحدث حتى أنك مزمع أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم ؟ » . فأجاب يسوع قائلا « إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ، ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلا . الذى لايحبنى لا يحفظ كلامى . والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم . . سلاما أترك لكم . سلامى أعطيكم . ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا . لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب . سمعتم أنى قلت لكم أنا أذهب ثم آتى إليكم . لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب . لأن أبى أعظم منى . وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون . لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً ، لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شىء . ولكن ليفهم العالم أنى أحب الآب ، وكما أوصانى الآب هكذا أفعل » . . . ثم قال لتلاميذه « قوموا ننطلق من هنا » .

٩١

وفى الطريق حدث تلاميذه قائلا « أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام . كل غصن فى لا يأتى بثمر ينزعه . وكل ما يأتى بثمر ينقيه ليأتى بثمر أكثر . أنتم

الآن أتقياء بسبب الكلام الذى كلمتكم به . إثبتوا فى وأنا فيكم. كما أن الغصن لا يقدر أن يأتى بثمر من ذاته إن لم يثبت فى الكرمة . كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فى . أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذى يثبت فى وأنا فيه، هذا يأتى بثمر كثير. لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً. إن كان أحد لا يثبت فى يطرح خارجا كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق. إن ثبتم فى وثبت كلامى فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم. بهذا يتمجد أبى، أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذى . كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا. إثبتوا فى محبتى. إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى كما أنى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته . كلمتكم بهذا لكى يثبت فرحى فيكم ويكمل فرحكم .. هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم. ليس لأحد حب أعظم من هذا، أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه. أنتم أحبائى إن فعلتم ما أوصيكم به . لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده . لكننى قد سميتكم أحباء لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى . ليس أنتم اخترتمونى ، بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم . لكى يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمى . بهذا أوصيكم حتى تحبوا بعضكم بعضاً .. إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم . لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته . ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم ، لذلك يبغضكم العالم. أذكروا الكلام الذى قلته لكم ليس عبد أعظم من سيده . إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم . وإن كانوا قد حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم . لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمى لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى . لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية . وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيتهم . الذى يبغضنى يبغض أبى أيضاً . لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى ، لم تكن لهم خطية . وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى. لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم أنهم أبغضونى بلا سبب .. ومتى جاء المعزى الذى سأرسله

أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لى. وتشهدون أنتم أيضاً، لأنكم معى من الإبتداء . . قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا . سيخرجونكم من المجامع، بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله . وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى . لكنى قد كلمتكم بهذا، حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا قلته لكم . ولم أقل لكم من البداءة لأنى كنت معكم . وأما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى، وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى . لكن لأنى قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم . لكنى أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق . لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم . ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة . أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى . وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولا ترونى أيضاً . وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين . . إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية . ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم. كل ما للآب هو لى . لهذا قلت أنه يأخذ مما لى ويخبركم . بعد قليل لا تبصروننى . ثم بعد قليل أيضاً ترونني لأنى ذاهب إلى الآب » .

فقال قوم من تلاميذه بعضهم لبعض « ما هو هذا الذى يقوله لنا . بعد قليل لا تبصروننى، ثم بعد قليل أيضاً ترونني، ولأنى ذاهب إلى الآب؟ لسنا نعلم بماذا يتكلم » . فعلم يسوع أنهم كانوا يريدون أن يسألوه فقال لهم « أعن هذا تتساءلون فيما بينكم لأنى قلت بعد قليل لا تبصروننى ثم بعد قليل أيضاً ترونني ؟ الحق الحق أقول لكم أنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح . أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح . المرأة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت . ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر

الشدة لسبب الفرح لأنه قد ولد إنسان فى العالم . فأنتم كذلك عندكم الآن حزن . ولكننى سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم . وفى ذلك اليوم لا تسألوننى شيئاً . الحق الحق أقول لكم أن كل ماطلبتم من الآب باسمى يعطيكم . إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمى. أطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا. قد كلمتكم بهذا بأمثال . ولكن تأتى ساعة حين لا أكلمكم أيضاً بأمثال ، بل أخبركم عن الآب علانية . فى ذلك اليوم تطلبون باسمى . ولست أقول لكم إنى أنا أسأل الآب من أجلكم ، لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتمونى وآمنتم أنى من عند الله خرجت . خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضا أترك العالم وأذهب إلى الآب » .

قال له تلاميذه « هوذا الآن تتكلم علانية ولست تقول مثلا واحداً . الآن نعلم أنك عالم بكل شىء ، ولست تحتاج أن يسألك أحد . لهذا نؤمن أنك من الله خرجت » . فقال يسوع « الآن تؤمنون . هوذا تأتى ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونى وحدى . وأنا لست وحدى لأن الآب معى ، قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فى سلام . فى العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا . أنا قد غلبت العالم » .

تكلم يسوع بهذا ، ثم رفع عينيه نحو السماء وقال « أيها الآب قد أتت الساعة . مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا . إذ أعطيته سلطانا على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيه . وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته . أنا مجدتك على الأرض . العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته . والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم . . أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم . كانوا لك وأعطيتهم لى وقد حفظوا كلامك . والآن علموا أن كل

ما أعطيتنى هو من عندك . لأن الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم ، وهم قبلوا وعلموا يقيناً أنى خرجت من عندك وآمنوا أنك أنت أرسلتنى . من أجلهم أنا أسأل . لست أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتنى لأنهم لك . وكل ما هو لى فهو لك . وما هو لك فهو لى ، وأنا ممجد فيهم . ولست أنا بعدفى العالم وأما هؤلاء فهم فى العالم وأنا آتى إليك . أيها الآب القدوس احفظهم فى اسمك. الذين أعطيتنى ليكونوا واحداً كما نحن . حين كنت معهم فى العالم كنت أحفظهم فى اسمك . الذين أعطيتنى حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب. أما الآن فإنى آتى إليك . وأتكلم بهذا فى العالم ليكون لهم فرحى كاملا فيهم . أنا قد أعطيتهم كلامك ، والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم ، كما أنى أنا لست من العالم . لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير . ليسوا من العالم كما أنى أنا لست من العالم . قدسهم فى حقك . كلامك هو حق . كما أرسلتنى إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم . ولأجلهم أقدس أنا ذاتى ليكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق . . ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط ، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم . ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى . وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد . أنا فيهم وأنت فى ليكونوا مكملين إلى واحد . وليعلم العالم أنك أرسلتنى وأحببتهم كما أحببتنى . أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا لينظروا مجدى الذى أعطيتنى ، لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم . أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك . أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أرسلتنى . وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم » .

٩٢

وجاءوا إلى ضيعة اسمها جثسيماني ، فقال يسوع لتلاميذه « إجلسوا ها هنا حتى أمضي وأصلي هناك » . ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يحزن ويكتئب ، وقال لهم « نفسي حزينة جداً حتى الموت . أمكثوا ههنا واسهروا معي » . ثم تقدم قليلا وجثا على ركبتيه وخر على وجهه وصلى قائلا « يا أبتاه إن شئت فاعبر عني هذه الكأس . ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك » . وكان يصلي بأشد لجاجة وعرقه يسيل كقطرات الدم نازلة على الأرض . ثم جاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً ، فقال لهم « أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة ؟ إسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة . أما الروح فنشيط . وأما الجسد فضعيف » . ثم مضى عنهم أيضاً وصلى قائلا « يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك » . وبعد وقت طويل قضاه في الصلاة ، عاد إلى تلاميذه فوجدهم قد غلبهم النعاس أيضاً ، فمضى مرة ثالثة وراح يصلي بحرارة وهو لا يفتأ يكرر ذلك الكلام بعينه . ثم عاد أخيراً إلى تلاميذه وقال لهم « ناموا الآن واستريحوا . يكفي . قد أتت الساعة . هوذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة . قوموا لنذهب . هوذا الذي يسلمني قد اقترب » .

وفيما هو يتكلم أقبل يهوذا الأسخريوطي ومعه جمع كثير من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ والفريسيين ، وقد أمسكوا مشاعل ومصابيح وتسلحوا بسيوف وعصي ، وكان يهوذا قد أعطاهم علامة قائلا « الذي أقبله هو هو إمسكوه » . فلما اقتربوا تقدم إليه قائلا « السلام يا سيد » وقبله . فقال له يسوع



« يا أبتاه إن شئت فاعبر عني هذه الكأس » . . .

« يا يهوذا أبقبلة تسلمني ؟ » .

وكان مع سمعان بطرس سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه . فقال له يسوع « رد سيفك إلى مكانه ، لأن كل الذين يأخذون بالسيف ، بالسيف يهلكون » . ثم لمس أذن العبد فأبرأها ، والتفت إلى رؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه وقال لهم « كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذوني . كل يوم كنت معكم في الهيكل أعلم ولم تمسكوني .. ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة .. لكي تكمل الكتب » .

وأمسكوا يسوع فتركه التلاميذ كلهم وهربوا .

٩٣

وأوثق الجند يسوع ومضوا به إلى حنان أولا لأنه كان الرئيس السابق للكهنة وكان حما قيافا الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة ، والذي أشار على اليهود بقتل يسوع قائلا إنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب .

وكان سمعان بطرس ويوحنا يتبعان يسوع من بعيد . وكان يوحنا معروفا عند رئيس الكهنة فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة . وأما بطرس فكان واقفا عند الباب خارجاً . فخرج يوحنا وكلم الجارية التي كانت تحرس الباب فأدخلت بطرس ثم تفرست فيه قائلة « ألست أنت أيضاً من تلاميذ هذا الإنسان؟» فقال « لست أنا » . وكان العبيد والخدام قد أضرموا جمراً وجلسوا يصطلون ، لأنه كان برد ، فجلس بطرس معهم ليرقب ماسيحدث .

أما يسوع فقد سأله رئيس الكهنة عن تعاليمه ، فقال له يسوع « أنا كلمت العالم علانية . أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما . وفى الخفاء لم أتكلم بشىء . لماذا تسألنى أنا ؟ إسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم . هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا » . فتقدم عندئذ واحد من الخدم ولطم يسوع قائلا « أهكذا تجاوب رئيس الكهنة ؟ » فقال يسوع « إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردى ، وإن حسناً فلماذا تضربنى ؟ » . وإذ عجز حنان عن أن يثبت عليه أى تهمة أرسله موثقا إلى قيافا .

أما بطرس ففيما كان جالسا فى الخارج يصطلى رأته جارية من جوارى رئيس الكهنة فتفرست فيه ثم قالت للحاضرين « وهذا كان مع يسوع الناصرى » فأقسم بطرس قائلا « لست أعرفه يا إمرأة » . فقال له الحاضرون « حقاً أنت منهم لأنك جليلى أيضاً ولغتك تشبه لغتهم » . فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف ويردد قائلا « إنى لا أعرف هذا الرجل » . وعندئذ صاح الديك ، فتذكر بطرس كلام يسوع إذ قال له « إنك قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات » ، فمضى إلى الخارج وبكى بكاءاً مراً .

٩٠

ومضوا بيسوع إلى قيافا رئيس الكهنة ، حيث اجتمع كثيرون من رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ ، وراحوا كلهم يطلبون شاهداً ليشهد ضد يسوع كى يقتلوه ، فلما لم يجدوا جاءوا بشاهدى زور تقدما وقالا « هذا قال إنى أقدر أن أنقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام أبنيه » .

أما يسوع فظل صامتاً . فقال له رئيس الكهنة « أما ترى ماذا يشهد به هذان عليك ؟ أما تجيب بشيء ؟ » . ولكنه ظل صامتاً كذلك . فقال له رئيس الكهنة « أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ؟ » . قال له يسوع « أنا هو .. وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء » . فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه وقال « ما حاجتنا بعد إلى شهود ؟ ها قد سمعتم تجديفه .. مارأيكم ؟ » . فأجابوا وقالوا « إنه مستوجب الموت » . وحينئذ بصقوا في وجهه ولكموه وراحوا يغطون عينيه ويلطمونه ويقولون له « أيها المسيح تنبأ من الذي لطمك » ، وظلوا هكذا يهينونه ويستهزئون به .

٩٥

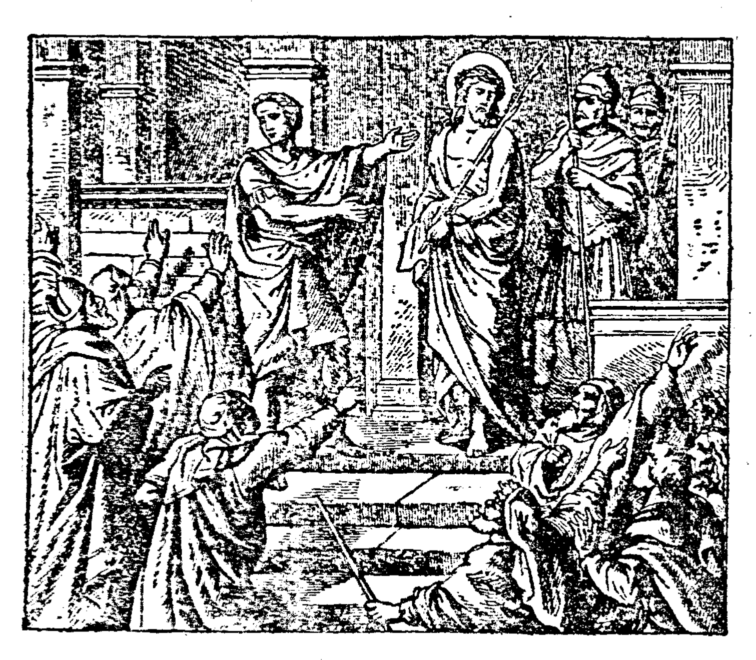
وفي الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ ليقتلوا يسوع . وإذ كان ينبغي لذلك أن يرفعوا الأمر إلى المجمع ، جاءوا به إلى هناك ، ولكي يثبتوا التهمة عليه سألوه قائلين « إن كنت أنت المسيح فقل لنا » . فأجاب قائلا « إن قلت لكم لا تصدقون ، وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني - منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله » - قالوا له « أفأنت ابن الله ؟ » فقال « أنتم تقولون إني أنا هو » . فأدانوه وأوثقوه ومضوا به إلى الوالي الروماني بيلاطس البنطي ، إذ كان ينبغي أن يصادق على حكم الموت .

حينئذ لما رأى يهوذا الأسخريوطي أنهم سيقتلون يسوع ، ندم على خيانته ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا « قد أخطأت إذ سلمت

دماً بريئاً » . فقالوا « ماذا علينا - أنت أبصر » - فطرح الفضة فى الهيكل ، ومضى فشنق نفسه - وإذ ذاك أخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها فى الخزانة لأنها ثمن دم . فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى ليكون مقبرة للغرباء . لذلك سمى هذا الحقل منذ ذلك الحين حقل الدم . وبهذا تم ما قيل بأرمياء النبى القائل « وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذى ثمنوه من بنى اسرائيل وأعطوها عن حقل الفخارى كما أمرنى الرب » .

٩٦

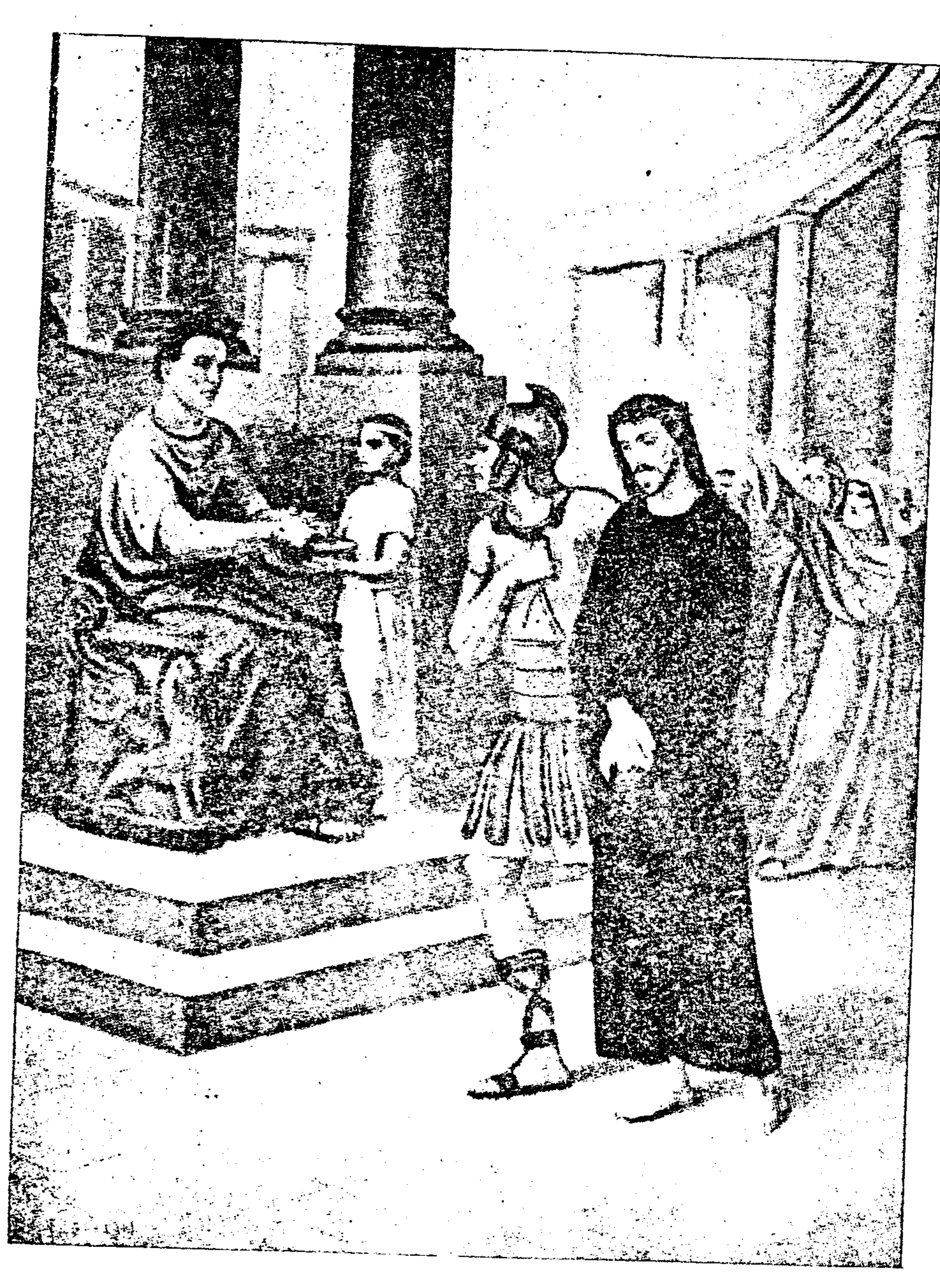
وقدم اليهود يسوع إلى بيلاطس ، ولكنهم لم يدخلوا دار الولاية إذ خافوا أن يتنجسوا ، لأنها من أملاك الأمم ، فخرج بيلاطس إليهم قائلا « أية شكاية



« يسوع أمام بيلاطس البنطى »

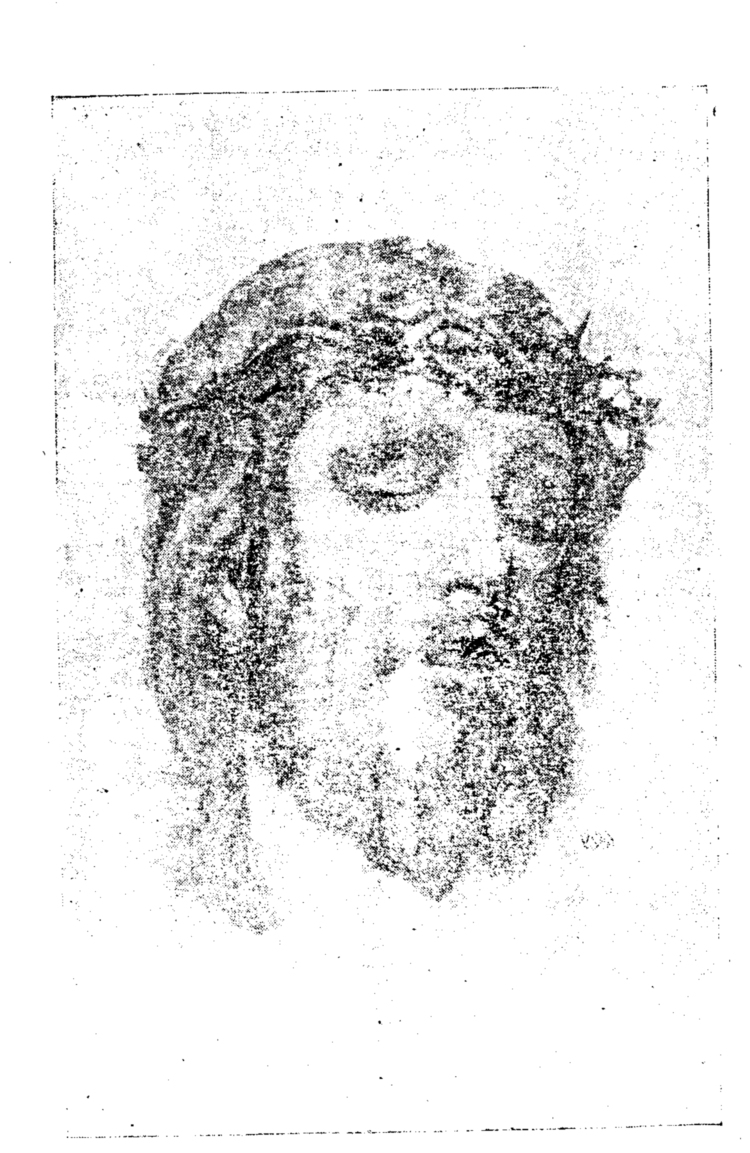
تقدمون على هذا الإنسان ؟ » فقالوا « إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا إنه هو مسيح ملك » . فأخذ بيلاطس يسوع إلى داخل دار الولاية وسأله قائلا « أأنت ملك اليهود ؟ » . فقال له يسوع « أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنى ؟ » . فأجابه بيلاطس فى ترفع قائلا « ألعلى أنا يهودى ؟ أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلى . ماذا فعلت ؟ » . أجاب يسوع وقال « مملكتى ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتى من هذا العالم ، لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم إلى اليهود . ولكن الآن ليست مملكتى من هنا » . فقال له بيلاطس « أفأنت إذن ملك ؟ » قال « أنت تقول أنى ملك . لهذا قد ولدت أنا . ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق . كل من هو من الحق يسمع صوتى » . فخرج بيلاطس إلى اليهود وقال لهم « إنى لا أجد علة فى هذا الإنسان » . فصاحوا قائلين « إنه يهيج الشعب ، وهو يعلم فى كل اليهودية مبتدئا من الجليل إلى هنا » . فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل أراد أن يتخلص من مسئولية الحكم على يسوع وسأل قائلا « هل الرجل جليلى ؟ » ثم أرسله إلى هيرودس حاكم الجليل ، إذ كان هو أيضا حينذاك فى أورشليم . فما رأى هيرودس يسوع حتى فرح جداً ، لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه ، لما سمعه عنه من أشياء كثيرة ، آملا أن يرى إحدى معجزاته . وراح يسأله ويوجه إليه كلاما كثيراً ولكن يسوع لم يجبه بشيء ، فأهانه وهزأ به وألبسه لباساً لامعاً ورده إلى بيلاطس ، فصار هيرودس وبيلاطس صديقين فى ذلك اليوم بسبب يسوع ، بعد أن كانا عدوين لدودين .

ودعا بيلاطس رؤساء الكهنة وعظماء الشعب وقال لهم « قد قدمتم إلى هذا الإنسان كمن يفسد الشعب . وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه . وكذلك هيرودس أيضا ، لأنى أرسلتكم إليه . وها لا شيء يستحق الموت صنع منه . فأنا أؤدبه وأطلقه » .



« بيلاطس البنطي يغسل يديه متبرئاً من دم يسوع »

وكان من عادة الوالى فى العيد أن يطلق للشعب أسيراً واحداً يختارونه ، وكان فى السجن فى ذلك الحين لص يدعى باراباس ، إشتهر بأعمال السرقة والقتل ، فقال لهم بيلاطس « من تريدون أن أطلق لكم : باراباس أم يسوع الذى يدعى المسيح ؟ » . وكان بيلاطس يريد أن يطلق يسوع لأنه كان يعرف أنهم سلموه إليه غيرة وحسداً ، كما أن زوجته أرسلت إليه فى ذلك اليوم قائلة : « إياك وذلك البار ، لأنى تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله » . ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا اليهود على أن يطلبوا إليه أن يطلق باراباس وأن يقتل يسوع . فلما طلبوا إليه ذلك استاء وقال لهم مرة ثانية « من من الإثنين تريدون أن أطلق لكم يسوع أم باراباس ؟ » فصرخوا قائلين « باراباس » . قال لهم « فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح ؟ » قالوا له « أصلبه » : فقال الوالى « وأى شر فعل ؟ » حينئذ ازداد هياجهم وصرخوا قائلين « أصلبه . أصلبه » فأخذ يسوع مرة أخرى إلى داخل دار الولاية وقال له فى حيرة « من أين أنت ؟ » ولكن يسوع صمت ولم يعطه جوابا ، فقال له « أما تكلمنى ؟ ألست تعلم أن لى سلطانا أن أصلبك وسلطانا أن أطلقك ؟ » فقال يسوع « لم يكن لك على سلطان البتة ، لو لم تكن قد أعطيت من فوق . لذلك الذى أسلمنى إليك له خطية أعظم » . فازدادت حيرة بيلاطس وأراد أن يطلقه . ولكن اليهود صرخوا قائلين « إن أطلقت هذا فلست محبا لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر » . وعندئذ أخذ بيلاطس ماء وغسل يديه أمام الجميع وقال « إنى برىء من دم هذا البار » . فصرخ اليهود قائلين « دمه علينا وعلى أولادنا » ، فأطلق لهم باراباس . وأما يسوع فأسلمه إلى الجنود ليجلدوه ويصلبوه . فأخذه الجنود ونزعوا عنه ثيابه وجلدوه . ثم ضفروا إكليلا من الشوك ووضعوه على رأسه وألبسوه رداءاً قرمزيا ووضعوا قصبة فى يمينه وراحوا يستهزئون به ويجثون فى سخرية أمامه قائلين له « السلام يا ملك اليهود » ثم يبصقون عليه ويأخذون القصبة التى



« .. ثم ضفروا إكليلا من الشوك ووضعوه على رأسه »

فى يده ويضربونه بها على رأسه . وأخيراً نزعوا عنه الرداء القرمزى وألبسوه ثيابه وخرجوا به ليصلبوه .

٩٧

وسار يسوع بين الجنود حاملا صليبه ، وكان ثقيلا جداً ، فكان لا يفتأ يسقط على الأرض من ثقله ، حتى ضجر الجنود ، فأمسكوا رجلا قيروانيا اسمه



« يسوع يحمل صليبه »

سمعان ، وكان آتيا من الحقل ، وسخروه ليحمل صليبه ، وتبعه جمهور كثير من من الشعب والنساء اللاتى كن يلطمن وينحن عليه ، فالتفت يسوع إليهن وقال لهن « يا بنات أورشليم لا تبكين على بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن .

لأنه هوذا أيام تأتى يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التى لم تلد والثدى التى لم ترضع . حينئذ يبتدئون يقولون للجبال اسقطى علينا وللآكام غطينا . لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس » .

ومضوا بيسوع إلى موضع قريب من أورشليم يقال له بالعبرية جلجثة ، وهو المسمى موضع الجمجمة ، حيث صلبوه ، وكانت الساعة الثالثة . وصلبوا معه لصين ، واحداً عن يمينه والآخر عن يساره . فتمت بذلك نبوءة النبي القائل « وأحصى مع أثمة » . وأعطوه خلا ممزوجاً بمرارة ، فلما ذاقه لم يرد أن يشرب منه .

ووضع بيلاطس رقعة على رأس الصليب مكتوباً فيها بالعبرية واليونانية واللاتينية « هذا هو يسوع الناصرى ملك اليهود » . فقال رؤساء الكهنة لبيلاطس « لا تكتب أنه ملك اليهود ، بل أنه قال إنى ملك اليهود » . فقال لهم بيلاطس « ما كتبت قد كتبت » .

أما يسوع فهتف وهو على الصليب قائلا « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » .

وأخذ الجنود القائمون على الحراسة ثياب يسوع وقسموها فيما بينهم ، وإذ كان القميص منسوجا كله بغير خياطة اقترعوا عليه . فتمت بذلك نبوءة النبى القائل « اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة » .

وكان اليهود يهزأون به قائلين « يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام ، خلص نفسك .. إن كنت أنت ابن الله فانزل عن الصليب » . وكان رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ يقولون فى سخرية « خلص آخرين وأما نفسه فما قدر أن يخلصها . إن كان هو ملك اسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به . قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده ، لأنه قال أنا ابن الله » .

وقال له أحد اللصين المصلوبين معه « إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا » ، فانتهره اللص الآخر قائلا « أو لا تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه . أما نحن فبعدل جوزينا لأننا ننال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يرتكب شراً » ثم التفت الى يسوع قائلا « أذكرني يا رب متى جئت فى ملكوتك » . فقال له يسوع « الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » .

وكانت تقف عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية ، ونساء كثيرات ممن تبعنه من الجليل إلى أورشليم . فلما رأى يسوع أمه ، وكان تلميذه يوحنا واقفاً ، قال لها « هو ذا إبنك » وقال ليوحنا « هو ذا أمك » ، ومن تلك الساعة أخذها يوحنا فى رعايته .

ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها . وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع قائلا « إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ » فقال قوم من الواقفين هناك « إنه ينادى إيليا .. لنر هل يأتى إيليا ليخلصه » .

ثم قال يسوع « أنا عطشان » ، فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على قصبة ورفعوها إليه ، فقال « قد أكمل » . ثم نادى بصوت عظيم قائلا « يا أبتاه فى يديك أستودع روحى » ونكس رأسه وأسلم الروح .

وحينئذ انشق حجاب الهيكل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت ، والأموات قامت ، وملأ الخوف قلوب الجنود الذين كانوا يحرسون يسوع فصرخوا قائلين « حقاً كان هذا ابن الله » . وراح المجتمعون كلهم من الفزع والندم يقرعون صدورهم .



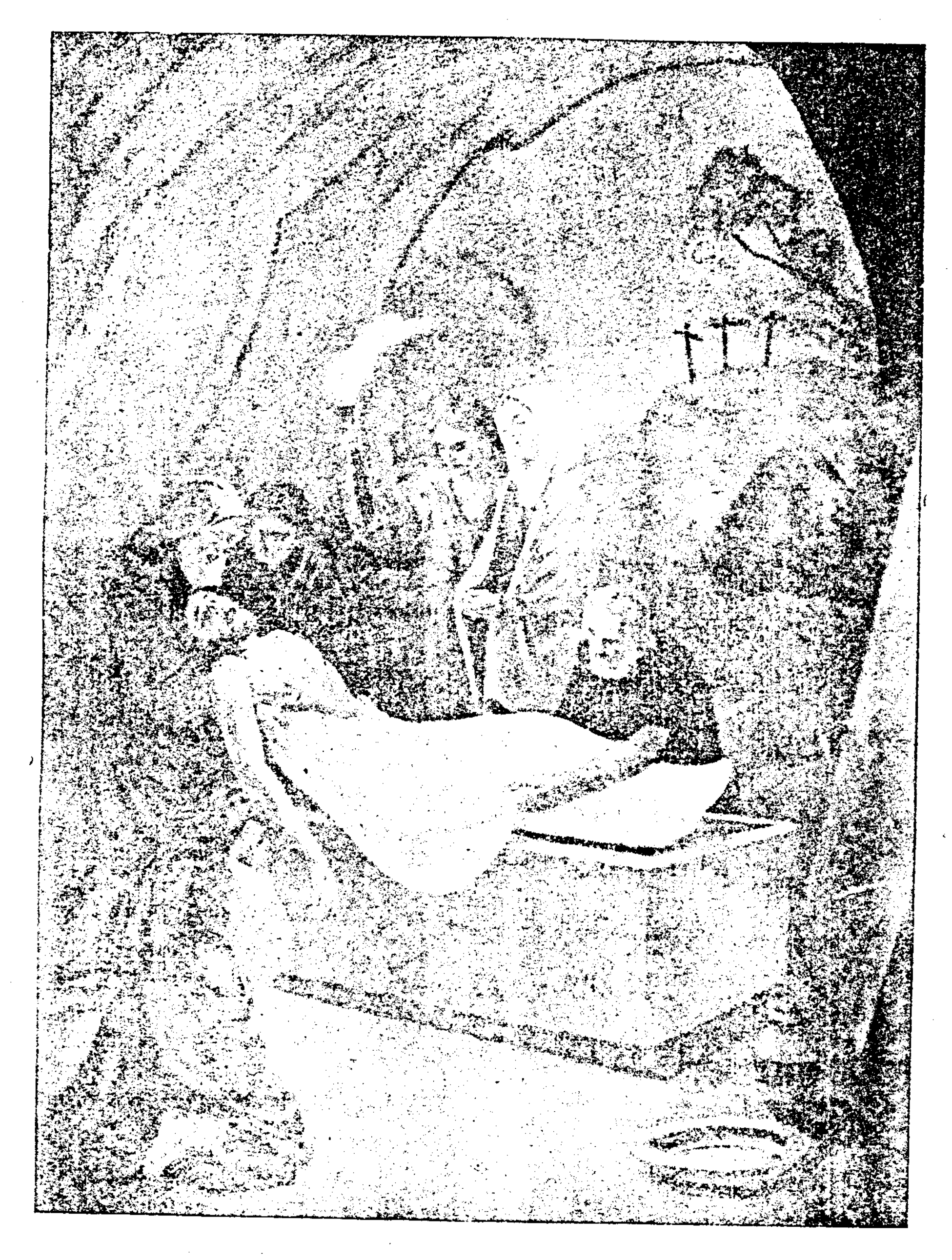
« يسوع فوق الصليب »

٩٨

ثم لكى لا تبقى الأجساد على الصليب فى السبت ، طلب اليهود من بيلاطس أن تكسر سيقان المصلوبين ويرفعوا . فكسر الجنود سيقان اللصين ، وأما يسوع فحين جاؤوا إليه وجدوه قد مات . فتقدم أحد الجنود وطعن جنبه بحربة فخرج منه دم وماء . فتمت بذلك نبوءة النبي القائل « عظم لا يكسر منه » ، كما تمت نبوءة النبي القائل « سينظرون إلى الذى طعنوه » .

وفى المساء جاء رجل غنى من الرامة اسمه يوسف ، وكان يؤمن بيسوع ، ولكن فى الخفاء خوفاً من لليهود ، وتقدم الى بيلاطس طالبا إليه أن يعطيه جسد يسوع . فدهش بيلاطس لأنه مات هكذا سريعا ودعا قائد الجنود ليستوثق منه ، فلما تأكد من موت يسوع وهب جسده ليوسف . وعندئذ جاء كذلك نيقوديموس ـ الذى سبق له أن آمن بيسوع وزاره فى الليل ـ وأتى معه بقدر عظيم من الحنوط. فأخذ الرجلان جسد يسوع ودهناه بالطيب ولفاه بالكتان على عادة اليهود . وكان بالقرب من الموضع الذى صلب فيه بستان يحتوى على قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط ، فوضعاه فى ذلك القبر ودحرجا حجراً كبيراً على بابه . وكانت النسوة اللاتى تبعن يسوع من الجليل هناك ، وكانت بينهن مريم المجدلية ومريم أم يوسى ، فرأين القبر وشاهدن كيف وضع فيه جسد يسوع ، ثم عدن وأعددن حنوطاً وأطياباً ، ليذهبن بها إليه بعد السبت .

وفى الغد جاء رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين « ياسيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى إنى بعد ثلاثة أيام أقوم . فمر بضبط القبر



« يسوع فى القبر »

إلى اليوم الثالث لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب أنه قام من الأموات . فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى » . فأعطاهم بيلاطس حراساً ، فمضوا وحرسوا القبر وختموا الحجر الذى على بابه .

٩٩

وفى فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وأخريات حاملات الحنوط الذى أعددنه ليدهنه به ، وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج الحجر عن باب القبر ، لأنه كان عظيما جداً . ولكنهن وجدن الحجر مرفوعاً عن القبر ، فدهشن ودخلن فلم يجدن جسد يسوع حيث كان . وفيما هن واقفات وقد تملكتهن الحيرة ظهر لهن رجلان بثياب براقة فارتعدن من الخوف ونكسن وجوههن ، فقال الرجلان لهن « لماذا تطلبن الحى بين الأموات ؟ ليس هو ههنا لكنه قام . أذكرن كيف كلمكن وهو بعد فى الجليل قائلا أنه ينبغى أن يسلم ابن الإنسان فى أيدى أناس خطاة ويصلب وفى اليوم الثالث يقوم .. إذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس أنه يسبقكم إلى الجليل . هناك ترونه كما قال لكم » ، فخرجن سريعاً من القبر وقد امتلأن بالرعدة والحيرة .

وركضت مريم المجدلية إلى بطرس ويوحنا وقالت لهما « أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه » فأسرعا إلى القبر ، وهناك رأيا الأكفان موضوعة حيث كان جسد يسوع ، والمنديل الذى كان على رأسه ليس موضوعا مع الأكفان بل ملفوفا فى موضع وحده . فرجعا حائرين لأنهما لم يكونا بعد يعرفان أنه ينبغى كما جاء فى الكتب أن يقوم من بين الأموات .



« قيامة يسوع من الموت »

أما مريم المجدلية فوقفت خارج القبر تبكى . ولم تلبث أن التفتت فأبصرت يسوع واقفاً ولكنها لم تعرفه ، فقال لها يسوع « يا إمرأة لماذا تبكين ؟ من تطلبين ؟ » فظنت تلك أنه البستانى فقالت له « ياسيد إن كنت أنت حملت سيدى فقل لى أين وضعته وأنا آخذه » . قال لها يسوع « يامريم » . وعندئذ عرفته فصرخت قائلة « يامعلم » فقال لها يسوع « لاتلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى ، ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » . فأسرعت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ بأنها رأت الرب وأنه قال لها هذا . وكان التلاميذ يبكون وينوحون، فلما سمعوا أنه حى لم يصدقوا وتراءى كلامها لهم كالهذيان .

وكانت اثنتان من النسوة الأخريات فى طريقها ليخبرن التلاميذ بما رأين ، فقابلهما يسوع وقال « سلام لكما » ، فسقطتا عند قدميه وسجدتا له . فقال لهما يسوع «لا تخافا . إذهبا قولا لإخوتى أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يروننى » .

وكان اثنان من تلاميذ يسوع منطلقين فى ذلك اليوم الى قرية بعيدة عن أورشليم اسمها عمواس . وكانا يتكلمان فيما بينهما عن كل هذه الحوادث . فاقترب منهما يسوع وسار معهما ولكنهما لم يعرفاه . فقال لهما « ماهذا الكلام الذى تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين؟» فالتفت إليه أحدهما وكان يدعى كليوباس، وأجابه قائلا « هل أنت متغرب وحدك فى أورشليم ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام ؟ » . فقال يسوع « وما هى ؟ » قال « المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنسانا نبياً مقتدرا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب ، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه . ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفتدى اسرائيل. ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك. بل بعض النساء منا حيرننا إذ كن باكراً عند القبر ، ولما لم يجدن جسده أتين

قائلات أنهن رأين منظر ملائكة قالوا أنه حى . ومضى قوم من الذين معنا إلى القبر فوجدوا هكذا كما قالت النساء . وأما هو فلم يروه » . فقال يسوع «أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء ، أما كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده ؟ » . ثم بدأ يفسر لهما النبوءات المختصة به فى جميع الكتب من موسى إلى آخر الأنبياء . وإذ اقتربوا من القرية التى كان التلميذان يقصدان إليها ورأيا أنه مزمع أن يفارقهما ، طلبا إليه أن يمكث معهما لأن الوقت مساء وقد مال النهار ، فدخل القرية معهما . حتى إذا اتكأ ليأكلوا أخذ الخبز وبارك وكسر وناولهما كما كان يفعل من قبل ، فانفتحت أعينهما فى الحال وعرفاه ، ولكنه فى هذه اللحظة اختفى عنهما ، فقالا بعضهما لبعض « ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا ، إذ كان يكلمنا فى الطريق ويوضح لنا الكتب ؟ » . وقاما فى تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم فوجدا بقية التلاميذ مجتمعين وهم يرددون أن الرب قام بالحقيقة وظهر لبطرس ، فأخبراهم بما حدث فى الطريق وكيف عرفاه عندما كسر الخبز وناولهما .

وفيما هم يتكلمون بهـــذا ، وكانت الأبواب مغلقة ، وقف يسوع نفسه فى وسطهم وقال لهم « سلام لكم » فجزعوا وخافوا ، وظنوا أنهم رأوا روحا . فقال لهم « ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم ؟ أنظروا يدى ورجلى إنى أنا هو . جسونى وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى » . ثم أراهم يديه ورجليه ، وقال لهم « أعندكم هنا طعام ؟ » ، ثم جلس وأكل أمامهم وهم ينظرون إليه فى دهشة والفرح يملأ قلوبهم ، وقال لهم « هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير » . ثم فتح أذهانهم ليفهموا النبوءات الواردة عنه فى الكتب ، وقال لهم « هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم

مبتدأ من أورشليم . وأنتم شهود لذلك .. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به .. من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن .. وها أنا معكم إلى انقضاء الدهر .. كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا » . ولما قال هذا نفخ وقال لهم « إقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت .. وها أنا أرسل إليكم موعد أبى ، فأقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قــــوة من الأعالى » .

أما توما وهو أحد تلاميذ يسوع الإثنى عشر ، فلم يكن معهم فى تلك الساعة حين جاء يسوع . فلما حضر قال له التلاميذ الآخرون « قد رأينا الرب » . فقال لهم « إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع إصبعى فى أثر المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أؤمن » . وبعد ثمانية أيام كان التلاميذ مجتمعين وكان توما معهم ، فجاء يسوع ووقف فى وسطهم قائلا « سلام لكم » ، ثم قال لتوما « هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدى ، وهات يدك وضعها فى جنبى ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا » . فأجاب توما وقال له « ربى وإلهى » . قال له يسوع « لأنك رأيتنى يا توما آمنت . طوبى للذين آمنوا ولم يروا » .

وبعد هذا ظهر يسوع أيضا على بحر طبرية لبعض تلاميذه . وهم بطرس وتوما ونثنائيل وابنا زبدى واثنان آخران . ثم ظهر لأكثر من خمسمائة من أتباعه دفعة واحدة فوق الجبل ، فرأوه وآمنوا .



« صعود يسوع إلى السماء »

١٠٠

وبعد أربعين يوما من قيامة يسوع ، اجتمع بتلاميذه على جبل الزيتون ، وراح يعلمهم ، ثم قال لهم « ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض» . ثم باركهم وارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم .

الفصل الثانى

أعمال الرسل وأقوالهم

١

بعد أن صعد يسوع إلى السماء عاد تلاميذه إلى أورشليم وظلوا بها ، امتثالا لأمره إذ قال لهم « أقيموا فى أورشليم حتى تلبسوا قوة من الأعالى » . وهناك صعدوا إلى العلية التى كانوا يقيمون بها وراحوا جميعا يواظبون على الصلاة والابتهال مع النساء ومريم أم يسوع وإخوته . وفى هذه الأثناء انتخب التلاميذ متياس ليحل محل يهوذا الأسخريوطى .

وفى يوم الخمسين كانوا يصلون جميعا بحرارة ، فانطلق فجأة صوت من السماء كهبوب الريح العاصفة وملأ البيت كله ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار ، واستقرت على كل واحد منهم فامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بلغات مختلفة . وكان هنالك يهود من كل أمة فتحيروا لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته ، وراحوا يقولون بعضهم لبعض فى دهشة « أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين ، فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التى ولد فيها ؟ » . وكانوا خليطا من رومانيين وفرثيين وماديين وعيلاميين ومن اليهودية وكبدوكية وبنتس وآسيا وفريجية وبمفيلية ومصر وليبيا وبلاد العرب .

وعندئذ وقف بطرس وقال لهم « أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم ، كما أنتم أيضا تعلمون . هذا أخذتموه مسلما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق ، وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه . الذى أقامه الله ناقضا أوجاع الموت ، إذ لم يكن ممكنا أن يمسك منه . لأن داوود . . سبق



« حلول الروح القدس على تلاميذ المسيح »

فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه لم تترك نفسه فى الهاوية ولا رأى جسده فساداً . فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك . وإذ ارتفع بيمين الله ، وأخذ موعد الروح القدس من الآب ، سكب هذا الذى أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه . . فليعلم يقينا جميع بيع اسرائيـــل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم ربا ومسيحا » .

فقال المجتمعون لبطرس ولسائر الرسل وقد دخل الإيمان قلوبهم « ماذا

نصنع أيها الرجال الإخوة ؟ » . فقال لهم بطرس « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » . فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا . وقد آمن فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس .

٣

وبدأ التلاميذ — وقد امتلأوا من الروح القدس — يصنعون من الآيات والعجائب ما كان يسوع يصنعه : ففيما كان بطرس ويوحنا يدخلان الهيكل رأيا رجلا مقعداً يستجدى فقال له بطرس « ليس لى فضة ولا ذهب ، ولكن الذى لى فإياه أعطيك . باسم يسوع الناصرى قم وامش » ، فقام ومشى ، فتعجب كل الذين فى الهيكل ، فقال لهم بطرس « أيها الرجال الإسرائيليون ما بالكم تتعجبون من هذا ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشى ؟ إن إله ابراهيم واسحق ويعقوب ، إله آبائنا ، مجد فتاه يسوع الذى أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حاكم بإطلاقه . ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل ، ورئيس الحياة قتلتموه ، الذى أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك . وبالإيمان باسمه شدد اسمه هذا الذى تنظرونه وتعرفونه والإيمان الذى بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم . والآن أيها الإخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم أيضا . وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح قد تممه هكذا . فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم ، لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب . ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل . الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شىء ، التى تكلم

عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر . فإن موسى قال للآباء أن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم . له تسمعون فى كل ما يكلمكم به . ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب . وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده ، جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام : أنتم أبناء



« بطرس الرسول »

الأنبياء والعهد الذى عاهد به الله آباءنا قائلاً لابراهيم وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض . إليكم أولا إذ أقام الله فتاه يسوع أرسله يبارككم برد كل واحد منكم عن شروره » .

. وبينما كان بطرس يخاطب الشعب هكذا أقبل الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون وقبضوا عليه مع يوحنا وألقوهما فى السجن . ثم فى الغد اجتمع رؤساء اليهود وشيوخهم وكتبتهم مع حنان رئيس الكهنة وقيافا ويوحنا والإسكندر وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة ، وجاؤوا ببطرس ويوحنا وأوقفوهما بينهم قائلين لهما « بأية قوة وبأى اسم صنعتما أنتما هذا ؟ » فقال لهم بطرس « يا رؤساء الشعب وشيوخ اسرائيل . إن كنا نفحص اليوم عن إحسان إلى إنسان سقيم بماذا شفى هذا ، فليكن معلوما عند جميعكم وجميع شعب اسرائيل أنه باسم يسوع الناصرى الذى صلبتموه أنتم ، الذى أقامه الله من الأموات . بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً . هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها البناؤون الذى صار رأس الزاوية . وليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » . فتعجبوا من البلاغة التى يتكلم بها ذلك الذى يعرفون أنه من بسطاء الناس ، وأمروه أن يخرج مع يوحنا إلى خارج المجمع ثم راحوا يتآمرون فيما بينهم قائلين « ماذا نفعل بهذين الرجلين ، لأنه ظاهر لجميع سكان أورشليم أن آية معلومة قد جرت بأيديهما ولا نقدر أن ننكر . ولكن لئلا تشيع أكثر فى الشعب لنهددهما تهديداً أن لا يكلما أحداً من الناس فيما بعد بهذا الإسم » . فدعوهما وأوصوهما أن لا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع . فأجابهم بطرس ويوحنا قائلين « إن كان حقا أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا . لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا » . وبعد أن هددوهما أيضا أطلقوهما ، إذ لم يجدوا البتة سبيلا إلى عقابهما بسبب الشعب . لأن الجميع كانوا يمجدون الله على ما جرى . وقد آمن فى ذلك اليوم كثيرون حتى بلغ عدد المؤمنين نحو خمسة آلاف .

٣

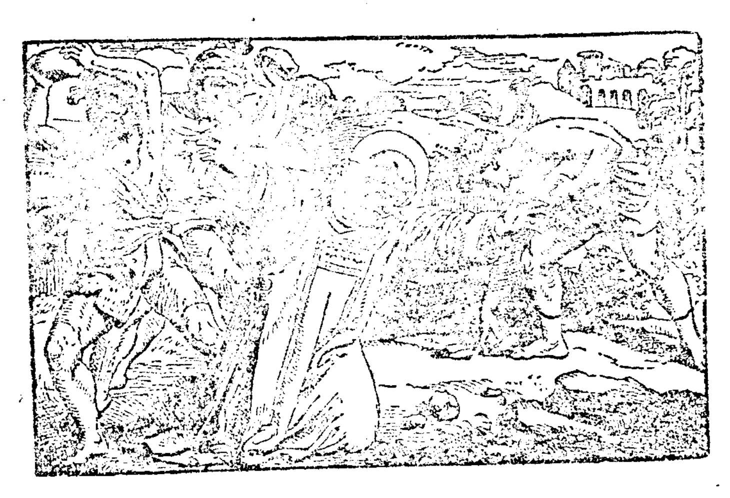
وكان المؤمنون يواظبون على تعاليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات معاً . وكان عندهم كل شيء مشتركاً . فلم يكن أحد يقول أن شيئا من أمواله له . وكل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل واحد منهم حسب احتياجه . وكان عدد المؤمنين يزداد يوما بعد يوم . وكانوا يحملون المرضى خارجا فى الشوارع ويضعونهم على فرش وأسرة حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظله على واحد منهم . واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسة وكانوا يبرأون جميعهم .

وحينئذ قام رئيس الكهنة وجميع الذين معه من الصدوقيين وألقوا القبض على الرسل جميعا . وقال لهم رئيس الكهنة « أما أوصيناكم وصية أن لا تعلموا بهذا الإسم ؟ وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان » . فأجابوه قائلين « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس . إله آبائنا أقام يسوع الذى أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة . هذا رفعه الله بيمينه رئيسا ومخلصا ليعطى اسرائيل التوبة وغفران الخطايا . ونحن شهود له بهذه الأمور ، والروح القدس أيضا الذى أعطاه الله للذين يطيعونه » . فلما سمع رئيس الكهنة ومن معه ذلك من الرسل حنقوا حنقا شديداً وراحوا يتشاورون ليقتلوهم . فقام فى المجمع رجل فريسى اسمه غمالائيل ، وكان معلما للناموس ومكرما عند جميع الشعب وأمر أن يخرج الرسل قليلا ، ثم قال لهم « أيها الرجال

الإسرائيليون احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس فيما أنتم مزمعون أن تفعلوا. لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلا عن نفسه أنه شيء ، الذى التصق به عدد من الرجال نحو اربعمائة . الذى قتل وجميع الذين انقادوا إليه تبددوا وصاروا لاشيء . بعد هذا قام يهوذا الجليلى فى أيام الاكتتاب وأزاغ وراءه شعباً غفيراً. فذاك أيضاً هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا . والآن أقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم . لأنه إن كان هذا الرأى أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض . وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه . لئلا توجدوا محاربين لله أيضاً » فانقادوا إليه ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم ألا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم . أما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه . وكانوا لا يزالون كل يوم فى الهيكل وفى البيوت معلمين ومبشرين بيسوع المسيح ، فازداد عدد المؤمنين جداً فى أورشليم ، حتى لقد آمن كهنة كثيرون .

وكان استفانوس يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب ، فافتروا عليه أنه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله ، وجاؤوا به ليحاكموه أمام المجمع ، فقال لهم « ياقساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان أنتم دائما تقاومون الروح القدس . كما كان آباؤكم كذلك أنتم . أى الأنبياء لم يضطهده آباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار الذى أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه . الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه » . ثم نظر إلى أعلا قائلا

« ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله » . فهجموا عليه وأخرجوه خارج المدينة وراحوا يرجمونه وكان هو يصرخ قائلا « أيها الرب يسوع اقبل روحى » . ثم جثا على ركبتيه قائلا « يارب لاتقم لهم هذه الخطية »



« استشهاد استفانوس »

أى اغفر لهم خطيئتهم ، ثم رقد وأسلم الروح . فحمله المؤمنون وقد حزنوا عليه حزناً شديداً .

٥

وفى ذلك اليوم حدث اضطهاد عظيم للمؤمنين فى أورشليم . وكان اليهود بزعامة شاب يدعى شاول يسطون على البيوت ويخرجون من بها من الرجال والنساء ويطرحونهم فى السجن .

أما الذين شتتهم هذا الاضطهاد فقد جالوا فى أنحاء فلسطين مبشرين بيسوع ،

وقد ذهب فيلبس إلى مدينة السامرة ، وصنع هناك آيات عظيمة ، فآمن به كثيرون من أهل المدينة ، واعتمدوا على يديه ، ثم انحدر إلى غزة ، فصادف فى الطريق أحد وزراء الحبشة فبشره وعمده ، كما بشر جميع المدن التى مر بها حتى وصل إلى قيصرية .

وأما شاول فإذ كان يمتلىء حقداً على المسيحيين ، تقدم إلى رئيس الكهنة ، وطلب منه رسائل إلى دمشق ليقبض هناك عليهم ويسوقهم موثقين إلى أورشليم ، وفيما هو فى الطريق وقد اقترب من دمشق أبرق حوله بغتة نور من السماء ، فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلا « شاول شاول ، لماذا تضطهدنى ؟ » فقال « من أنت ياسيد؟ »قال «أنا يسوع الذى أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس». فقال وهو يرتعد « يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ » قال له « قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل » . وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا يرون أحداً . فنهض شاول عن الأرض ، وكان مفتوح العينين ، ولكنه لم يعد يبصر ، فاقتادوه إلى دمشق . وهناك ظل ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب وعيناه مظلمتان . وفى دمشق أرسل إليه الرب تلميذا اسمه حنانيا قائلا له فى رؤيا «إذهب إليه لأنه إناء مختار ليحمى إسمى أمام أمم وملوك بنى اسرائيل » . فمضى ووضع عليه يديه فللوقت وقع من عينيه شيء كالقشور فأبصر فى الحال وقام واعتمد وراح يكرز فى المجامع بالمسيح منادياً بأنه هو ابن الله ، فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا « أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الإسم ، وقد جاء إلى هنا لهذا ، ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة ؟ » . وقد تشاور اليهود ليقتلوه ، فأخذه التلاميذ ليلا وأنزلوه من السور فرحل إلى أورشليم وراح هناك يجاهر باسم يسوع ، فحاول اليهود أن يقتلوه فأخذه الإخوة وأرسلوه إلى طرسوس .

٦

وكان عدد المؤمنين لايفتأ يتزايد فى جميع اليهودية والجليل والسامرة . وكان التلاميذ لايفتأون يبشرون فى كل مكان ويصنعون الآيات. وقد حدث أن ذهب بطرس إلى لدة فوجد هناك رجلا مفلوجاً ومطروحا على فراشه منذ ثمانى سنوات، إسمه إينياس ، فقال له « يا إينياس يشفيك يسوع المسيح » . فشفى وقام فى الحال.

وكان فى يافا صبية اسمها طابيثا ، مرضت وماتت ، فأرسلوا يطلبون بطرس فجاء وجثا على ركبتيه وصلى ثم التفت إلى الصبية المسجاة وقال « ياطابيثا قومى » ففتحت عينيها وقامت . فآمن كثيرون فى تلك المدينة .

وفيما كان بطرس فى يافا استدعاه إلى قيصرية قائد رومانى اسمه كرنيليوس، فذهب إليه ، ولما دخل فى بيته خر كرنيليوس على قدميه ساجداً أمامه فأقامه بطرس قائلا « قم أنا أيضاً إنسان » ، ثم التفت إليه وإلى المجتمعين هناك قائلا « أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودى أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتى إليه . وأما أنا فقد أرانى الله أن لا أقول عن إنسان ما أنه دنس أو نجس. فلذلك جئت من دون مناقضة إذ استدعيتمونى » . ثم راح يعلمهم قائلا « بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه . بل فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده . الكلمة التى أرسلها إلى بنى اسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح . هذا هو رب الكل . أنتم تعلمون الأمر الذى صار فى كل اليهودية مبتدئاً من الجليل بعد المعمودية التى كرز بها يوحنا . يسوع الذى من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة

الذى جال يصنع خيراً ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس لأن الله كان معه . ونحن شهود بكل ما فعل فى كورة اليهودية وفى أورشليم . الذى أيضاً قتلوه معلقين إياه على خشبة . هذا أقامه الله فى اليوم الثالث وأعطى أن يصير ظاهراً ليس لجميع الشعب ، بل لشهود سبق الله فانتخبهم . لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات ، وأوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بأن هذا هو المعين من الله دياناً للأحياء والأموات . له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا » .

وبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حل الروح القدس على جميع الذين يسمعون الكلمة ، فدهش المؤمنون الذين جاءوا مع بطرس من أهل الختان لأن موهبة الروح القدس انسكبت على الأمم أيضاً . فقال بطرس « أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً » ، وأمر أن يعتمدوا باسم الرب .

وكان الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حدث بسبب استفانوس ، قد اجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية ، وهم لا يبشرون أحداً بالمسيح إلا اليهود . إلا أنه كان من بينهم جماعة من القبرصيين والقيروانيين حين دخلوا أنطاكية بشروا اليونانيين المقيمين هناك فآمن منهم عدد كبير ، وحين سمع التلاميذ فى أورشليم بذلك أرسلوا إليهم برنابا ، ثم انضم إليه شاول الذى يدعى بولس كذلك ، ومكثا عندهم فى أنطاكية سنة كاملة ، وهناك أطلق على المؤمنين لأول مرة لقب المسيحيين .

وفى ذلك الوقت اشتد هيرودس الملك على المسيحيين فقتل يعقوب أخا يوحنا وسجن بطرس وعذب سائر الرسل وأهانهم .

٧

أما برنابا وبولس فقد انحدرا من أنطاكية إلى قبرص ، وكان معهما يوحنا الملقب مرقس ، وحين بلغ الجميع بافوس عاد يوحنا إلى أورشليم ، ومضى برنابا وبولس إلى برجة بمفيلية ، ثم إلى أنطاكية بسيدية ، وفى هذه الأخيرة كان السبت فدخلا مجمع اليهود ، وقام بولس يبشرهم قائلا « أيها الرجال الاسرائيليون والذين يتقون الله اسمعوا : إله شعب اسرائيل هذا اختار آباءنا ورفع الشعب فى الغربة فى أرض مصر . وبذراع مرتفعة أخرجهم منها . ونحو مدة أربعين سنة احتمل عوائدهم فى البرية ، ثم أهلك سبع أمم فى أرض كنعان وقسم لهم أرضهم بالقرعة وبعد ذلك فى نحو اربعمائة وخمسين سنة أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبى . ومن ثم طلبوا ملكا فأعطاهم الله شاول بن قيس ، رجلا من سبط بنيامين أربعين سنة ، ثم عزله وأقام لهم داوود ملكا ، الذى شهد له أيضاً إذ قال وجدت داوود بن يسى رجلا حسب قلبى ، الذى سيصنع كل مشيئتى . من نسل هذا حسب الوعد أقام الله لاسرائيل مخلصاً هو يسوع . إذ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعمودية التوبة لجميع شعب اسرائيل . ولما صار يوحنا يكمل سعيه جعل يقول من تظنون أنى أنا . لست أنا إياه لكن هو ذا يأتى بعدى الذى لست مستحقاً أن أحل حذاء قدميه .. أيها الرجال الأخوة بنى جنس ابراهيم والذين بينكم يتقون الله ، إليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص . لأن الساكنين فى أورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا . وأقوال الأنبياء التى تقرأ كل سبت تمموها إذ حكموا عليه . ومع أنهم لم يجدوا علة واحدة للموت طلبوا من بيلاطس أن يقتل . ولما تمموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه فى قبر . ولكن الله أقامه من الأموات . وظهر

أياما كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم ، الذين هم شهوده عند الشعب . ونحن نبشركم بالموعد الذى صار لآبائنا . أن الله قد أكمل لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً فى المزمور الثانى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك . إنه أقامه من الأموات غير عتيد أن يعود أيضاً إلى فساد فهكذا قال إنى سأعطيكم مراحم داوود الصادقة . ولذلك قال أيضاً فى مزمور آخر لن تدع قدوسك يرى فساداً . لأن داوود بعد ماخدم جيله بمشورة الله رقد وانضم إلى آبائه ورأى فساداً . وأما الذى أقامه الله فلم ير فساداً . فليكن معلوماً عندكم أيها الرجال الأخوة أنه بهذا ينادى بغفران الخطايا . وبهذا يتبرر كل من يؤمن من كل مالم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى . فانظروا لئلا يأتى عليكم ما قيل فى الأنبياء . أنظروا أيها المتهاونون وتعجبوا واهلكوا لأنى عملا أعمل فى أيامكم . عملا لاتصدقوه إن أخبركم به » . فآمن كثيرون إذ سمعوا هذا الكلام وخاصة من الأمم .

وفى السبت التالى إجتمعت كل المدينة تقريباً لتستمع إلى بولس . فلما رأى اليهود الجموع امتلأوا غيرة وأثاروا اضطهاداً على بولس وبرنابا وأخرجوهما من تخومهم ، فذهبا إلى أيقونية ، وهناك حدث نفس الامر فذهبا إلى ليكأونية لستره ودربة . وكان فى لسترة رجل مقعد منذ ولادته ، فقال له بولس « قم » فقام فى الحال ، فبهت الحاضرون قائلين «إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا» وقالوا عن بولس أنه إلههم هرمس ، وعن برنابا أنه زفس . وأتى كاهن زفس بثيران وأراد أن يذبحها أمامهما فمزقا ثيابهما وصرخا قائلين « أيها الرجال لماذا تفعلون هذا ؟ نحن أيضاً بشر تحت آلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون فى طرقهم ، مع أنه لم يترك نفسه

بلا شاهد وهو يفعل خيراً ، يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً » . ثم أتى يهود من أنطاكية وأيقونية وأقنعوا الجموع فرجموا بولس وجروه خارج المدينة ظانين أنه قد مات . ولكن المؤمنين أحاطوا به فدخل المدينة ثم فى الغد خرج مع برنابا إلى دربة . وبعد أن بشرا فيها رجعا إلى لسترة وأيقونية وأنطاكية مشجعين المؤمنين ، وهما لا يفتآن يعزيانهم عما يلاقون من اضطهاد قائلين « إنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله » . وانتخبا لهم قسوسا فى كل كنيسة . ثم اجتازا فى بيسيدية وذهبا إلى بمفيلية ثم إلى برجة ثم إلى أتالية ومن هناك سافرا عن طريق البحر إلى أنطاكية ، وأقاما هناك وقتاً طويلا مع المؤمنين . ثم سافر برنابا بعد ذلك مع مرقس إلى قبرص . وأما بولس فقد أخذ سيلا وخرج ليطوف معه فى سورية وكيليكية ، ثم وصلا الى دربة ولسترة وفريجية وغلاطية وميسيا وترواس ومكدونية . وفى فيلبى قام الولاة عليهما ومزقوا ثيابهما وضربوهما وألقوهما فى السجن حيث وضعت أرجلهما فى المقطرة . ثم فى الغد أطلقوا سراحهما وطلبوا إليهما أن يغادرا المدينة فاجتازا فى أمفيبوليس وأبولونية وأتيا الى تسالونيكى ، وهناك راحوا يبشرون فى المجامع فآمن كثيرون . ولكن بعض اليهود أثاروا عليهما حكام المدينة قائلين أنهما يعملان ضد أحكام قيصر إذ يقولان أنه يوجد ملك آخر هو يسوع المسيح . فأخذ المؤمنون بولس وسيلا وأخرجوهما ليلا الى بيرية ، وهناك آمن على أيديهما كثيرون . فلما علم اليهود الذين من تسالونيكى أنهما يبشران فى بيرية أيضا ، جاءوا الى هناك يهيجان الجموع عليهما . فسافر بولس الى أثينا ثم تبعه سيلا إلى هناك ومعه تيموثاوس .

« رحلات بولس الرسول التبشيرية »

٨

وبينما كان بولس فى أثينا قابله بعض الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين ، وأخذوه الى آريوس باغوس ، طالبين إليه أن يشرح لهم عقيدته فقال لهم «أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيراً . لأننى بينما كنت أجتاز وأنظر الى معبوداتكم وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه « لإله مجهول » . فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادى لكم به . الإله الذى خلق العالم وكل مافيه إذ هو رب السماء والأرض لايسكن فى هيا كل مصنوعة بالأيادى . ولايخدم بأيادى الناس كأنه محتاج الى شىء ، إذ هو يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شىء ، وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض وحتم بالأوقات المعينه ويحدد مسكنهم . لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدونه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً . لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد . كما قال بعض شعرائكم أيضاً لأننا أيضاً ذريته . فإذ نحن ذرية الله لا ينبغى أن نظن أن اللاهوت شبيه بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة واختراع إنسان . فالله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا ، متغاضياً عن أزمنة الجهل . لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل ، برجل قد عينه مقدماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات » . فلما سمع الأثينيون هذا الكلام الذى يقول به بولس آمن بعضهم ، وكان ممن آمنوا ديونيسيوس الأريوباغى .

٩

وبعد هذا مضى بولس إلى كورنثوس، وأقام بها سنة وسته أشهر يبشر ويؤمن على يديه كثيرون . ثم سافر إلى سوريا ومكث بعض الوقت في أفسس ثم انتقل إلى قيصرية ثم إلى أنطاكية ثم غلاطية وفريجية ، حتى بلغت البشــــارة بيسوع جميع الساكنين فى آسيا من يهود ويونانيين . وكان بولس يصنع آيات عظيمة ، حتى كانوا يمسون جسده بمناديل أو مآزر ثم يبعثون بها إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض. ثم ذهب بولس إلى مكدونية وقضى فى هلاس ثلاثة أشهر ، ثم مضى إلى ترواس . وفى هذه الأخيرة حدث أنه بينما كان شاب يدعى أفتيخوس ينصت إلى تعليم بولس ، سقط من ارتفاع شاهق ومات ، فنزل بولس وعانقه فعادت إليه الروح . ثم ذهب بولس إلى أسوس، ثم إلى ميتيلين، ثم إلى ساموس، ثم الى ميليس ، ومن هناك أرسل الى أفسس ، واستدعى قسوس الكنيسة وقال لهم « أنتم تعلمون من أول يوم دخلت فيه آسيا كيف كنت معكم كل الزمان أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة وبتجارب أصابتنى بمكائد اليهود . كيف لم أؤخر شيئاً من الفوائد الا وأخبرتكم وعلمتكم به جهراً وفى كل بيت . شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذى بربنا يسوع المسيح . والآن ها أنا أذهب الى أورشليم مقيداً بالروح ، لا أعلم ماذا يصادفنى هناك . غير أن الروح القدس يشهد فى كل مدينة قائلا إن وثقاً وشدائد تنتظرنى. ولكننى لست أحتسب لشيء ولا نفسى ثمينة عندى حتى أتمم بفرح سعيي والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله. والآن ها أنا أعلم أنكم لا ترون وجهى أيضاً أنتم جميعاً الذين مررت بينكم كارزا بملكوت الله . لذلك أشهدكم

اليوم هذا ، إني بريء من دم الجميع . لأني لم أوخر أن أخبركم بكل مشورة الله . إحترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه . لأني أعلم هذا ، أنه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لاتشفق على الرعية . ومنكم أنتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم . لذلك اسهروا متذكرين أني ثلاث سنين ليلا ونهاراً لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد . والآن أستودعكم يا أخوتي الله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع المقدسين . فضة أو ذهب أو لباس أحد لم أشته . أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتهاهاتان اليدان . في كل شيء أريتكم أنه هكذا ينبغي أنكم تتبعون وتعضدون الضعفاء متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » . ثم جثا بولس على ركبتيه مع الجميع وصلى ، وكان الجميع يبكون ، وراحوا يعانقونه متألمين ولا سيما لأنه قال إنهم لن يروا وجهه مرة أخرى . ثم شيعوه الى السفينة ، فاتجهت به إلى كوس ثم رودس ثم إلى بترا ثم إلى صور ، ومن هناك ذهب إلى أورشليم . وفي أورشليم تآمر عليه اليهود ليقتلوه وظل مودعاً في السجن سنتين على ذمة محاكمته . ولكي يفسد مكائد اليهود لقتله رفع دعواه إلى قيصر ، فأرسله الوالي مخفوراً إلى إيطاليا . وبعد رحلة شاقة في السفينة كاد يغرق كل من فيها وصل بولس إلى روما ، وهناك أقام سنتين مبشرا بيسوع المسيح .

٩٥

وقد فعل الرسل جميعاً كما فعل بولس ، منطلقين إلى كل جهة من جهات الأرض مبشرين بيسوع المسيح : فبشر بطرس في أنطاكية وبنطس وغلاطية وكبادوكية

وبثينية وقيصرية وكورنثوس ومصر وروما . وبشر متى فى فلسطين وبلاد الحبشة . وبشر مرقس فى أنطاكية وآسيا الصغرى والخمس مدن الغربية ومصر . وبشر لوقا فى كثير من البلاد التى بشر فيها بولس إذ كان مرافقاً له وخاصة فى روما . وبشر يوحنا فى بلاد آسيا الصغرى . وبشر يهوذا المدعو لباوس فى اليهودية والسامرة والجليل وأدومية وخليج العقبة وبلاد العرب وسوريا والعراق وبلاد الفرس وبلاد الأرمن . وبشر فيلبس فى أفريقيا وآسيا الصغرى . وبشر برثلماوس فى آسيا الصغرى والهند واليمن وبلاد الأرمن . وبشر سمعان فى أفريقيا وبريطانيا وبلاد الفرس . وبشر توما فى بلاد الفرس والحبشة والصين والهند . وبشر يعقوب فى فلسطين وأسبانيا . وهكذا فعل بقية الرسل والتلاميذ ، مبشرين باسم المسيح فى كل أنحاء العالم ، ومتحملين فى سبيل ذلك كل عنت وكل ضيق . ولكنهم صمدوا وجاهدوا إلى النهاية بكل قوة وكل عزم وكل إيمان . وكانوا لا يفتأون يتكلمون جهاراً أو يرسلون الرسائل إلى كل شعب من الشعوب فى كل مكان ، يخبرونهم فيها بمجىء السيد المسيح ، ويعلمونهم مبادئه ، ويعظونهم ويشجعونهم على احتمال الآلام حتى الموت ، فى سبيل ذلك الذى تألم ومات من أجل البشر .

١١

وقد أرسل بولس الرسول إلى أهل كورنثوس رسالة قال لهم فيها :

«... المسيح لم يرسلنى لأعمد بل لأبشر ، لا بحكمة كلام ، لئلا يتعطل صليب المسيح ، فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ، وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله .. ليس كثيرون حكماء حسب الجسد . ليس كثيرون أقوياء . ليس كثيرون شرفاء . بل اختار جهال العالم ليخزى الحكماء . واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء . واختار الله أدنياء العالم

والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود، لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه، ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء. حتى كما هو مكتوب، من افتخر فليفتخر بالرب . . وأنا لما أتيت إليكم أيها الإخوة أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة منادياً لكم بشهادة الله . لأنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح ، وإياه مصلوباً . وأنا كنت عندكم فى ضعف وخوف ورعدة كثيرة . وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع ، بل ببرهان الروح والقوة ، لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله . . لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون ، بل نتكلم بحكمة الله فى سر . الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا . التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر . لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد . بل كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه فأعلنه الله لنا بروحه . لأن الروح يفحص كل شىء حتى أعماق الله . لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه ؟ هكذا أيضاً أمور الله . ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله . التى نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية ، بل بما يعلمه الروح القدس ، قارنين الروحيات بالروحيات . ولكن الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله ، لأنه عنده جهالة ، ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً . وأما الروحى فيحكم فى كل شىء وهو لا يحكم فيه من أحد . لأنه من عرف فكر الرب فيعلمه . وأما نحن فلنا فكر المسيح . . وأنا أيها الإخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين، كأطفال فى المسيح . سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون . بل الآن أيضاً لا تستطيعون لأنكم بعد جسديون » .

وقال لهم « أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم ؟ إن كان أحد

يفسد هيكل الله فيفسده الله ، لأن هيكل الله مقدس ، الذى أنتم هو . لا يخدعن أحد نفسه . إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلا لـكى يصير حكيما . لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله . لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم . وأيضاً الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة . إذن لا يفتخرن أحد بالناس . فإن كل شىء لـكم .. وأما أنتم فللمسيح ، والمسيح لله » .

وقال لهم « إنـكم قد شبعتم . قد استغنيتم . ملكتم بدوننا . وليتـكم ملكتم لنملك نحن أيضاً معكم . فإنى أرى أن الله أبرزنا نحن الرسل آخرين كأننا محكوم علينا بالموت . لأننا صرنا منظراً للعالم ، للملائكة والناس . نحن جهال من أجل المسيح وأما أنتم فحكماء فى المسيح . نحن ضعفاء وأما أنتم فأقوياء . أنتم مكرمون وأما نحن فبلا كرامة . إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعرى ونلكم وليس لنا إقامة . ونتعب عاملين بأيدينا . نشتم فنبارك . نضطهد فنحتمل . يفترى علينا فنعظ . صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شىء إلى الآن . ليس لـكى أخجلـكم أكتب بهذا بل كأولادى الأحباء أنذركم . لأنه وإن كان لـكم ربوات من المرشدين فى المسيح لـكن ليس آباء كثيرون . لأنى أنا ولدتـكم فى المسيح يسوع بالإنجيل، فأطلب إليكم أن تـكونوا متمثلين بى .. وأعرفـكم أيها الإخوة بالإنجيل الذى بشرتـكم به وقبلتموه وتقومون فيه ، وبه أيضاً تخلصون إن كنتم تذكرون أى كلام بشرتكم به إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثاً . فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً ، أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الـكتب ، وأنه دفن ، وأنه قام فى اليوم الثالث حسب الـكتب ، وأنه ظهر لصفا ثم للاثنى عشر ، وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باق إلى الآن ولـكن بعضهم قد رقدوا . وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين وآخر الـكل كأنه للسقط ظهر لى أنا . لأنى أصغر الرسل أنا الذى لست أهلا لأن أدعى رسولا ، لأنى اضطهدت كنيسة الله . ولـكن بنعمة الله أنا ما أنا، ونعمته المعطاة لى لم تـكن باطلة بل أنا تعبت أكثر

منهم جميعاً . ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي » .

وقال لهم « إن المسيح يكرز به أنه قام من الأموات . فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات ؟ فإن لم تكن قيامة أموات ، فلا يكون المسيح قد قام . وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم . ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح ، وهو لم يقمه إن كان الموتى لا يقومون . لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام . وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم . أنتم بعد في خطاياكم . إذن الذين رقدوا في المسيح أيضا هلكوا . إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس . ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين . فإنه إذ الموت بإنسان ، بإنسان أيضاً قيامة الأموات . لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع . ولكن كل واحد في رتبته . المسيح باكورة . ثم الذين للمسيح في مجيئه . وبعد ذلك النهاية متى سلم الملك لله الآب ، متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة . لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه . آخر عدو يبطل هو الموت . لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه . ولكن حينما يقول أن كل شيء قد أخضع فواضح أنه غير الذي أخضع له الكل . ومتى أخضع له الكل فحينئذ الإبن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل . وإلا فماذا يصنع الذين يعتمدون من أجل الأموات ؟ إن كان الأموات لا يقومون البتة فلماذا يعتمدون من أجل الأموات ؟ ولماذا نخاطر نحن كل ساعة ؟ إني بافتخاركم الذي لي في يسوع المسيح ربنا أموت كل يوم . إن كنت كإنسان قد حاربت وحوشاً في أفسس فما المنفعة لي ؟ إن كان الأموات لا يقومون فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت . لا تضلوا . فإن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة . إصحوا للبر ولا تخطئوا لأن قوماً ليست لهم معرفة بالله .

أقول ذلك لتخجيلكم . لكن يقول قائل كيف يقام الأموات وبأى جسم يأتون ؟ يا غبي . الذى تزرعه لا يحيا إن لم يمت . والذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سوف يصير ، بل حبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقى . ولكن الله يعطيها جسما كما أراد . ولكل واحد من البزور جسمه . ليس كل جسد جسداً واحداً ، بل للناس جسد واحد وللبهائم جسد آخر . وللسمك آخر . وللطير آخر . وأجسام سماوية وأجسام أرضية . لكن مجد السمويات شيء ومجد الأرضيات آخر . مجد الشمس شيء ومجد القمر آخر ومجد النجوم آخر . لأن نجما يمتاز عن نجم فى المجد . وهكذا أيضاً قيامة الأموات : يزرع فى فساد ، ويقام فى عدم فساد. يزرع فى هوان، ويقام فى مجد. يزرع فى ضعف، ويقام فى قوة. يزرع جسما حيوانيا، ويقام جسما روحيا. يوجد جسم حيوانى، ويوجد جسم روحانى . هكذا مكتوب أيضا. صار آدم الإنسان الأول نفسا حية وآدم الأخير روحا محييا. لكن ليس الروحانى أولا بل الحيوانى وبعد ذلك الروحانى. الإنسان الأول من الأرض ترابى. الإنسان الثانى الرب من السماء . كما هو الترابى هكذا الترابيون أيضا . وكما هو السماوى هكذا السماويون أيضا . وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضا صورة السماوى . فأقول هذا أيها الإخوة ، إن لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله . ولا يرث الفساد عدم الفساد .. هوذا سر أقوله لكم . لا نرقد كلنا . ولكننا كلنا نتغير . فى لحظة، فى طرفة عين عند البوق الأخير . فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير . لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد ، وهذا المائت يلبس عدم موت . ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ، ولبس هذا المائت عدم موت، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة . أين شوكتك يا موت ؟ أين غلبتك يا هاوية ؟ أما شوكة الموت فهى الخطية . وقوة الخطية هى الناموس . ولكن شكراً لله الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح . إذن يا إخوتى الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين . مكثرين فى عمل الرب كل حين ، عالمين أن تعبكم ليس

باطلا فى الرب .. إسهروا . إثبتوا فى الإيمان . كونوا رجالا . تقووا . لتصر كل أموركم فى محبة . . نعمة الرب يسوع المسيح معكم . محبتى مع جميعكم فى المسيح يسوع » .

وقال لهم فى رسالة ثانية « . . من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة . ثلاث مرات ضربت بالعصى . مرة رجمت . ثلاث مرات انكسرت بى السفينة . ليلا ونهاراً قضيت فى العمق . بأسفار مراراً كثيرة . بأخطار سيول . بأخطار لصوص . بأخطار من جنسى . بأخطار من الأمم . بأخطار فى المدينة . بأخطار فى البرية . بأخطار فى البحر. بأخطار من أخوة كذبة. فى تعب وكد . فى أسهار مراراً كثيرة . فى جوع وعطش . فى أصوام مراراً كثيرة . فى برد وعرى .. فى دمشق والى الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكنى فتدليت من طاقة فى زنبيل من السور ونجوت من يديه .. فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى لكى تحل على قوة المسيح . لذلك أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح » .

١٢

وأرسل بولس الرسول إلى أهل غلاطية رسالة قال لهم فيها :

« بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان ، بل بيسوع المسيح والله الآب الذى أقامه من الأموات وجميع الأخوة الذين معى إلى كنائس غلاطية .. نعمة لكم وسلام من الله الآب ، ومن ربنا يسوع المسيح الذى بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا الذى له المجد

إلى أبد الآبدين .. أعرفكم أيها الإخوة ، الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان ، لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علمته . بل بإعلان يسوع المسيح . فإنكم سمعتم بسيرتى قليلا فى الديانة اليهودية أنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها . وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى إذ كنت أوفر غيرة على تقليدات آبائى . ولكن لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فى لأبشر به بين الأمم للوقت لم أستشر لحما ودما ، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى، بل انطلقت الى العربية ثم رجعت أيضاً إلى دمشق . ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوما ، ولكننى لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب والذى أكتب به إليكم هوذا قدام الله أنى لست أكذب فيه . وبعد ذلك جئت إلى أقاليم سورية وكيليكية . ولكننى كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التى فى المسيح ، غير أنهم كانوا يسمعون أن الذى كان يضطهدنا قبلا يبشر الآن بالإيمان الذى كان قبلا يتلفه ، فكانوا يمجدون الله فى » .

وقال لهم « نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة ، إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس ، بل بإيمان يسوع المسيح آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس . لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما . فإن كنا ونحن طالبون أن نتبرر فى المسيح نوجد نحن أنفسنا أيضاً خطاة. أفا لمسيح خادم للخطية ؟ حاشا . فإنى إن كنت أبنى أيضاً هذا الذى هدمته فإنى أظهر نفسى متعدياً . لأنى مت بالناموس للناموس لأحيا لله . مع المسيح صلبت فأحيا ، لا أنا ، بل المسيح يحيا فى . فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان ، إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى . لست أبطل نعمة الله . لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذن مات بلا سبب .. لأنه لو أعطى ناموس قادر أن يحيي

لكان بالحقيقة البر بالناموس . لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون . ولكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس مغلقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يعلن . إذن قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكى نتبرر بالإيمان . ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب . لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع ، لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح . ليس يهودى ولا يونانى . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر وأنثى . لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع . فإن كنتم للمسيح فأنتم إذن نسل ابراهيم وحسب الموعد ورثة . . وإنما أقول مادام الوارث قاصراً لا يفرق شيئاً عن العبد مع كونه صاحب الجميع . بل هو تحت أوصياء ووكلاء إلى الوقت المؤجل من أبيه . هكذا نحن أيضاً لما كنا قاصرين كنا مستعبدين تحت أركان العالم . ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ، مولوداً تحت الناموس . ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى . ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب. إذن لست بعد عبداً بل ابناً ، وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح ... فاثبتوا إذن فى الحرية التى حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية . . فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الأخوة . غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً . لأن كل الناموس فى كلمة واحدة يكمل : تحب قريبك كنفسك . فإذا كنتم تنهشون وتأكلون بعضكم بعضاً فانظروا لئلا تفنوا بعضكم بعضاً . . وإنما أقول اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد ، لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون : ولكن إذا انقدتم بالروح فلستم تحت الناموس . وأعمال الجسد ظاهرة ، التى هى زنا . عهارة . نجاسة . دعارة . عبادة أوثان . سحر . عداوة . خصام . غيرة . سخط .

تحزب . شقاق . بدعة . حسد . قتل . سكر . بطر . وأمثال هذه التى أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضاً أن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله . وأما ثمر الروح فهو محبة . فرح . سلام . طول أناة . لطف . صلاح . إيمان . وداعة . تعفف . ضد أمثال هذه ليس ناموس . ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات . إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضا بحسب الروح . لا نكن معجبين نغاضب بعضنا بعضا ونحسد بعضنا بعضاً » .

وقال لهم « أيها الأخوة إن انسبق إنسان فأخذ فى زلة ما فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضا . إحملوا بعضكم أثقال بعض ، وهكذا تمموا ناموس المسيح . لأنه إن ظن أحد أنه شيء وهو ليس شيئا فإنه يغش نفسه . ولكن ليمتحن كل واحد عمله وحينئذ يكون له الفخر من جهة نفسه فقط لا من جهة غيره . لأن كل واحد سيحمل حمل نفسه .. ولكن ليشارك الذى يتعلم الكلمة المعلم فى جميع الخيرات . لا تضلوا . الله لا يشمخ عليه . فإن الذى يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً . لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً . ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية . فلا نفشل فى عمل الخير لأننا سنحصد فى وقته وإن كنا لا نكل . فإذن حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع ولا سيما لأهل الإيمان .. وأما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم لى وأنا للعالم » .

١٣

وأرسل بولس الرسول الى أهل أفسس رسالة قال لهم فيها :

«كونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء . واسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضا وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة ..أسلكوا كأولاد نور . لأن ثمر الروح هو فى كل صلاح وبر وحق .. ولا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحرى وبخوها .. لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ماهى مشيئة الرب . ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح .. أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب .. أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها .. كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم . من يحب امرأته يحب نفسه . فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضا لكنيسته . لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الإثنان جسداً واحداً .. أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى الرب لأن هذا حق . أكرم أباك وأمك .. لكى يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض . وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم ، بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره .. إلبسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكائد إبليس . فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء ، مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات . من أجل ذلك احملوا سلاح الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير . وبعد أن تتمموا كل شىء

أن تثبتوا . فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر ، وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام. حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله . مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح » .

١٠

وأرسل بولس الرسول إلى أهل فيلبى رسالة قال لهم فيها :

« .. أريد أن تعلموا أيها الإخوة أن أمورى قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل. حتى وثقى صارت ظاهرة فى المسيح فى كل دار الولاية وفى باقى الأماكن أجمع . وأكثر الإخوة وهم واثقون فى الرب بوثقى يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف .. وبهذا أنا أفرح . بل سأفرح أيضاً لأنى أعلم أن هـذا يؤول لى إلى خلاص بطلبتكم ومؤازرة روح يسوع المسيح ، حسب انتظارى ورجائى أنى لا أخزى فى شىء ، بل بكل مجاهرة كما فى كل حين . كذلك الآن يتعظم المسيح فى جسدى سواء كان بحياة أو بموت . لأن لى الحياة هى المسيح ، والموت هو ربح . ولكن إن كانت الحياة فى الجسد هى لى ثمر عملى فماذا أختار ؟ لست أدرى فإنى محصور من الإثنين . لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح . ذاك أفضل جداً . ولكن أن أبقى فى الجسد ألزم من أجلكم . فإذ أنا واثق بهذا أعلم أنى أمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدمكم وفرحكم فى الإيمان . لكى يزداد افتخاركم فى المسيح يسوع فى بواسطة حضورى أيضاً عندكم . فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح حتى إذا جئت ورأيتكم ، أو كنت غائباً أسمع أموركم أنكم تثبتون فى روح

واحد مجاهدين معاً بنفس واحدة لإيمان الإنجيل . غير مخوفين بشيء من المقاومين . الأمر الذى هو لهم بينة للهلاك . وأما لكم فللخلاص ، وذلك من الله . لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتألموا لأجله ».

وقال لهم « لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً . فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضا ، الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله ، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد ، صائراً فى شبه الناس ، وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت ، موت الصليب . لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسما فوق كل اسم ، لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب .. تمموا خلاصكم بخوف ورعدة ، لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة . إفعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة ، لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاداً لله بلا عيب فى وسط جيل معوج وملتو تضيئون بينهم كأنوار فى العالم .. كونوا متمثلين بى معاً أيها الأخوة ولاحظوا الذين يسيرون هكذا كما نحن عندكم قدوة . لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً ، والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح . الذين نهايتهم الهلاك . الذين إلههم بطونهم ومجدهم فى خزيهم . الذين يفتكرون فى الأرضيات . فإن سيرتنا نحن هى فى السموات التى منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح ، الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده ، بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء .. أخيراً أيها الأخوة كل ما هو حق . كل ما هو جليل . كل ما هو عادل . كل ما هو طاهر . كل ما هو مسر . كل ما صيته حسن ، إن كانت فضيلة ، وإن كان مدح . ففى هذه افتكروا . وما تعلمتموه وتسلمتموه ورأيتموه فىّ فهذا افعلوا وإله السلام يكون معكم » .

١٥

وأرسل بولس الرسول إلى أهل كولوسى رسالة قال لهم فيها :

«نشكر الله وأبا ربنا يسوع المسيح كل حين مصلين لأجلكم، إذ سمعنا إيمانكم بالمسيح يسوع .. وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته فى كل حكمة وفهم روحى، لتسلكوا كما يحق للرب فى كل رضى، مثمرين فى كل عمل صالح، ونامين فى معرفة الله، متقوين بكل قوة بحسب قدرة مجده لكل صبر وطول أناة، بفرح شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور، الذى أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته، الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا. الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة. فإنه فيه خلق الكل، ما فى السموات وما على الأرض، مايرى وما لا يرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات، أم سلاطين. الكل به وله قد خلق. الذى هو قبل كل شىء وفيه يقوم الكل، وهو رأس لجسد الكنيسة. الذى هو البداءة بكر من الأموات لكى يكون هو متقدما فى كل شىء، لأنه فيه سر أن يحل كل الملء. وأن يصالح به الكل لنفسه عاملا الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما فى السموات. وأنتم الذين كنتم قبلا أجنبيين وأعداء فى الفكر فى الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن فى جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه، إن ثبتم على الإيمان، متأسسين وراسخين وغير متنقلين عن رجاء الإنجيل الذى سمعتموه المكروز به فى كل الخليقة التى تحت السماء الذى صرت أنا بولس خادماً له، الذى الآن أفرح فى آلامى لأجلكم وأكمل نقائص شدائد المسيح فى جسمى لأجل جسده الذى هو الكنيسة .. فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا

فيه .. أنظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح ، فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً ، وأنتم مملوءون فيه الذى هو رأس كل رياسة وسلطان ، وبه أيضاً قد ختنتم ختانا غير مصنوع بيد ، بخلع جسم خطايا البشرية، بختان المسيح ، مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات . وإذ كنتم أمواتا فى الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا، إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب ، إذ جرد الرياسات، والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه .. فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق ، حيث المسيح جالس عن يمين الله . إهتموا بما فوق ، لا بما على الأرض . لأنكم قدمتم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله . متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه فى المجد » .

١٦

وأرسل بولس الرسول إلى أهل تسالونيكى رسالة قال لهم فيها :

« إن إنجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط ، بل بالقوة أيضا وبالروح القدس وبيقين شديد .. وأنتم صرتم متمثلين بنا وبالرب إذ قبلتم الكلمة فى ضيق كثير بفرح الروح القدس ، حتى صرتم قدوة لجميع الذين يؤمنون فى مكدونية وفى أخائية .. لأنهم هم يخبرون عنا أى دخول كان لنا إليكم ، وكيف رجعتم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحى الحقيقى ، وتنتظروا ابنه من السماء الذى أقامه من الأموات يسوع الذى ينقذنا من الغضب الآتى . لأنكم أنتم أيها الأخوة تعلمون

دخولنا إليكم أنه لم يكن باطلا . بل بعدما تألمنا قبلا وبغى علينا كما تعلمون فى فيلبى جاهرنا فى إلهنا أن نكلمكم بإنجيل الله فى جهاد كثير . لأن وعظنا ليس عن ضلال ولا عن دنس ولا بمكر ، بل كما استحسنا من الله أن نؤتمن على الإنجيل، هكذا نتكلم ، لا كأننا نرضى الناس بل الله الذى يختبر قلوبنا . فإننا لم نكن قط فى كلام تملق كما تعلمون ولا فى علة طمع . الله شاهد . ولا طلبنا مجداً من الناس ، لا منكم ولا من غيركم ، مع أننا قادرون أن نكون فى وقار كرسل المسيح ، بل كنا مترفقين فى وسطكم كما تربى المرضعة أولادها . هكذا كنا حانين إليكم . كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضا لأنكم صرتم محبوبين إلينا . فإنكم تذكرون أيها الإخوة تعبنا وكدنا . إذ كنا نكرز لكم بإنجيل الله ونحن عاملون ليلا ونهاراً كى لا نثقل على أحد منكم . أنتم تشهدون والله كيف بطهارة وبر وبلا لوم كنا بينكم أنتم المؤمنين . كما تعلمون كيف كنا نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده ونشجعكم ونشهدكم لكى تسلكوا كما يحق لله الذى دعاكم إلى ملكوته ومجده . من أجل ذلك نحن أيضا نشكر الله بلا انقطاع لأنكم إذ تسلمتم منا كلمة خبر من الله قبلتموها لا ككلمة أناس بل كما هى بالحقيقة ككلمة الله التى تعمل أيضا فيكم أنتم المؤمنين . فإنكم أيها الإخوة صرتم متمثلين بكنائس الله التى هى فى اليهودية فى المسيح يسوع لأنكم تألمتم أنتم أيضا من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم أيضا من اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن ، وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس . يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكى يخلصوا حتى يتمموا خطاياكم كل حين . ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية .. لذلك أردنا أن نأتى إليكم .. وإنما عاقنا الشيطان .. لذلك إذ نحتمل أيضا استحسنا أن نترك فى أثينا وحدنا ، فأرسلنا تيموثاوس أخانا وخادم الله والعامل معنا فى إنجيل المسيح حتى يثبتكم ويعظكم لأجل إيمانكم . كى لا يتزعزع أحد فى هذه الضيقات ، فإنكم تعلمون أننا

موضوعون لهذا . لأننا لما كنا عندكم سبقنا فقلنا لكم أننا عتيدون أن نتضايق كما حصل أيضا وأنتم تعلمون » .

وقال لهم « لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين لكى لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم . لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون يسوع سيحضرهم الله أيضا معه . فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب أننا نحن الأحياء الباقين إلى مجىء الرب لا نسبق الراقدين ، لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء ، والأموات فى المسيح سيقومون أولا ، ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء . وهكذا نكون كل حين مع الرب . لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام .. وأما الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أيها الأخوة أن أكتب إليكم عنها ، لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلص فى الليل هكذا يجىء . لأنه حينما يقولون سلام وأمان، حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون . وأما أنتم أيها الإخوة فلستم فى ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص . جميعكم أبناء نور وأبناء نهار . لسنا من ليل ولا ظلمة . فلا تنم إذن كالباقين ، بل لنسهر ونصح . لأن الذين ينامون ، فبالليل ينامون . والذين يسكرون فبالليل يسكرون . وأما نحن الذين من نهار فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هى رجاء الخلاص . لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح الذى مات لأجلنا ، حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعاً معه . لذلك عزوا بعضكم بعضاً ، وابنوا أحدكم الآخر كما تفعلون أيضاً .. سالموا بعضكم بعضاً .. أنذروا الذين بلا ترتيب . شجعوا صغار النفوس . إسندوا الضعفاء . تأنوا على الجميع . أنظروا أن لايجازى أحد أحداً عن شر بشر . بل كل حين اتبعوا الخير بعضكم لبعض وللجميع . إفرحوا كل حين . صلوا بلا انقطاع . أشكروا فى كل شىء . لأن هـــذه هى مشيئة الله فى المسيح يسوع من جهتكم .

لاتطفئوا الروح . لاتحتقروا النبوات . امتحنوا كل شيء . تمسكوا بالحسن . إمتنعوا عن كل شبه شر . وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام . ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح » .

١٧

وأرسل بولس الرسول إلى أهل تسالونيكى كذلك رسالة ثانية قال لهم فيها :

« .. نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التعليم الذى أخذه منا . إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يتمثل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم ، ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد ، بل كنا نشتغل بتعب وكد ليلا ونهاراً لكى لا نثقل على أحد منكم . ليس أن لاسلطان لنا بل لكى نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تتمثلوا بنا ، فإننا أيضاً حين كنا عندكم أوصيناكم بهذا أنه إن كان أحد لايريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً . لأننا نسمع أن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب لايشتغلون شيئاً بل هم فضوليون . فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم . أما أنتم أيها الإخوة فلا تفشلوا فى عمل الخير . وإن كان أحد لايطيع كلامنا بالرسالة فسموا هذا ولا تخالطوه لكى يخجل . ولكن لا تحسبوه كعدو بل أنذروه كأخ . ورب السلام نفسه يعطيكم السلام دائماً من كل وجه » .

١٨

وأرسل بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس رســالة قال له فيها :

«أنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذى قوانى ، أنه حسبنى أمينا إذ جعلنى للخدمة. أنا الذى كنت قبلا مجدفاً ومضطهداً ومفترياً . ولكننى رحمت لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التى فى المسيح يسوع. صادقة هى الكلمة ، ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا» .

وقال له «أريد أن يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال . وكذلك أن النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل ، لا بضفائر أو ذهب أو لآلىء أو ملابس كثيرة الثمن. بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة . لتتعلم المرأة بسكوت فى كل خضوع . ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم . ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت . لأن آدم جبل أولا ثم حواء . وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت فحصلت على التعدى. ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل».

وقال له «صادقة هى الكلمة إن ابتغى أحد الأسقفية فيشتهى عملا صالحاً . فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم ، بعل امرأة واحدة ، صاحياً ، عاقلا ، محتشما ، مضيفاً للغرباء ، صالحاً للتعليم ، غير مدمن الخمر ولا ضراب ولا طامع بالربح القبيح ، بل حليما غير مخاصم ، ولا محب للمال ، يدبر بيته حسناً ، له أولاد فى

يفسد هيكل الله فيفسده الله ، لأن هيكل الله مقدس ، الذى أنتم هو . لا يخدعن أحد نفسه . إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلا لكى يصير حكيما . لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله . لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم . وأيضاً الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة . إذن لا يفتخرن أحد بالناس . فإن كل شىء لكم .. وأما أنتم فللمسيح ، والمسيح لله » .

وقال لهم « إنكم قد شبعتم . قد استغنيتم . ملكتم بدوننا . وليتكم ملكتم لنملك نحن أيضاً معكم . فإنى أرى أن الله أبرزنا نحن الرسل آخرين كأننا محكوم علينا بالموت . لأننا صرنا منظراً للعالم ، للملائكة والناس . نحن جهال من أجل المسيح وأما أنتم فحكماء فى المسيح . نحن ضعفاء وأما أنتم فأقوياء . أنتم مكرمون وأما نحن فبلا كرامة . إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعرى ونلكم وليس لنا إقامة . ونتعب عاملين بأيدينا . نشتم فنبارك . نضطهد فنحتمل . يفترى علينا فنعظ . صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شىء إلى الآن . ليس لكى أخجلكم أكتب بهذا بل كأولادى الأحباء أنذركم . لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح لكن ليس آباء كثيرون . لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالإنجيل ، فأطلب إليكم أن تكونوا متمثلين بى .. وأعرفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذى بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه ، وبه أيضاً تخلصون إن كنتم تذكرون أى كلام بشرتكم به إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثاً . فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً ، أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب ، وأنه دفن ، وأنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب ، وأنه ظهر لصفا ثم للاثنى عشر ، وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باق إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا . وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لى أنا . لأنى أصغر الرسل أنا الذى لست أهلا لأن أدعى رسولا ، لأنى اضطهدت كنيسة الله . ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ، ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر

فهرس

صفحة

البـــاب الأول

المجتمع اليهودى فى وقت مجىء السيد المسيح

صفحة

صفحة

صفحة

الصفحة

الباب الثانى

العقيدة المسيحية كما بشر بها مرقس الرسول فى مصر

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة